



امعة الإمارات العربية المتحدة



المهتدين

# في الفكر الإسلامي

صنفه

أ. د. / عرض الله حجازي	أ. د. / محمد الطيب النجار
أ. د. / إبراهيم زيد الكيلاني	أ. د. / يحيى هاشم فرغل
أ. د. / محمد عجاج الخطيب	أ. د. / محمد عبدالفضيل

أ. د. / صفر حامد

طبعة ثانية مصورة مختصرة

١٤١٦هـ - ١٤١٧هـ

١٩٩٥م - ١٩٩٦م

مكتبة المهتدين الإسلامية









## مقدمة

يعد مساق الفكر الاسلامي من أهم المساقات التي يدرسها طلبة جامعة الامارات العربية المتحدة ضمن مساقات الثقافة العامة ، وذلك انطلاقا من حرص الجامعة على أن يحيط طلبة الجامعة بدينهم الاسلامي الحنيف ، وأن ترسخ مفاهيمه السامية في نفوسهم : عقيدة ، ومنهج حياة .

ورغبة من الجامعة في أن تكون المادة العلمية التي يشتمل عليها هذا المساق وأمثاله من متطلبات الثقافة العامة ، محققة الغرض الذي قررت من أجله ، مادة ، ومنهجيا ، وتناولا ، وفي أن يجمع هذا المساق بين الموضوع في تقديم المسلمات ، وبين الطموح الى اثارة القضايا ، وحفز الطالب الى مزيد من البحث والاستقصاء ، والتعرف على المصادر والقدرة على التطبيق . وفي أن يقدم وهو يكشف عما يعنيه مصطلح " الفكر الاسلامي " حقيقة ، فينتج الى المبادئ ، والقضايا التي تستهدف مخاطبة العقل ، وبناء الوجدان ، والتمكين من العمل ، بدلا من أن يوزع ذهن الطالب بين أشتات " الثقافة " ودروبها المختلفة التي هي أقرب ماتكون الى عرض المنجزات ، وتصنيف الآثار ....

من أجل ذلك كله فقد اتجهت النية الى أن يتكفل باعداده عدد من الاساتذة الاعلام في العقيدة الاسلامية والفكر الاسلامي داخل الجامعة وخارجها ، وذلك لوضع كتاب يتصف بالشمول والتكامل والدقة ، ويعبر عن جهد العقل البشري في فهم ديننا الاسلامي بمصدره الرئيسين - القرآن الكريم والحديث الشريف - وما يتصف به من رسوخ وثبات ومواءمة لمتطلبات الحياة في كل زمان ومكان .

وأخذا بهذا التوجه ، جاء تخطيط العناصر التي يقوم عليها الكتاب معبرا عن الاركان الاساسية التي يقوم عليها هذا الدين :

من العقيدة ، والشريعة ، والاخلاق ، والعبادة ، والاسهام في بناء الحضارة ، علما وعملا .

كما أن الكتاب لم يغفل التحديات التي يواجهها الفكر الاسلامي في عصرنا الراهن ، فقام معرنا بها ، متعرضا لها ، كاشفا عن خلل أصحابها ، في حوار هادئ بعيد عن الانفعال ، متكئ على الحقائق العلمية التي تنسجم مع العقيدة ، ولا يماري فيها منكرها .

وقد شكلت لجنة من الاساتذة الافاضل :

الاستاذ الدكتور / عوض الله حجازي  
الاستاذ الدكتور / محمد الطيب النجار  
الاستاذ الدكتور / إبراهيم زيد الكيلاني  
الاستاذ الدكتور / يحيى هاشم فرغل  
الاستاذ الدكتور / محمد عجاج الخطيب  
الاستاذ الدكتور / محمد عبد الفضيل  
الاستاذ الدكتور / صفوت حامد

وهم أعلام مشهود لهم بالفضل ، ورسوخ القدم في العلم ، قاموا بوضع فصول الكتاب التي اشتملت على : العقيدة ، والشريعة ، والعبادة ، وحقوق الانسان في الاسلام ، والتحديات التي يواجهها الفكر الاسلامي ، والعلوم في الاسلام ، ونظام الحكم ، والنظام الاقتصادي في الاسلام ، والاخلاق في الاسلام ، والرد على الالحاد المعاصر ، ومكانة المرأة في الاسلام .

ونحن اذ نتوجه الى هذه النخبة من العلماء بالشكر على ما قدموه من جهد ، نثق في أصالته وتميزه ، ونطمئن الى قيمته العلمية ، فائننا نرجوه سبحانه أن ينفع به ، ويحقق الغرض الذي اعد من أجله ، وبالله التوفيق .

أ . د محمد ابراهيم حُور

عميد كلية الاداب

# الفصل الأول الحقيقة الإسلامية

للأستاذ الدكتور  
عوض الله حجازي



بسم الله الرحمن الرحيم

## الفصل الأول في العقيدة الإسلامية

ويشتمل هذا الفصل على تمهيد وأربعة مباحث :

التمهيد : في أن الإسلام عقيدة وشريعة

الدين الإسلامي الذي جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، هو دين الفطرة، هو الدين الذي اختاره الله تعالى لعباده، من يوم أن خلق الله الأرض ، ومن عليها، قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) (١) وهو الدين الذي رضي الله تعالى لآمة محمد صلى الله عليه وسلم، أفضل مخلوق، وأكرم نبي ، قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٢)

وهو الدين الذي فطر الله عليه الخلق جميعاً، ولم يقبل منهم ديناً غيره، قال جل شأنه (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين) (٣).

أما اليهودية المحرفة، وأما النصرانية المنحرفة، وأما المجوسية المشركة، فهذه كلها ديانات ليست من الإسلام في شئ ، إنها كلها أمور عارضة على الفطرة الإنسانية السليمة ، وبعيدة عن الدين الإسلامي الحق، ودخيلة عليه.

وقد جاء هذا الانحراف إلى الإنسانية عن طريق إضلال الشيطان وأعوانه للخلق، أو عن طريق تقليد الآباء والأمهات، قال تعالى : على لسان إبليس (قال بعزت لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين) (٤) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (٥)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (٦)

هذا الدين الإسلامي يشتمل على مسائل كثيرة، وموضوعات متعددة، ولكنه من الممكن أن نرجعها إلى أسس ثلاثة، هي العقيدة، والشريعة، والأخلاق .

أما العقيدة ، فهي الأمور التي تتعلق بالاعتقاد، وهو تصديق وإذعان بالشيء. وهذا أمر يكون في النفس الإنسانية يستقر ويستتر فيها.

وأما الشريعة : فهي عبارة عن الأعمال التي يقوم بها الإنسان، ويؤديها خضوعاً لله تعالى وامتنالاً لأمره مثل إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وغيرها من أنواع العبادات ، ومثل النكاح والطلاق والوصية وغيرها من الأحوال الشخصية ، ومثل البيع والشراء ، والهبة والرهن، والإجارة، والمزارة وغيرها من أنواع المعاملات،

وأما الأخلاق : فهي الصفات التي يتصف بها الشخص، ويتحلى بها العبد ويظهر أثرها في معاملاته وفي علاقته بغيره من المخلوقين، سواء أكانت هذه المعاملات حسنة أو قبيحة ، وسواء أكانت صفات جبلية فيه أو مكتسبة.

وهذه الأخلاق الحسنة - في نظري - تشبه أن تكون ثمرة للعقيدة الصحيحة. والعبادات القويمة، يقول تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) (٧) ويقول جل شأنه (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، وتزكيهم بها، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)(٨)

ويقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)(٩) فهذه الآيات الكريمة وأمثالها كثيرة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة. تدل على أن العبادات مقصودة لما يترتب عليها من معاملات ، وأخلاق حسنة، يجب أن يتصف بها المسلم.

وقد أراد الله تعالى أن يبين للناس أمور دينهم من العقيدة، والشريعة، والأخلاق، وأن يوضح لهم كل ذلك، صيانة لهم من الضلال، وحرصاً لهم من أن يقعوا في الشر والإثم، والمنكرات ، فيبعثوا بذلك عن الطريق المستقيم، ويضلوا طريق الصواب والخير.

ولذلك أرسل الله الرسل ، وبعث إليهم الأنبياء، مبشرين ومنذرين ، وأوحى الله تعالى

إلى هؤلاء الرسل بالدين الحق، والعقيدة الصحيحة، أوحى إليهم بالاصول الأولى، والعقيدة السليمة، التي لا تتبدل ولا تتغير، على مر الأيام والسنين بواسطة النسخ أو التبديل، ولا تختلف باختلاف الزمان والمكان ولا باختلاف الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. - وفي هذا يقول الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (١٠)

هذا القدر من الدين، وهو الذي يتعلق بالإعتقاد، الذي يتعلق بالإيمان بالله تعالى، والتصديق بوجوده، وأنه إله واحد، فرد صمد، والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب المنزلة من السماء، والإيمان باليوم الآخر، وما يكون فيه من الثواب في الجنة والعقاب في النار، هذا كله قدر مشترك بين الأديان السماوية جميعها، لا يختلف باختلاف الرسل، ولا باختلاف زمانهم ومكانهم، وهو لذلك هدى كله، وهدى دائم،

وذلك لأن هذه الموضوعات من باب الخبر والخبر لا يعتريه النسخ، ولا التغيير والتبديل، وإلا كان الخبر الأول كاذباً والكذب على الله تعالى مستحيل .

أما الشريعة، وهي الأمور التي تتعلق بأعمال الإنسان من صلاة، وزكاة، وصوم، أو نكاح وطلاق، أو بيع وشراء، فإنها تختلف باختلاف الأديان، من حيث كیفيتها. ونظام أدائها، فإن لكل أمة، ولكل رسول شريعة معينة، وعبادات خاصة .

وقد اقتضت حكمة الله وعدالته، أن يشرع لكل أمة شريعة تناسبها، وتتفق مع طبيعتها، واستعداداتها، فلما حان الوقت المناسب للتشريع الإسلامي، الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يتلاءم ويتوافق مع كل جماعة ويصلح لكل بيئة، وتسعد به الجماعات التي تقوم بأدائه، وتحرص على تعاليمه . أوحى الله به إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان مصدر ذلك كله رحمة الله تعالى ورأفته بخلقه، حيث أعطى كل أمة. في كل زمان ، ما يعلم فيه الخير لها. وذلك شأن الله تعالى حيث جرت سنته في العالمين .

ومن هنا كانت الشرائع قابلة للنسخ والتغيير، يدل على ذلك أن القبلية الأولى ، وهي قبلية بيت المقدس، نسخت بالقبلية والتوجه إلى المسجد الحرام ، قال تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) (١١)

وقوله تعالى ( قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ) (١٢)

كما نسخ الله تعالى إباحة التبني بتحريمه، قال تعالى (وماجعل أديعياكم أبناءكم، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم لأبنائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم في الدين ومواليكم) (١٣)

كما نسخ الإسلام تحريم زوجة الابن بإباحة زواجها، كما في قصة زيد بن حارثة رضى الله عنه، وزوجته (زينب بنت جحش) رضى الله عنها. (راجع سورة الأحزاب)

والقرآن الكريم الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قد اشتمل على العقيدة والشرعة الإسلامية جميعاً، أما العقيدة: فقد أكملها الله عز وجل في القرآن الكريم، وذكر فيه جميع مسائلها. تفصيلاً من الإيمان بالله تعالى، وأنه واحد وأنه متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، قال تعالى (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) وقال تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) (١٤) وقال تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شئ، وهو بكل شئ عليم، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو، خالق كل شئ فاعبدوه، وهو على كل شئ وكيل) (١٥)

أما الشريعة: فقد اشتمل القرآن الكريم على أصولها، من فريضة الصلاة، والزكاة، والصوم والحج، ومن جواز النكاح والطلاق، وإباحة البيع والشراء، والدين، والهبة، وغير ذلك من المعاملات - وجاءت السنة النبوية أنشريعة. وهي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته - جاءت ببيان هذه الأحكام، وتوضيحها تفصيلاً.



## المبحث الأول الإيمان بوجود الله تعالى

الإيمان بوجود الله تعالى، والتصديق بوجود خالق ومبدع لهذا الكون عقيدة إسلامية لا يتم إيمان المرء إلا بها، فهو ركن من أركان الإيمان، وقاعدة من قواعد الدين، فلا يكون الإنسان مؤمناً حقاً، إلا إذا اعتقد أن هناك إلهاً خالقاً لهذا الكون، ومبدعاً لهذا الوجود، يتصرف في الكون كيف يشاء، يوجد ويعدم، يخلق ويفني، يعطي ويمنع، يعز ويذل، يثيب ويعاقب، ينعم ويعذب، (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير) (١٧)

وقال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) (١٨)

وقال تعالى (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء ليبلوكم أنيكم أحسن عملاً) (١٩)

والإيمان بوجود الله الخالق لهذا الكون هو أول واجب على المكلف، قال بعض العلماء: وأول واجب على المكلف .... معرفة الله العلي فاعرف.

## الاستدلال على وجود الله تعالى

سلك العلماء في الاستدلال على وجود الله تعالى مسالك عدة، فهناك مسلك القرآن الكريم ومسلك الفلاسفة والمتكلمين، ومسلك الصوفية وغيرهم.

وقبل أن نتكلم على هذه المسالك ساذكر كلام القائلين بأن وجود الله تعالى بديهي ولا يحتاج إلى دليل، وهو ما يطلق عليه طريق الفطرة.

وهو الطريق الذي يقرر أن الإيمان بوجود خالق ومبدع لهذا الكون أمر جلي ومفطور في النفس الإنسانية ، وقد اعترف بهذا الطريق، وصدق به كثير من العلماء منهم بعض المعتزلة، وابن تيمية وابن القيم وأتباعهما، وكثير من الصوفية، وبعض المحدثين، مثل الشيخ محمد عبده، والفيلسوف (كارليل) وغيرهما.

فإنك المعتزلة تقولون: إن معرفة وجود الله تعالى ضرورة عقلية، لاحتياج إلى برهان، وذهبوا إلى القول بأن معرفة الله لا تتأتى بالنظر في الجواهر والأعراض وأن الذين فعلوا ذلك قد تكلفوا ما لا يجب عليهم.(٢٠)

ويذهب (ابن تيمية) (وابن القيم) وأنصارهما إلى أن الإيمان بوجود الله تعالى فطري في النفوس، لاحتياج إلى دليل، وأن وجوده تعالى أوضح من وضوح الشمس في رابعة النهار وأن من لم يشعر بذلك فليتوجه بالتهمة إلى نفسه، ويتمثلون بقول الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل (٢١)

ويرد (ابن تيمية) في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) على الشهرستاني، ويرى أن الإيمان بوجود الله تعالى لاحتياج إلى دليل، ويقول : (قماعت هذه المسألة من النظريات، التي يقام عليها برهان، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها بصانع قادر عليم حكيم، أفي الله شك ، ( ولئن سألته من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم )، سورة الزخرف/٩

وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في السراء فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء، وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين .... ويستطرد (ابن تيمية) فيقول ( ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفى الشريك)(٢٢).

أما الصوفية فقد قالوا إن معرفة الله تعالى فطرية وضرورية في النفس الإنسانية، ويستدلون على قولهم بأية سورة الأعراف : وهي قول الله تعالى ( وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم. وأشهدهم على أنفسهم . ألست بربكم . قالوا بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)(٢٣)

فإن هذه الآية تشير بظاهرها) إلى أن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على أولاد آدم بآته ربهم وخالقهم، فشهدوا بذلك وأمنوا به. وهذا دليل على أن معرفة الله تعالى موجودة في النفس. وكانت فيها. فلا تحتاج إلى دليل.

أما الشيخ محمد عبده مع إتجاهه العقلي فقد رأى أن وجود الله تعالى فطري في النفوس، ذكر ذلك عند تفسيره آية ( كلا إنها تذكرة) من سورة عبس (٢٤)

ويذهب (كارليل) من الفلاسفة الغربيين المحدثين إلى هذا الرأي حيث يقول: (لست أقصد بالديانة، الإيمان الكنسي بل ما يعتقد به بالفعل كل إنسان، بصدد علاقاته الباطنة بهذا الكون، ذلك النداء الخفي الملح، الذي جعل رجلاً، يقول في كتابه (فلسفة الدين) لماذا أنا متدين؟! إني لم أحرك شفتي بهذا السؤال. إلا وأراني مسوقاً للإجابة عليه بهذا الجواب، وهو : إني متدين ، لأنني لا أستطيع غير ذلك ، فالتدين لازمة من لوازم ذاتي)(٢٥)

والقرآن الكريم ملئ بالآيات الدالة على أن الإيمان بالخالق المبدع لهذا الكون هو (الله) ويعترف بذلك الخلق جميعاً، يقول الله تعالى مخاطباً نبيه (محمداً) صلى الله عليه وسلم ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون)(٢٦)

ويقول تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) سورة لقمان /٢٥

ويقول تعالى ( قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون)(٢٧)

بل إن هناك مواقف عملية تظهر فيها هذه الفطرة واضحة جلية في ضرورة الاعتراف بوجود الله تعالى، ويكون هذا الاعتراف نابعاً من داخل الإنسان ، وليس من الحس، ولا من العقل، وذلك في ساعات الألم والشدة ، يدل على ذلك قول الله تعالى :

( وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه، أو قاعداً، أو قائماً، فلما كشفنا عنه ضره،

مر كأن لم يدعنا إلى ضرر مه، كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون (٢٨) وقوله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم، وكان الإنسان كفوراً)(٢٩)

فهاتان الآيتان وأمثالهما في القرآن الكريم كثير، يدلان على أن هناك إيماناً راسخاً وعقيدة ثابتة في القلب تثبت أن هناك إلهاً خالقاً، مبدعاً لهذا الوجود، وأنه قادر على إزالة الضرر، ونجاة العبد إذا ما وقع في شدة، أو ورطة.

## مسلك القرآن الكريم في الاستدلال

### على وجود الله تعالى

القرآن الكريم أصدق كتاب، وأعظم حجة، وأعلى برهان ، لأن كل ما فيه حق وصدق، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة، تدل على وجود الله تعالى، وأنه الخالق لهذا الكون، والموجد له، والمتصرف فيه كيف يشاء.

وسأذكر بعضاً من هذه الآيات، الدالة على وجود الله تعالى، كي تكون نبزاساً مضيئاً يدل على وجوده جل شأنه، وتكون حجة قوية ضد المعاندين والمنكرين لوجوده جل شأنه، وشجي في قلوبهم.

أولاً: يقول الله تعالى في سورة السجدة (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع، أفلا تتذكرون. يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون، ذلك عالم الغيب والشهادة، العزيز الرحيم الذي أحسن كل شئ خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين) الآيات ٤ وما بعدها.

فهذه الآيات تقرر أن السموات والأرض ومافيهما مخلوق، وأن الذي خلق هذه الأشياء كلها، هو الله تعالى، وأنه جل شأنه يدبر هذا الوجود كله، فهو الذي يوجد ويعدم، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل ، لأنه هو عالم الغيب والشهادة، وهو العزيز الذي لا يغلب ، الرحيم بخلقه، الذي أحسن كل شئ خلقه وإبداعه ، وأنه بدأ خلق الإنسان من طين.

إن هذا الكون البديع، وما فيه من سماء وأرض ، ومخلوقات متعددة يدل على أن له خالقاً ومبدعاً وهو الله تعالى .

**ثانياً :** يقول تعالى في سورة الواقعة ( نحن خلقناكم فلولا تصدقون، أفأرأيتم ما تمنون، أنأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين، على أن نبدل أمثالكم وننسخكم فيما لا تعلمون، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون، أفأرأيتم ما تحرثون، أنأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمتم تفكهون، إنا لمغرمون، بل نحن محرومون، أفأرأيتم الماء الذي تشربون أنأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون، أفأرأيتم النار التي تورون أنأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون، نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين، فسبح باسم ربك العظيم) سورة الواقعة الآيات من ٧هـ وما بعدها.

إن هذه الآيات وإن ذكرت في هذا الموقع من السورة للدلالة على أن الله قادر على البعث والنشور وإحياء الموتى من قبورهم للحساب، والثواب والعقاب ، فإنها مع ذلك تدل دلالة واضحة على أن هذا العالم مخلوق ومربوب، لرب حكيم، وخالق عظيم، وذلك لأن ما ذكر في هذه الآيات من المخلوقات مستند إليه، وحادث بقدرته وإرادته ولا يعقل ذلك إلا إذا كان الخالق واجب الوجود لذاته.

إن من ينظر إلى ما ترشد إليه هذه الآيات ونحوها ، نظراً سليماً، بعيداً عن التعصب والهوى، ومن يبحث وينقب في عجائب الصنعة المشاهدة، ويديع إتقانها، ليدرك أدراكاً قوياً، ويؤمن ويصدق بأن لهذا العالم رباً خالقاً، وفاعلاً قادراً مختاراً، أحاط بكل شيء علماً، وهو القوي العزيز.

**ثالثاً:** ورد في القرآن الكريم حوار ومناقشة بين موسى رسول الله وكنيسته، وبين فرعون ملك مصر في عهده ، وعدو الله تعالى، يثبت موسى به وجود خالق ومبدع لهذا الكون.

يقول تعالى حكاية عن هذا الحوار في سورة الشعراء ( قال فرعون وما رب العالمين، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون، قال ربكم ورب آبائكم الأولين، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، قال رب المشرق

والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ، قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ( الآية من ٢٢ وما بعدها ١٢٠ )

فقد أقام موسى عليه السلام في هذه الآيات لفرعون الدليل تلو الدليل ، على وجود الله تعالى، وبين له الطريق الواضح للوصول إلى الله، والإيمان بوجوده، ولكن فرعون تجاهل هذا الحق، وتعامى عن الأدلة، بعدما استبان له قوتها ووضوحها، وأنكر على موسى دليله. وأعرض عما تدل عليه الفطرة السليمة، والعقل الصحيح، فقد استدل موسى على وجود الله تعالى بدلالة الصنعة على الصانع والأثر على المؤثر، ولكن فرعون أعرض عن ذلك، وركب رأسه ، فضل وأضل،

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن فرعون عندما عجز عن تأييد رأيه، وقد أقحمه موسى عليه السلام بالأدلة القاطعة: لجأ فرعون إلى منطق القوة والجبروت ، لجأ إلى التهديد والإهانة فقد هدد موسى عليه السلام بالعذاب الاليم، وقال (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين). وعندما غلبه موسى وتغلب على السحرة، وأمن السحرة بموسى، قال فرعون (أمنتم به قبل أن أذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبكنم في جنوع النخل ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبقى، قالوا لن نؤثرك على ما جأنا من البيئات والذي فطرنا، فاقض ما أنت قاض، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، إنا آمننا بربنا ليفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) الآيات من سورة طه ٧٨ وما بعدها.

هكذا ضل فرعون وطفى وبغى، فأخذ الله نكال الآخرة والأولى وأغرقه في البحر هو ومن معه قال تعالى ( فأغرقناه ومن معه جميعاً)(٣٠)

ومع ذلك فقد تبع فرعون في زيغه وضلاله أناس من الملحدين، وجماعات من الضالين، ظهروا في أزمان مختلفة ، وسما بأسماء متعددة، ينكرون وجود الله تعالى، وينكرون البعث والإعادة للثواب والعقاب، من هؤلاء من يسمون بالدهريين ، الذين يقولون : ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، ومالهم بذلك من علم ، إن هم إلا يظنون،

ومنهم من يسمون بالشيوعيين، أو الوجوديين، هؤلاء الذين ضلوا عن الطريق

المستقيم، وزاغوا عن طريق الرشاد، وانحرفوا عن الإيمان الصحيح.

ألم يعقل هؤلاء المنحرفون الضالون ما عقله ذلك الأعرابي، الذي قال في الجاهلية بلسان الفطرة ( البعرة تدل على البعير، وأثر القدم يدل على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير(٣١)

## الأدلة العقلية

أولاً : استدل علماء الكلام على وجود الله تعالى بأدلة عقلية منها : -

١- دليل الحدوث وهذا الدليل يقوم على (قانون السببية) ، وهو أن كل مخلوق له خالق، وكل مسبب له سبب .

يقول علماء الكلام : إن العالم بجواهره وأعراضه حادث. وكل حادث لابد له من محدث، فالعالم له محدث، والمحدث للعالم هو الله تعالى.

أما أن العالم حادث فلأنه يطرأ عليه التغير والعدم، فإننا نلاحظ بالمشاهدة أن الليل يعقبه نهار، وأن الحرارة تأتي بعدها برودة، وأن الشئ يكون ساكناً، ثم تحدث له الحركة. وأنه يكون مرة أبيض ومرة أخرى أسود وأصفر ، وهذا التغير في العالم أمانة الحوادث ، لأن كل ما كان محلاً للحوادث ولا يخلو منها يكون حادثاً.

وأما القضية الثانية القائلة : كل حادث لا بد له من محدث فدليلها البداهة، إذ أن العقل يحكم بها تلقائياً.

ولا يصح أن يكون المحدث للعالم نفسه، إذ أنه حينئذ يصبح متقدماً على نفسه باعتباره مُوجداً للعالم، ومتأخراً عن نفسه باعتباره مخلوقاً، وهذا باطل ، لأن كون الشئ الواحد متقدماً على نفسه ومتأخراً عنها في وقت واحد، باطل بالبداهة.

هذا المحدث للعالم والموجد له لا بد أن يكون منازيراً له في صفاته، فلا يكون حادثاً، بل يجب أن يكون قديماً .

هذا المحدث للعالم هو الله تعالى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى استحالة أن يكون الشئ سبباً في وجود نفسه في قوله تعالى (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون)(٣٢)

فهذه الآية في شقها الثاني تنكر أن يكون الناس سبباً في وجود أنفسهم، وهذا الذي قرره المتكلمون في دليلهم السابق.

٢- واستدل المتكلمون بدليل الإضافة فقالوا : إن المُحدث بفتح الدال ، والمحدث بكسرهما من الأمور الإضافية، التي لا يتصور وجود أحد الأمرين الإضافيين بدون الآخر، وذلك مثل الأبوة فلا يتصور وجود (أب) بدون (ابن) ومثل البنوة ، فلا يتصور وجود (ابن ) بدون (أب). كذلك لا يتصور وجود (محدث) بفتح الدال بدون (محدث) بكسرهما وقد ثبت وجود العالم وهو محدث، فلا يدل من محدث وهو الله تعالى.



استدل الفلاسفة على وجود الله تعالى بعدة أدلة منها :

## ١- دليل الإمكان :

فقد قالوا مرة : إن جملة الممكنات (٢٣) الموجودة ممكنة بداهة، لأنها مركبة من الممكن، والمركب من الشئ الممكن يكون ممكناً، وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه الوجود وينتج من هذا أن جملة الممكنات محتاجة بتمامها إلى سبب يوجودها، ويعطيها الوجود.

هذا السبب إما أن يكون عينها، أو جزءاً منها أو غيرها.

لا جائز أن يكون السبب عينها ، لأنه يلزم عليه تقدم الشئ على نفسه، ضرورة تقدم السبب على المُسبب، وهو باطل ،

ولا جائز أن يكون السبب جزء الممكنات، لأنه يلزم عليه إما أن يكون الشئ علة لنفسه ولما سبقه إن لم يكن هذا الجزء هو أول الممكنات . وإما أن يكون علة لنفسه فقط، إن فرضناه أول الممكنات، والكل باطل بالبداة .

وإن كان سبب الممكنات غيرها فهذا له صورتان:

هل هذا الغير هو المستحيل، هذا باطل أيضاً، لأن المستحيل معدوم، وغير موجود، وفائد الشئ الوجود - لا يعطيه.

فبقي أن هذا المغاير هو الواجب، وهو الذي أعطى الممكنات وجودها، هذا الواجب هو الله تعالى. (٢٤)

٢- وقالوا مرة ثانية : لا شك في وجود ممكن (ما) ، هذا الممكن لا بد له من علة ترجع وجوده على عدمه، تلك العلة إن كان واجبة الوجود لنفسها ثبت وجود الواجب لذاته، وهو الله تعالى وإن لم تكن واجبة الوجود لنفسها، بأن كانت ممكنة ، انتقل الكلام إليها، ولما كانت ممكنة، فلا بد لها من علة ترجع وجودها على عدمها، هذه العلة إما واجبة وإما ممكنة ، فإن كانت واجبة ثبت وجود الواجب ، وإن كانت ممكنة فلا بد لها من علة وهكذا ..... ولا يجوز أن تستمر سلسلة العلل إلى ما لانهاية له في جانب الماضي، بل لا بد من أن تنتهي السلسلة، وأن تقف عند علة واجبة الوجود لنفسها .

لاحتجاج إلى موجد.. وهذه العلة الواجبة، التي لا تحتاج إلى موجد هي الله تعالى. وهو المطلوب. فإله تعالى موجود، وهو الموجد للعالم (٣٥)

٣- وهذا دليل آخر استدل به كثير من الفلاسفة، وبعض السلف: وسماه بعض العلماء (دليل العناية) أو (دليل الإبداع).

ويتلخص هذا الدليل في قولهم : إن فيما يشاهده الإنسان بحواسه من إبداع العالم، وإتقان صنعه، وترتيب بعضه إلى بعض، وإتقان بعضه لبعض، وإتقان هيئته على هذا النظام البديع ، وإتقان الكامل، في كون كل كائن، وفساد كل فاسد، وثبات كل ثابت، وزوال كل زائل، إن هذا كله أعظم برهان، وأقوى دليل على التدبير التام، والحكمة الشاملة لهذا العالم، ووراء كل تدبير مدبر ووراء كل حكمة حكيم، وهذا المدبر للكون والابديع له هو الله تعالى .

يقول (ابن قيم الجوزية) في هذا المعنى :

(فصل المعطل الجاحد، ما تقول في دوائر على نهر، قد أحكمت آلاته، وأحكم تركيبه. وقدرت أدواته أحسن تقدير وأبلغه، بحيث لا يرى الناظر فيه خللاً في مادته، ولا في صورته، وقد جعل على حديقه عظيمة ، يسقيها حاجتها، وفي تلك الحديقة من يلم شعثها ، ويحسن مراعاتها وتعهداها ، والقيام بمصالحها، فلا يختل منها شيء. ولا يتف ثمارها، ثم يقسم قيمتها عند الجفاف على يسائر المخارج بحسب حاجاتهم وضرورتهم ، فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به، ويقسم هكذا على الدوام، أترى هذا إتقاناً بلاصانع، ولا مختار، ولا مدبر ؟! بل اتفق وجود ذلك الدوائر وتلك الحديقة، وكل ذلك اتفاقاً من غير فاعل، ولا قيم، ولا مدبر، أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان ؟! وما الذي يفتيك ؟! وما الذي يرشدك إليه ؟!

ولكن من حكمة العزيز الحكيم أن خلق قلوباً عمياء لا بصائر لها، فلا ترى هذه الآيات الباهرة إلا رؤية الحيوانات البهيمية، كما خلق أعيناً لا إبصار لها. والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وهي لا تراها، فم ذنبها إن أنكرتها وجحدتها ؟! (٣٦)

هذا هو دليل العناية يسوقه (ابن القيم) في أسلوب جيد وبيان رائع فله دره من عالم فاضل ، ومؤلف قدير .

## الرد على من يقول إن العالم وجد بالمصادفة

ذهب بعض المفكرين إلى أن العالم لاخالق له ، وإنما وجد وحده بدون موجد وأن الحركة الدائبة الموجودة بين ذرات العالم، هي السبب في تكونه على هذا الشكل المشاهد المحسوس. وأنه ليس وراء هذا الكون المحسوس إله خالق مبدع، ولا قوة عاقلة مدبرة (٢٧)

وقد اعتمد هؤلاء الماديون في نفیهم وجود الخالق على الحس، ورأوا أن المحسوسات هي مصدر المعرفة، وليس هناك مصدر سواها، ومادام الله غير محسوس، فلا وجود له وهذا القول باطل وتنقصه الأدلة المؤيدة له .

فهم لم يستطيعوا أن يقيموا دليلاً على نفي وجوده، واكتفوا بالإنكار، والإدعاء المزيف فحسب . وعدم القدرة على إقامة دليل النفي، يدل على قوة ظهور فكرة الأكوهية، إلى حد لا يمكن معه إبطالها بالدليل.

بل لقد قام علماء الطبيعة والرياضة في العصر الحديث بالرد على هؤلاء الذين يقولون بالصدفة وأثبتوا بالأدلة العلمية أن القول بالمصادفة يتنافى مع ما تثبتته العلوم الحديثة من وجود قوانين علمية دقيقة، تحكم نظام العالم، وتحكم تدبيره، وسيره المحدد الذي لولاه لفسد هذا العالم، واختل الوجود، وهلك ما في الكون من حيوانات أو نباتات، مما يوجب الاعتقاد، بأن هناك مدبراً يقوم على تدبير هذا الكون ومنظماً يقوم على هذا الإبداع ، هذا المدبر، وهذا المبدع، عالم، قادر، وهو ما نطلق عليه كلمة (الإله).

يقول العالم الأمريكي (لوثر كيل ) (إن البحوث العلمية أثبتت دون قصد، أن لهذا الكون بداية، ولا يمكن أن يبتدئ بذاته، ولا بد أنه محتاج إلى المحرك الأول الخالق، الإله ) (٢٨)

إن ما في الكون من نظام في الوجود، وإبداع في الصنعة، من ليل ونهار، يتناوبان العالم بمقدار معين ، ومن شمس وقمر وأرض، وكواكب متعددة، يوجد كل منها على

بعد معين من الآخر، لو اختلف ذلك البعد، وقصرت المسافة أو زادت ، لفسد العالم وهلك ، هل يمكن أن يحدث كل ذلك نتيجة خبطة عشواء، أو صدفة عمياء !!!؟ كلا !! إن أبي عاقل قادر على التفكير، لابد أن يدرك أن هذا من المستحيل، كما ترفضه رفضاً باتاً نظرية الاحتمالات الرياضية .

يقول البروفيسور (بيرون كونكلين) ساخراً من القول بالصدفة :

(إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة (حادث إتفاقي) شبيه في مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخمة (قاموس) نتيجة انفجار صدفي، يقع في مطبعة)(٤٠)

ويقول أحد العلماء الأمريكيان (إن قانون الصدفة، فرض لا يمكن تحقيقه، لأن الرياضيات، التي تعطينا نكتة الصدفة الثمينة، هي نفسها التي تنفي أي إمكان رياضي في وجود الكون الحالي، بفعل قانون الصدفة)(٤١)

إن الخلق من خصائص الله جل شأنه، لا يجوز أن يشاركه فيه غيره، قال تعالى :

(ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين)(٤٢)

يقول عالم الطبيعة الأمريكي (جودج دينيس) .

(لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه، فإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو (الإله) ... وهكذا ننتهي إلى التسليم بوجود الإله، ولكن إلهاً هذا ، سوف يكون إلهاً عجيباً، إلهاً غيبياً ومادياً في آن واحد، إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإله، الذي خلق العالم المادي، وهو ليس بجزء من هذا الكون، بل هو حاكمه ، ومديره، ومديره، بدلاً من أن أتبنى هذه الخزعات)(٤٣).

إن هذا النظام الذي يسير عليه العالم ، لا يتفق مع القول بالصدفة، ولا مع القول بأن هذا الكون وجد بدون موجد عالم قادر.

وفي هذا المعنى يقول أحد العلماء المحدثين (هذا الكون يسير نحو هدف معين ، كما يدل على ذلك النظام، الذي نشاهده في الذرات، فهناك نظام معين تتبعه الذرات جميعاً، من الأيدروجين، إلى اليورانيوم، وما بعد اليورانيوم، وكلما ازدادنا علماً بالقوانين، التي تتحكم في توزيع البروتينات والالكترونات لإنتاج العناصر المختلفة ازدادنا علماً بما

ظروف تجعلنا لانستطيع أن نعلل ذلك بالتكيف والملاحة، بل لابد وأن هذه الرحلات تتم على هدى غريزة موهوبة ممنوحة(٤٥)

ولا يمكن أن يختلف إثنان في أن الطبيعة عاجزة عن إحداث هذا النظام، ذلك أن النظام هو عبارة عن (تأليف الكثير لإحداث غاية) . والغاية المسبقة في الكائنات واضحة ، كما أنه من الواضح أن المادة غير عاقلة، وأن هناك عمليات تتم في أجسام الحيوانات والإنسان لا يدري عنها شيئاً ، فلا بد من القول بأن قوة حكيم عالم ، فعلت كل ذلك، وحققته للكائنات وفيها) أي في الكائنات.

فالصدفة المحضة خرافة، ويظهر ذلك من تأمل أشكالها العادية، ذلك أنها تتم بدون ترتيب ، وبدون نظام، أما عواقب الأمور ، ونهاياتها السليمة، فإنها تنبئ عن أنه كان من ورائها غاية مسبقة.

وقانون الإحتمالات الرياضية يجعل الصدفة محالة، وفي ذلك يقول الدكتور / يوسف عز الدين عيسى (لا يمكن أن يحدث شئ بطرق مختلفة، ليؤدي إلى نتيجة واحدة عن طريق الصدفة)(٤٦)

إن الإيمان بوجود الله الخالق لهذا الكون، والمبدع لهذا الوجود، لا يمكن إنكاره، لأن الفطرة السليمة، والعقل الصريح، يدلان عليه دلالة واضحة. ولا ينكر ذلك إلا مكابر، أو غافل عما في هذا الكون من نظام وإبداع.

ويقول آخر (إن هذا النظام الرائع، الذي يسود هذا الكون، يخضع لقوانين، لم يخلقها الإنسان، وإن معجزة الحياة ذاتها، لها بداية، كما أن راعها توجيهاً وتدبيراً خارج دائرة الإنسان).

إن إسم (الطبيعة) يوحي بأنها محتاجة إلى طابع لها على هذا النحو، الذي سميت على أساسه بهذا الإسم (الطبيعة).

وعن هذا النظام والتناسق في العالم يقول العالم (كريس موريسون) الذي كان رئيساً لأكاديمية العلوم في نيويورك فترة من الزمن (الله وضع الأجرام السماوية ليس مجرد صدفة عشواء، بل هي موضوعة في الفضاء بحسبان ، إذ أن القمر (مثلاً) لو كان أقرب إلى الأرض بمقدار ، ربع المسافة، التي تفصلنا عنه لأصبح المد والجزر مصيبتين، حيث يفرق المد جميع أجزاء اليابسة نتيجة لذلك).

ويقول أيضاً (إن سرعة دوران الأرض تبلغ نحو ألف ميل في الساعة فلو فرضنا أنها تدور بسرعة مائة ميل في الساعة فقط، لطال كل من الليل والنهار، وترتب على ذلك أن جميع النباتات والحيوانات تحترق نهاراً من شدة الحر، وتتجمد ليلاً من شدة البرد)(٤٤)

ويقول أيضاً (إن البشر لا يزالون في فجر العلم، وكلما ازداد العلم ضياءً، جُلّي لنا شيئاً فشيئاً صنعة خالق مبدع، ففي السنوات التسعين، التي مضت منذ عهد (دارون) تمت للعلماء اكتشافات هائلة ، والتقدم العلمي يدنو بنا شيئاً فشيئاً إلى معرفة الله، فطريق العلم يسير بنا إلى الإيمان به ، ولا يبتعد بنا عن ذلك أبداً.

والمعادلات الرياضية إذا طبقناها على نظام الكون، تجعل عامل المصادفة في ظهور الحياة في العالم احتمالاً لا يبلغ واحداً من ملايين .

كما أن سعة حيلة الحياة في تحقيق أغراضها، يدل على عقل ينبث في أنحائها جميعاً. — وحكمة الحيوان تنطق بلسان لا ترد حجته، بأن لها خالقاً كريماً، بث الغريزة فيها.

فالرحلات الطويلة الوعرة، التي يقوم بها كل من سمك السالمون، و شعبان البحر تتم في

## الصفات الإلهية

كل موجود لابد أن يتصف ببعض الصفات، فهو إما قديم أو حادث، جسم أو ليس بجسم، واحد أو متعدد، عالم أوليس بعالم، يشبه غيره من الموجودات أولاً يشبهها. — وقد سبق لنا الكلام على وجود الله تعالى، وأثبتنا ذلك بأدلة كثيرة - عقلية ونقلية - ومادام الله موجوداً فلا بد أن يتصف بصفات، من حيث إنه موجود، وواجب الوجود .

وليس البحث في الصفات الإلهية، ومحاولة فهمها، والاستدلال عليها، وإثباتها لله تعالى، بأقل أهمية من إثبات الذات الإلهية، ذلك لأننا لم نصل إلى معرفة حقيقة الذات الإلهية وإنما عرفنا الله تعالى عن طريق صفاته، عرفناه من حيث إنه خالق، ومبدع لهذا الكون، وهذا الخلق والإبداع دليل واضح على قدرة الخالق، وعلى علمه الواسع ، المحيط بكل شيء وعلى إرادته الكاملة، إنه دليل واضح على صفاته تعالى

إن هذه الصفات الإلهية هي مناط السؤال، ومحط الرجاء في دعاء الله تعالى ، إنها الباب الذي يلتمس منه الإنسان الرحمة والمغفرة من الله عز وجل، فإن الإنسان إذا مرض أو أصابه ضرر دعا الله (الشافعي). وإذا وقع في الذنب والمعصية لجأ إلى الله (الغفور الرحيم) غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب، وصدق الله العظيم حيث يقول (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه)(٤٧)

بل إن هذه الصفات هي أساس التدين عموماً، فإن الإنسان إذا عرف أن الله عالم بكل شيء ومحيط علماً بكل مايفعله الإنسان، وقادر على أن يعزه ، أو يذله ، قادر على أن يسلبه ماله، أو حياته، خضع له وتقرب إليه بالعبادات التي أمره بها، وانتهى عن المنهيات التي نهاه عنها، وإلا كان ماله الخسران والهلاك في الآخرة، ودخوله النار، وبئس القرار.

ومن هنا كانت أهمية البحث في صفات الله تعالى.

والله عز وجل يجب أن يتصف بجميع صفات الكمال، وأن يتنزه عن جميع صفات النقص وأن كل ما يخطر على البال من صفات الكمال يجب أن يتصف الله تعالى بها.

غير أنه يجب علينا أن نقرر هنا- أن الصفات التي يجب أن يتصف الله تعالى بها،

١- صفات تنفى عن الله تعالى معنى لا يليق بذاته، وتسمى في عرف العلماء ، صفات سلبية، أو صفات تنزيهية، ذلك أنها تسلب عنه معنى لا يليق بالذات الإلهية، وتنزهه عن أي نقص لا يليق به جل شأنه، ومن أمثلة ذلك ، صفة القدم، والبقاء ، والوحدانية ، والمخالفة للحوادث ، وغيرها .

٢- صفات تثبت لله تعالى معنى زائداً على ذاته، معنى وجودياً يليق به جل شأنه وتسمى في عرف العلماء، صفات وجودية، وهي كثيرة، فهو جل شأنه عالم ، وقادر، ومريد وسميع، وبصير ، ومتكلم، ويرضى، ويحب ، ويفضض وغير ذلك من الصفات التي وردت في الكتاب الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

### ومن أهم الصفات السلبية صفتان :

**الأولى :** صفة الوحدانية : فخالق العالم ومدبره ليس اثنين أو أكثر، وليس المتصرف في هذا الوجود متعددأ، وإنما الخالق لهذا الكون واحد .

وصفة الوحدانية ثابتة لله تعالى بجميع جهاتها، فهو واحد في ذاته، بمعنى أنه لا شريك له . وهو واحد في صفاته، بمعنى أن صفاته من العلم والقدرة والإرادة وغيرها لا يشاركه فيها أحد من خلقه . وهو واحد في أفعاله، بمعنى أن أفعاله خاصة به، وليس لأي مخلوق أن يوجد مثل فعله، فلا يستطيع إنسان أن يوجد إنساناً، أو أن يخلق شمساً أو قمرأ، ومن يعتقد أن خالق الكون متعدد فهو كافر مشرك، قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد)(٤٨)

وصفة الوحدانية ثابتة لله تعالى بالنقل والعقل، أما النقل فمنه قوله تعالى (قل هو الله أحد) وقوله تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) (٤٩) وقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذا ذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)(٥٠)

وأما الدليل العقلي : فإن العقل الإنساني الصريح يقرر أنه لو كان هناك إلهان خالقان، يدبران أمر العالم لاضطربت الأمور ، وفسدت الأحوال، ذلك لأن من شأن الرؤساء أن يتنازعا ويختلفوا ، وإذا اختلفوا أو تنازعا فسدت الأمور، واضطربت



الأحوال، فكيف تسير أمور الخلق إذا اختلف كل من الإلهين مع الآخر، واختلفت إرادتهما، قال تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (٥١) وقد قال جل شأنه : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ، يعني لا اتخذوا سبيلاً إلى مغالبتة، وقهره، ومحاولة الإنتصار عليه، كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين .

### الصفة الثانية : المخالفة للحوادث .

الله عز وجل قديم ، وغيره حادث ، هو واحد، وغيره متعدد، هو باق دائم، وغيره فان ، قال تعالى : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (٥٢) وقال (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام).

ومن هنا نقرر أن الله تعالى مخالف لغيره من الكائنات، مخالف لها جميعها، في ذاته، وفي صفاته وفي أفعاله، إنه جل شأنه مخالف لكل ما يجوز عليه العدم من الحوادث، ذلك أن الحوادث محتاجة إلى غيرها في وجودها، والله عز وجل موجود بذاته، والحوادث محتاجة إلى أجزائها، وإلى المكان الذي تحل فيه، والله غني عن كل ذلك، قال تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) (٥٤) وقال تعالى (لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) وقال تعالى (والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (٥٥)

فإنه غني عن العائنين، ولا يشبه شيئاً من الأنام والخلق، — وقد استنبط العلماء من قوله تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) أنه تعالى ليس جسماً، ولا مركباً من أجزاء ، وليس له أبعاد ولا جوارح، ذلك أن هذه الأشياء يلزمها الإحتياج، إذ يحتاج الجسم إلى أجزاء، وإلى أبعاد ويحتاج إلى المكان الذي يشغله — والاحتياج يلزمه الحدوث، وهو يتنافى مع الوجوب الذاتي لله تعالى ، وينافي استغناؤه عن كل ما يغيره من الكائنات .

وقد اعترض بعض المشبهة على ذلك بالنصوص التي يوهم ظاهرها مشابهة الله تعالى للحوادث ، تلك النصوص التي توهم أن الله جسم، أو أنه في جهة، أو أنه ذو أجزاء ، من مثل قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)، وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) وقوله تعالى (ويبقى وجه ربك).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع

الرحمن يصرفها حيث شاء (٥٦) وقوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال النار تقول هل من مزيد. حتى يضع الجبار قدمه في النار، تقول قط قط) (٥٧) أي كفى كفى إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث، التي يوهم ظاهرها مشابهة الله لخلقه.

ولكن العلماء أجابوا عن هذا الاعتراض بواحد من جوابين:-

١- فقد ذهب بعض العلماء إلى التوقف ، وعدم البحث في هذا الموضوع، لأنه فوق مستوى العقول البشرية، وأنه حكم على غير المحسوس (وهو الله تعالى) بحكم المحسوس المشاهد، (وهو العالم)، والله عز وجل مخالف لما عداه، ولذلك ذهب جمهور السلف إلى عدم الخوض في مثل هذه الآيات، وعدم التعرض لمعناها، وقالوا: الله أعلم بمراده منها، فهم قد فوضوا العلم بها لله تعالى، ولذلك أوجبوا الوقف على لفظ الجلالة، في قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات ، هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله). وهذا هو الطريق الأسلم في نظرنا ، وذلك لأن وصف الله تعالى بهذه الصفات فوق مستوى العقول البشرية.

ولذلك امتنع الإمام مالك رضي الله عنه عن تفسير الإستواء، عند ما جاءه رجل ، وقال له يا إمام : يقول الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟! قال الإمام مالك : (الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) (٥٧)

وفي رواية قال : (الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً)

وبمثل هذا الجواب أجاب كثير من العلماء، لقد أجاب ربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك بمثل هذا الجواب فقال : الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ، ومن الله تعالى الرسالة وعلينا التصديق ).

ويذهب ابن قيم الجوزية في هذا الموضوع مذهب السلف، ويرى في الصفات عدم تأويلها، فيقول: في كتابه (إعلام الموقعين) (تنازع الناس في كثير من الأحكام ،

ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها، وإمرارها على حقاقتها مع فهم معانيها)(٥٨)

ويقول الجويني في الرسالة النظامية في الأركان الإسلامية:

( ذهب أئمة السلف إلى الإنكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقداً، اتباع سلف الأمة فالأولى الاتباع وترك الابتداع )(٥٩)

(٢) وذهب فريق من العلماء، وهم الخلف إلى تأويل هذه الآيات على ما يليق بجلال الله تعالى وذلك أنهم قالوا: إنه قد ثبت مخالفة الله تعالى لجميع خلقه، وأنه لا يشبه شيئاً من الحوادث . ولما كانت هذه الآيات والأحاديث توهم مشابهة الله لخلقه وجب تأويلها، وصرفها عن ظاهرها، فقالوا في قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) قدرته فوق قدرتهم، فأولوا اليد بالقدرة وقالوا في قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) أي بحراستنا ورعايتنا، فأولوا العين بالرؤية والحراسة والعناية، وأولوا الوجه في قوله تعالى( ويبقى وجه ربك) بالذات، أي تبقى ذاته تعالى .

ومن هنا نرى أن كل فريق من الفريقين يذهب إلى أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من خلقه، وأنه مخالف لكل ماعداه، ويرى أن ظاهر هذه الآيات والأحاديث لا يليق بالله تعالى ولكن السلف وقفوا عند اللفظ. ولم يخوضوا في معناه ، واكلوا العلم بالله تعالى، وقالوا الله أعلم بمراده.

أما الخلف فقد أولوا اللفظ ، وصرفوه عن ظاهره إلى معنى يليق بالله تعالى فالفريقان متفقان على تنزيه الله تعالى، وعدم مشابهته لخلقه.

## صفات المعاني

أما صفات المعاني، التي يسميها العلماء الصفات الوجودية، من العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع والبصر، والكلام، والرضا والغضب، والمحبة والفرح وغيرها، فقد أجمع العقلاء من المسلمين على اتصاف الله تعالى بها، لأنها صفات كمال، وأن المتصف بها يكون كاملاً، بل أكمل من غيره، ممن لم يتصف بها، والله عز وجل أكمل الموجودات على الإطلاق، فلا بد إذن أن يتصف بهذه الصفات وإلا كان بعض المخلوقات ممن يتصفون بهذه الصفات أكمل منه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال الله تعالى في القرآن الكريم مبيناً أن الإتيان بهذه الصفات كمال، وأن الاتصاف بضدها نقص، يقول تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون)(٦٠) ويقول (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى)(٦١) ويقول (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب)(٦٢).

ويقول جل شأنه في بيان عظمته والتعالي على غيره لاتصافه بهذه الصفات (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)(٦٣) ويقول (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة)(٦٤) ويقول (الله خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل)(٦٥) ويقول (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم، أو من تحت أرجلكم، أو يلبسكم شيعاً، ويذيق بعضكم بأس بعض، انظر كيف نحرف الآيات لعلهم يفقهون)(٦٦) ويقول تعالى (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)(٦٧) ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

والدليل على أن الله تعالى متصف بهذه الصفات، هذا العالم، البديع في صنعه، المتفق في خلقه، الكامل في وجوده، إن كل ذلك يدل على أن الله تعالى متصف بالعلم

والقدرة والإرادة ، وإن إرسال الرسل ، وإنزال الكتب عليهم من التوراة ، والإنجيل ،  
والقرآن ، لمن أوضح الأدلة على أنه تعالى متصف بصفة الكلام ، قال جل شأنه (وكلم  
الله موسى تكليماً) النساء/ ١٦٤

يزاد على ذلك أن ثبوت هذه الصفات لله تعالى لا يترتب عليه محال عقلي ، ولا يوجب  
نقصاً ، لا يليق بالذات العلية ، فدل كل ذلك على ثبوت هذه الصفات لله تعالى

وإثبات هذه الصفات لله تعالى لا يؤدي إلى تشبيه الله بخلقه ، فصفاته تعالى من  
العلم والقدرة والرضا والغضب والمحبة والفرح وغيرها لا تشبه صفات المخلوقين ، فكما  
أننا أثبتنا ذاتاً لا تشبه النوات ، فإننا ثبت لله تعالى صفات لا تشبه صفات الخلق .

يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله في كتابه (الفقه الأكبر) (لا يشبه شيئاً من خلقه ، ولا  
يشبهه شيء من خلقه ، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا  
كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا) (٦٨)

وصفاته تعالى كلها قديمة ، سواء أكانت صفة ذات كالعلم والسمع والبصر والحياة ،  
أو صفة فعل كالخلق والرزق والإحياء والأمانة ، ولا يجوز أن نعتقد أن الله تعالى وصف  
بصفة ، بعد أن لم يكن متصفاً بها ، لأن صفاته كلها صفات كمال ، وفقدتها صفة نقص ،  
ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده .

فصفات المحبة والغضب والرضا ، والفرح ، والكلام ، والخلق والرزق صفات قديمة ، ومع  
ذلك فإنه لا مانع من تحققها بالنسبة لله تعالى ، كما يحدث يوم القيامة من الحساب ،  
والشفاعة ، والكلام وغيرها - ولا يصح أن يقال حينئذ إنه قد قامت به الحوادث ، ذلك أن  
هذه الصفات قديمة ، وقائمة بذاته منذ الأزل ، وإنما الذي حدث هو تعلقها ببعض الأفراد  
، ممن حدث ووجد بعد أن لم يكن ، وببعض الأحوال مما وجد بعد ذلك ، فإن بعض  
الأحوال تحدث في وقت دون وقت ، كما في حديث الشفاعة (إن ربي قد غضب اليوم  
غضباً ، لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله) (٦٩)

وهذا التحقق بهذا الاعتبار غير ممتنع ، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن ، ألا  
تري أن من تكلم اليوم ، وكان متكلماً بالأمس ، لا يقال : إنه حدث له الكلام ،

أما لو كان غير متكلم لآفة كالصفر ، أو الخرس ، ثم تكلم يقال : إنه حدث له الكلام ،

فالساكت لغير آفة يسمى متكلماً بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى متكلماً بالفعل.

ولذلك نقرر هنا : أن كل ماصح أن تتعلق به إرادته تعالى جاز فعله ، فإذا أراد الله عز وجل أن يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، أو أن يرى عباده نفسه ، أو أن يتجلى لهم كيف شاء، أو أن يخاطبهم ، ويضحك إليهم، وغير ذلك، مما يريد سبحانه أن يفعله، لم يمتنع عليه فعله، لقوله تعالى (فعالاً لما يريد).

غاية الأمر أن ذلك يتوقف صحته على إخبار الصادق، فإذا أخبر به الصادق، سواء أكان قرأناً أو سنة صحيحة، وجب الإيمان به . والتصديق بوقوعه.

## أسماء الله الحسنى

الله عز وجل متصف بصفات كثيرة، وقد سبق لنا الكلام على بعضها ، وكما أنه جل شأنه متصف بصفات الكمال، ومنزه عن صفات النقص، فإنه جل شأنه له أسماء كثيرة ومتعددة.

يقول الله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحنون في أسمائه)(٧٠)

والأسماء جمع إسم ، وهو اللفظ الذي يدل على الذات فقط ، أو يدل على الذات مع صفة من صفاتها، سواء كان مشتقاً، مثل : الرحمن الرحيم، الخالق الرازق ، أو كان مصدراً كالرب والسلام والعدل .

والحسنى جمع أحسن وهو أفعل تفضيل من الحسن ومعنى الآية: أن الله تعالى - بغيره - له أحسن الأسماء، الدالة على أحسن المعاني، وأكمل الصفات، فادعوه بها، أي سموه، واذكروه ، ونادوه بها، لمجرد الثناء عليه ، وعند السؤال وطلب الحاجات.

وأسماء الله تعالى كثيرة، وكلها حسنى، بدلالة كل منها على منتهى كمال معناه، وتفضيلها على ما يطلق منها على المخلوقين، كالرحيم والحكيم، والحفيظ ، والعليم.

ومن هنا فإنه يجب الإيمان والتصديق بأن لله تعالى له أسماء متعددة، يدل على ذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة.

من ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة ) (٧١)

وفي رواية أخرى (إن لله تسعة وتسعين اسماً، من حفظها دخل الجنة، وأن الله وتر يحب الوتر) (٧١) وفي رواية للبخاري (لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدة، من حفظها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر).

ولكن هل أسماء الله الحسنى محصورة في تسعة وتسعين كما ورد في هذه الأحاديث؟

اختلف العلماء في هذا الموضوع - موضوع التسعة والتسعين اسماً - هل المراد به أن الأسماء الحسنى منحصرة فيه أو أنها أكثر من ذلك ؟! وأن الأحاديث التي وردت في أن عددها تسعة وتسعون كان المقصود منها : أن من أحصاها دخل الجنة ؟!

أقول : إن العلماء اختلفوا في ذلك على رأيين، فذهب فريق من العلماء إلى أن أسماء الله تعالى منحصرة في تسعة وتسعين اسماً، وذهب فريق آخر إلى أن الأسماء الحسنى لا تنحصر في تسعة وتسعين .

والرأي الثاني ذهب جمهور العلماء، ونقل الإمام النووي إتفاق العلماء عليه، فقال : ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له إسم غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث، أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فأفراد الإخبار عن دخول الجنة لمن أحصاها، وليس المقصود الإخبار بحصر الأسماء.

ويؤيد هذا الرأي قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود الذي أخرجه الإمام (أحمد) وصححه ابن حبان (أسألك بكل إسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك .... الحديث ) (٧٢)

فإن هذا الحديث يدل على أن الله تعالى له أسماء لا يعلمها إلا هو. مما يدل على عدم الحصر.

وقال بعض العلماء : إنما خص التسعة والتسعين اسماً، لأنها أكثر الأسماء. وأينما معنى. ولا يدل ذلك على الحصر، كما يدل على عدم الحصر أن أكثر هذه الأسماء صفات. وصفات الله تعالى غير متناهية.

واليكم الأسماء الحسنى كما ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري :

(هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار المتكبر، الخالق البارئ المصور، الغفار القهار، الوهاب الرزاق، الفتاح العليم، القابض الباسط الخافض الرافع، الغنى المذل، السميع البصير، الحكيم العدل، اللطيف الخبير، الحليم العظيم، الغفور الشكور، العلي الكبير، الحفيظ المقيت، الحسيب الجليل، الكريم الرقيب المجيب، الواسع الحكيم الويد المجيد، الباعث الشهيد، الحق الوكيل، القوي المتين، الولي الحميد، المحصي المتبدي المتعبد، المحيي المميت، الحي القيوم، الواحد الماجد، الواحد الصمد، القادر المتقدر، المقدم المؤخر، الأول الآخر، الظاهر الباطن، الوالي المتعالي، البر التواب، المنتقم العفو الرؤوف، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، المقسط الجامع، الغني المغني، المانع الضار النافع، النور الهادي، البديع الباقي الوارث، الرشيد الصبور)(٧٣)

وقد اتفق أهل الحق على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، ونحوها على إثبات كل ماورد في الكتاب والأحاديث الصحيحة دعاء، ووصفاً له، وإخباراً عنه.



## المبحث الثاني

### الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

هذا المبحث يتناول عدة مسائل :

أولاً : شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم :

ولد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ، ومن أبوين كريمين، هما عبد الله بن عبد المطلب وأمنة بنت وهب، وهما من أشرف قومهما نسباً، وأعلام منزلة وحسباً، ويصل نسبه صلى الله عليه وسلم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ولم يزل صلى الله عليه وسلم ينتقل من الآباء الطيبين إلى أرحام الأمهات الطاهرات، لم يمس نسبه من سفاح الجاهلية شيء، بل كان ذلك كله بنكاح صحيح، على حسب ما تواضع عليه العرب الشرفاء، حتى خرج من بين أبويه الكريمين، قال صلى الله عليه وسلم ( خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فانا خيركم، وخيركم أنا)(٧٤) وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)(٧٥)

وقال (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)(٧٦)

وهذا النسب الشريف كان استمراراً لموكب الطهر من الأنبياء ، الذي تنتهي رايته عند جدهم إبراهيم عليه السلام، وهذا الاستمرار استقر في نقطة محددة، لها ارتباط مقدس، يعرف التاريخ قيمتها، وهي البقاء حول الكعبة. ذلك أن أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من معد إلى عبد المطلب، استقروا حول بيت الله الحرام، ذلك البيت الذي

جعله الله للناس مثابة وأمثاً، وجعله أول بيت وضع للناس. روى الإمام أحمد في مسنده قال : قال العباس ، بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس، فصعد المنبر، فقال : من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق، فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير فرقة. وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأننا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً(٧٧)

قال ابن اسحاق : حدثني ثور بن زيد عن بعض أهل الشام، أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك، قال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخى عيسى، ودأت أمي حين حملت بي، أنه خرج منها نور، أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر. ... ثم ذكر قصة الملكين وشق صدره الشريف، وقول أحد الملكين للآخر : زنه بألف من أمتة فوزنتي بهم، فوزنتهم، فقال : دعه، فوالله لو وزنته بأمتة لوزنتهم(٧٨)

### نشأته :

لقد نشأ صلى الله عليه وسلم نشأة طيبة. فلم يسجد لصنم، ولم يشرب الخمر، ولم يفعل شيئاً من المفسد، ولم يلعب بالقذاح كما كان يلعب أترابه من أهل مكة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ماهمت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر، وكلتاهما عصمني الله عز وجل منهما)(٧٩)

وكان لعبد المطلب فراش يوضع له في ظل الكعبة، ليجلس عليه، ولا يجرق أحد من أبنائه الجلوس عليه، وكان النبي محمد وهو غلام يأتي حتى يجلس على فراش جده، فكان أعمامه يأخذونه ليؤخروه عنه ، فيقول لهم جده عبد المطلب : دعوا ابني ، فوالله إن له لثأناً، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره، ويسره ما يراه يصنع.

لقد زانه صلى الله عليه وسلم هذا النسب الكريم، والحسب العريق، وهما من أسباب الكمال الإنساني، لذلك لم يستطع كاتب في الشرق أو في الغرب أن ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من ذروة البشرية شرفاً ومحتداً، وأن الله عز وجل قد اصطفاه من أعلى البيوت منزلة.

ثانياً: موضوع دعوته صلى الله عليه وسلم :

جاء محمد صلى الله عليه وسلم بدين حق، وعقيدة صادقة، جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم ( صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)(٨٠)

جاء محمد عليه السلام إلى الناس كافة، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم، والأغلال التي كانت عليهم. هذا الدين الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقوم على أن الوجود نوعان :

١- وجود كامل ، وجود قديم، وجود باق، وهو وجود الله عز وجل ، الخالق لكل شئ، والمبدع لكل موجود .

٢- وجود ناقص، وجود حادث، وجود فان، وهو وجود المخلوقات من سماء وأرض وهواء ، وإنسان وحيوان، إلى غير ذلك

جاء محمد (ص) ليبين أن الوجود الثاني ناشئ عن الوجود الأول ( الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)(٨١)  
(الحمد لله فاطر السموات والأرض، جاعل الملائكة رسلاً، أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع)(٨٢)

جاء الدين الإسلامي ليبين علاقة المخلوق بالخالق، وعلاقة الخلق ببعضهم ببعض  
ويمكننا أن نقول إن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تقوم على أصول ثلاثة:-

١- الأصل الأول علاقة الإنسان بخالقه، وهذه العلاقة تقوم على أن المخلوق - الإنسان - يتوجه إلى الخالق بالعبادة، ويخصه بها، ولا يشرك في هذه العبادة غيره، قال تعالى ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(٨٣) وقال تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق، فاعبد الله مخلصاً له الدين، ألا لله الدين الخالص)(٨٤)

وأن يختص جل شأنه بالدعاء والسؤال، فلا يجوز أن يُدعى غيره ، أو أن يسأل الناس غير الله، قال تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم)(٨٥) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا

ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير)(٨٦)

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لابن عمه عبد الله بن عباس (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)(٨٧)

٢- الأصل الثاني في دعوته : هو أن يبين علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وقيم هذه العلاقة على التعارف والتآلف (يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)(٨٨)

كما يقيم هذه العلاقة على العدل وعدم الظلم، والبعد عن الشقاق والخلاف، والدعوة إلى الوحدة والاتحاد، قال تعالى في الحديث القدسي (ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)(٨٩) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقال جل شأنه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)(٩٠)

ويقول صلى الله عليه وسلم (لا تاجشوا ، ولا تفاحشوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه)(٩١)

٣- الأصل الثالث من دعوته صلى الله عليه وسلم أن يوضح ويبين علاقة الإنسان بنفسه ، وذلك بأن يحملها على فعل الطاعات، واجتناب المنهيات، هو أن يحمل الإنسان نفسه على فعل أوامر الله تعالى ورسوله، والبعد عن ما نهى الله عنه، هو أن يتصف الإنسان بكل وصف محمود ومحبوب، وأن يبتعد عن كل وصف مذموم.

وبما كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد أوتي جوامع الكلم، فقد أجمل هذه الأصول الثلاثة في حديثه الشريف، المتفق على صحته ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام ( اتق الله حيثما كنْتَ، واتبع السبيلَ الحسنَةَ تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)(٩٢)

ذلك أن الجملة الأولى من الحديث تبين علاقة العبد بربه، وهي عبادته جل شأنه وتقواه، والجملة الثانية تبين علاقة العبد بنفسه، وهي حملها على فعل الطاعة والفرار من الذنب بالتوبة منه، والرجوع إلى الله تعالى، والجملة الثالثة تبين علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، حيث يتعامل معه بالخلق الحسن، وليس هناك خلق حسن أفضل من التمسك بكتاب الله تعالى، والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قالت

عائشة رضى الله عنها في وصف خلق الرسول صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن.

ويشير إلى هذه الأصول الثلاثة قول الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث : إن لربك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، فاعط كل ذي حق حقه .

## ثالثاً: التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم

لقد ادعى محمد النبوة والرسالة، وتواتر هذا الخبر عنه، وجعل الإيمان بنبوته والتصديق بها ركناً من أركان الدين، قال صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ... الحديث) (٩٣)

وقد أقام الرسول الأدلة على صدقه في دعوى الرسالة.

أما أنه صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة، فقد ثبت ذلك بالتواتر والإتفاق، حتى جرى ذلك مجرى الشمس في الوضوح والإشراق (٩٤).

وأما أنه أقام الأدلة على صدقه في دعوى النبوة فسنحاول أن نتبين ذلك من عدة طرق

### ١- الطريق الأول : طريق المعجزة :

والمعجزة هي أية صدق الرسول في دعواه الرسالة، وهي الدليل الذي يؤيد الله تعالى به من يصطفيه من عباده، تصديقاً له، فإنه جل شأنه لا يؤيد الكاذب.

وقد ظهرت على يدي الرسول كثير من المعجزات ، فقد أتى بالقرآن الكريم، وتحدى به العرب، وأخبر عن الغيبات، وأظهر أفعالاً على خلاف المعتاد، بلغت جعلتها حد التواتر، فما هي المعجزة ؟ وما شروطها؟ وماكيفية دلالتها على صدق الرسول؟

### تعريف المعجزة :

عرف العلماء المعجزة بأنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، يظهره الله على يد مدعى الرسالة تصديقاً له في دعواه، مع عجز جميع المخلوقات عن معارضته والإتيان بمثله. هذا الأمر الخارق للعادة قد يكون فعلاً، مثل قلب العصا حية لسيدنا موسى، ومثل انشقاق القمر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد يكون تركاً مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عندما ألقى فيها، قال تعالى (قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) (٩٥)

وقد يكون الأمر الخارق للعادة قولاً، مثل القرآن الكريم، فإنه كلام الله تعالى المنزل

على محمد صلى الله عليه وسلم ، والذي تحدى به العرب، وهم الذين بلغوا الغاية في الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن الإتيان بمثله، أو بأقصر سورة منه.

والمعجزة من الأمور الممكنة عقلاً، فإن العقول السليمة لا تجد مانعاً من أن الله تعالى يظهر على أيدي رسله خوارق العادات، تصديقاً لهم، وليس ظهور الأمر الخارق على يد الرسول أعجب، ولا أغرب من خلق السموات بغير عمد ترونها.

### الفرق بين المعجزة والكرامة والإرهاص والسحر.

والفرق بين المعجزة والكرامة، أن الكرامة أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد رجل ظاهر الصلاح، وليست مقرونة بدعوى النبوة، ولا يتحدى بها الولي غيره.

والفرق بينها وبين الإرهاص، أن الإرهاص أمر خارق للعادة يظهره الله على يد النبي صلى الله عليه وسلم، قبل دعواه النبوة ، تأسيساً لها، وذلك مثل نطق سيدنا عيسى في المهد.

والفرق بينها وبين السحر والشعوذة، أن السحر والشعوذة ليستا من الأمور الخارقة للعادة... إنما هي أمور يمكن للمرء أن يتعلمها على يد بعض العلماء، قال تعالى :

ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت (٩٦)

### شروط المعجزة

اشتراط العلماء في المعجزة شروطاً منها :

أن يكون الأمر الخارق للعادة فعلاً لله تعالى، وأن يتعذر على الغير معارضته، وأن يكون الأمر الخارق للعادة ظاهراً على يد مدعى النبوة، وأن يكون موافقاً لدعواه الرسالة وأن يكون مقارناً لدعوى النبوة، وليس متقدماً عليها.

وجه دلالتها على صدق الرسول :

اتفق جمهور العلماء على أن المعجزة من البراهين الدالة على صدق الرسول : لأنها

لما كانت أمراً يعجز عنه جميع الخلق، لم تكن إلا من آثار قدرة الله تعالى وما أظهرها الله على يد مدعي الرسالة، إلا تصديقاً له في دعواه ، وكان الله تعالى يقول (صدق عبدي في كل ما يبلغ عني)(٩٧)

ووجه دلالتها على صدق الرسول أن الله تعالى يخلق عقيب ظهورها العلم الضروري بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يريد الهداية، وفقاً لمشيئته تعالى .

وأما كيفية حصول المعجزة فيمكننا أن نأخذ ذلك من تعريفها ، ذلك أنها فعل مخلوق لله تعالى، وليس للعبد مدخل في حدوثه، يظهره الله على يد من يريد تصديقه في دعواه الرسالة. وذلك بمشيئته تعالى واختياره، ولا يشترط لإظهارها استعداد خاص، لأن النبوة منحة ، يمنحها الله تعالى لمن يختاره من عباده دون أن يكون له دخل في استحقاقها.

أوضح معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم :

لنبينا محمد (ص) معجزات كثيرة، حسية مثل انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتظليل الغمام له ومعنوية ومن أوضحها القرآن الكريم ، وهو آخر الكتب السماوية نزولاً، وقد أنزله الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ عربي مبين لينظم العلاقات بين الله والناس، وبين الأفراد والجماعات في جميع الأحوال.

ولما كانت العادة قد جرت بأن تكون معجزة كل رسول من جنس ما برع فيه قومه، فإن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، وهم في ذلك الوقت قد بلغوا في الفصاحة والبلاغة أعلى درجة، وتحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو يأتوا بعشر سور من مثله ، أو يأتوا بسورة من مثله فعجزوا .

قال تعالى (أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)(٩٨) وقال تعالى ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ) (٩٩)

وقال جل شأنه (قل لن اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)(١٠٠)



والقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة، والباقية أبد الدهر إلى يوم القيامة، وأنه لا يمكن لأي مخلوق في كل زمان ومكان أن يأتي بمثل أقصر سورة منه ، فهو دائم الإعجاز لجميع المخلوقات، يدلنا على ذلك أن القرآن الكريم نزل في عصر اتفق العلماء على أنه أرقى العصور عند العرب، وأغزرها مادة في الفصاحة والبلاغة، وإذا عجز العرب عن معارضته، فيكون غيرهم أعجز من باب أولى.

## ٢- الطريق الثاني للدلالة على صدقه :

حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، واتصافه بين قومه بالأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، والصدق في القول والمعاملة، والحرص على الأمانات ، والبعد عن الفواحش والمحرمات، وهي أمور شهد له بها الأعداء، فقد كان أهل مكة يصفونه قبل البعثة بالأمين، وكانوا يضعون عنده أماناتهم. — ولما نزل قول الله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) وقوله تعالى ( وأنذر عشيرتک الأقرين) صعد على جبل الصفا، ونادى قبائل قريش، فلما اجتمعوا إليه قال لهم (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي، قالوا نعم، ماجربنا عليك كذباً، فقال لهم ، إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)(١٠١)

وفي حديث أبي سفيان بن حرب مع هرقل عظيم الروم، الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي، سأل عدة أسئلة منها: هل كان من آبائه من ملك، فقلت : لا ، قلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه.

وسأله هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، قلت: لا ، قلت ! فقد عُرِفَ أنه لم يكن ليذر الكذب عن الناس، ويكذب على الله .... الحديث)

ويستنبط هرقل وهو إمبراطور عظيم . ذو حضارة وعلم صدق محمد في دعواه الرسالة ويقول (فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ... ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه)(١٠٢) ولم يتوقف إيمانه بذلك على الإتيان بالأمر الخارق، وهو المعجزة.(١٠٣)

## ٢- طريق أوائل المسلمين :

كان أول من آمن برسالة محمد(ص) من النساء خديجة رضي الله عنها، ومن الرجال

أبو بكر الصديق، ومن الصبيان على بن أبي طالب، وأسلم معهم زيد بن حارثة، وعثمان بن عفان وغيرهم — ولم يكن طريق إسلام هؤلاء معجزة القرآن الكريم، ولا معجزة الإسراء والمعراج، وإنما كان سبب إسلامهم وتصديقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعواه النبوة، ما كان يتصف صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الحميدة، والأوصاف الشريفة والسيرة المرضية، والكمالات العلمية والعملية، والمحاسن البديعة، والراجعة إلى النفس والبدن، والنسب الشريف، مما يجزم العقل معه، أن ذلك لا يجتمع إلا للنبي (١٠٤) وأيضاً ما كان يتصف به من ابتعاد عن عبادة الأصنام، وابتعاد عن اللهو واللعب الذي كان يفعله أترابه من سكان مكة، وبعده عن شرب الخمر الشائع بين المكيين في ذلك الوقت .

لقد كانت في دعوة النبي، وهو شخص واحد، ضعيف، فقير، أمي، ليس له أعوان ولا أنصار، ويقف أمام صناديد قريش، وعظمائها، يضلل أراهم، ويسفه أحلامهم، ويبطل دينهم، كان ذلك كله دليلاً على صدقه في دعوى الرسالة.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد عبده :

قام بهذه الدعوة العظمى وحده، لاحول له ولا قوة له، كل هذا كان منه والناس أجباء ما ألفوا، كل هذا والقوم حواله أعداء أنفسهم، وعبيد شهواتهم، لا يفقهون دعوته. ولا يعقلون رسالته....

ثم يقول : ماهذه القوة في ذلك الضعف؟ ماهذا السلطان في مظنة العجز ، ما هذا العلم في تلك الأمية؟ ... ذلك خطاب الله القادر على كل شيء، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ذلك أمر الله الصادق يقرع الأذان، ويشق الحجب.

أي برهان على النبوة أعظم من هذا ؟ أمي قام يدعو الكافرين إلى فهم ما يكتبون وما يقرؤون ، بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ليمحصوا ما كانوا يعلمون، ناشئ بين الواهمين هب لتقويم عوج الحكماء (١٠٥)

وهكذا نجد إسلام هؤلاء الأوائل من الصحابة، وتصديقهم الرسول صلى الله عليه وسلم قائماً على بساطة المعرفة بأخلاقه، وصفاته الحميدة في حياته الأولى، قبل النبوة.

من الأدلة القوية والواضحة على صدق سيدنا محمد في دعواه الرسالة ما كتبه بعض المستشرقين والعلماء الأجانب، ومن ذلك ما قاله الدكتور (ليتز) عن رسولنا محمد. (إنني لأجزم بكل أدب أن أقول : إن الله الذي هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها، لو كان يوحى إلى عباده، فدين محمد هو دين الوحي، ولو كانت آيات الإيثار، والأمانة والإعتقاد الراسخ القوي، ووسائل التمييز بين الخير والشر، ودفع الباطل هي الشاهدة على الإلهام، فرسالة محمد هي هذا الإلهام)(١٠٦).

ويقول البروفيسور (بدرسورث سميث) (عندما ألقى نظرة إجمالية، استعرض فيها صفاته، وبطولاته، ما كان منها في بدء نبوته، وما حدث منها فيما بعد وعندما أرى أصحابه، الذين نفخ فيهم روح الحياة، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا)(١٠٧) أجد أقدس الناس، وأعلام مرتبة، حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلاً)(١٠٨).

إنه صلى الله عليه وسلم كان متصفاً بالإيثار، والإخلاص، وسمو الأخلاق، ولذلك ليس غريباً أن يقال : إنه كان نبي الله، وإنما الغريب أن ينكره أحدنا ، عناداً وغروراً. إننا عندما نسلم بدعواه النبوة يمكننا أن نفسر سِرَّ حياته العجيبة، التي لم نجد لها مثيلاً في التاريخ. ولذلك نجد البروفيسور (سميث) يدعو البشرية إلى الإيمان برسالته فيقول

(لقد ادعى محمد لنفسه في آخر حياته نفس ما ادعاه لها في بداية رسالته، وإنني لأجدني مدفوعاً إلى الإعتقاد. بأن كلاً من الفلسفة العليا، والمسيحية الصادقة سوف تضطربان، يوماً ما ، إلى التسليم بأنه كان نبياً ... نبياً صادقاً من عند الله)(١٠٩) ويقول البروفيسور (ستويارت) (إنه لا يوجد مثال واحد في التاريخ الإنساني بأكمله يقارب شخصية محمد. ثم يقول ... ألا ما أقل ما امتلكه من الوسائل انادية، وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية فلن نجد فيه اسماً منيراً هذا النور، واضحا هذا الوضوح، غير إسم النبي العربي)(١١٠)

إن هذا الأمر هو أعظم دليل على كونه صلى الله عليه وسلم مرسلأ من لدن الحق تبارك وتعالى، وقد اعترف السير (وليام ميور) ذلك العدو اللدود للإسلام بهذا الأمر بطريقة غير مباشرة حين قال :

(لقد دفن محمد مؤامرات أعدائه في التراب، وكان يثق بانتصاره ليل نهار، مع حفنة من الأنصار والأعوان، رغم أنه كان مكشوفاً عسكرياً من كل ناحية)(١١١)

ومن شهادات العلماء الأجانب والمستشرقين على صدق رسالة محمد (ص) وعلى صدق القرآن الكريم ، ما ذكره العلامة الدكتور (عناية الله المشرقي) عن السير (جيمس جينز)(١١٢) فقد قال (عناية الله )، إنه كان يجلس يوماً مع السير جيمس، ويتناقشان في مسألة علمية، حول عبادة الله تعالى، والسجود له، والخوف منه، مستدلين على ذلك بما يشاهدونه من إبداع في هذا الكون، وهذا الخلق البديع في صنعه . وفي أثناء ذلك قرأ الدكتور (عناية الله ) على السير جيمس آية من القرآن الكريم، وهي قول الله تعالى في سورة فاطر( ومن الجبال جدد بيض، وحمر مختلف ألوانها، وغرايب سود، ومن الناس والدواب والأنعام، مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور). فصرخ السير (جيمس) قائلاً: ماذا قلت؟!... إنما يخشى الله من عباده العلماء، مدهش، وغريب، وعجيب جداً !! إنه الأمر الذي كشفت عنه، دراسة ومشاهدة، استمرت خمسين سنة. من أنبا محمداً به ؟! هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟! لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة مني ، أن القرآن كتاب، موحى به من عند الله. ثم يستطرد السير (جيمس جينز) قائلاً : (لقد كان محمد أمياً، ولا يمكنه أن يكتشف هذا السر بنفسه، ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر ... مدهش، وغريب ، وعجيب جداً)(١١٣) وذكر الدكتور (موريس بوكاي) (١١٤) في كتابه : التوراة والإنجيل والقرآن مع العلم، ما يدل على أن القرآن كتاب ، موحى به من عند الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن محمداً رسول الله حقاً. وذلك بسبب ماورد في القرآن من معلومات أثبتتها العلم الحديث، مثل (علم الأجنة)وعلم طبقات الأرض ، مما يستحيل أن يكون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، قد عرفها من نفسه، وإنما هي وحي أوحاه إليه الله، مما يدل على أن القرآن من عند الله، وأن محمداً صادق في دعواه(١١٥) ومن ذلك ما ذكره الدكتور (موريس بوكاي ) مستنداً على صدق (محمد) في دعواه الرسالة، وذلك بصدق القرآن الكريم في معطياته العلمية، فيقول في موضوع (الجنين وتكوينه، وعلم الأجنة).

(إن مقولات القرآن عن التناسل البشري، تعبر في ألفاظ بسيطة عن حقائق أولى

أنفقت مئات السنوات لمعرفتها .... ثم يستطرد فيقول : وبناء على كل هذه ، فالمقولات النظرية الخاصة بالتناسل والتوجيهات العلمية، التي يصوغها القرآن فيما يختص بحياة الأزواج الجنسية نلاحظ أنه ليس هناك أي مقولة من المقولات، التي سقناها أعلاه، تتعارض مع معطيات المعارف الحديثة، ولا مع ما يمكن أن يخرج منطقياً عليها(١١٦)

وفي موضوع (فرعون موسى) الذي غرق في البحر، بعد نجاة موسى ، يفند كلام العلماء المسيحيين في هذا الموضوع. ويؤيد ما جاء في القرآن الكريم فيقول: ( وفي العصر الذي وصل فيه القرآن للناس عن طريق محمد(ص) كانت جثث كل الفراعنة الذين شك الناس في العصر الحديث، أن لهم علاقة بالخروج- خروج بني إسرائيل من مصر - كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك، بطيبة، على الضفة الغربية للنيل، أمام مدينة الأقصر الحالية، في عصر (محمد) صلى الله عليه وسلم . كان كل شئ مجهولاً عن هذا الأمر ، ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وكما يقول القرآن، فقد أنقذ بدن هذا الفرعون، وأياً كان هذا الفرعون فهو الآن في قاعة الموميات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة، ويستطيع الزوار أن يروه، إذن فالواقع يختلف تماماً عن تلك الخرافة المضحكة، التي ربطها الأب (لورواين) خطأً بالقرآن) (١١٧) ثم يقول الدكتور (موريس بوكاي ) عن هذه المومياة(إنها شهادة مادية في جسد محنط على من عرف موسى، وعارض طلباته، وطارده في هرويه، ومات في أثناء هذه المضادة، وأنقذ الله جثته من الهلاك التام، ليصبح آية للناس كما هو مكتوب في القرآن)(١١٨)

أي بيان رائع لآيات القرآن، ذلك الذي يخص بدن فرعون ، والذي تهبه دار الآثار المصرية في القاهرة، لكل من يبحث في معطيات المكتشفات الحديثة، عن أدلة صحة الكتب المقدسة.

ويقول الدكتور(موريس بوكاي) عن القرآن أيضاً : إن من يقرأه يرى فيه (التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة، بل أكثر من ذلك، وكما أثبتناه، يكتشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي، من المستحيل تصور أن إنساناً في عصر (محمد) قد

إستطاع أن يؤلفها، وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم الآيات القرآنية، التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن(١١٩)

(أما بعد) فإبن التاريخ مع طوله لم يشهد رجلاً أدلى خصومه بآراء مثالية على سيرته وحياته، مثلما أدلى بها خصوم رسول الإسلام(١٢٠)

ويقول الدكتور (موريس بوكاي) (إن القرآن هو الوحي المكتوب، الذي لاشك فيه ولذلك كان معصوماً من كل خطأ علمي من هذا النوع)(١٢١)

ويقول أيضاً (لا يستطيع الإنسان تصور أن كثيراً من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر، وهذا بسبب حالة المعارف في عصر (محمد) صلى الله عليه وسلم ، لذا فمن المشروع تماماً أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله، وأن تعطى له مكانة خاصة جداً.... حيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا، تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي)(١٢٢)

# حاجة البشر إلى الرسالة

لماذا أرسل الله الرسل :

١- الإنسان موجود عاقل مفكر، يمكنه إدراك بعض ما ينفعه في هذه الحياة، كالأكل من الطيبات، أو الشرب من الماء الذي يرويه من الظما، وقد يدرك بعض ما يضره، كإدراكه ضرر الإحراق بالنار، أو ألم جرح الجسم، أو الجوع الشديد، ولكنه ليس في قدرة الإنسان أن يعرف كل ماينفعه وما يعود عليه بالخير. ولا كل ما يضره، أو يعود عليه بالشر.

إنه يدرك بعقله أن له خالقاً رازقاً، وأنه يجب عليه أن يشكر هذا الخالق الرازق ، ولكنه لا يمكنه أن يعرف كيف يشكره ؟ ولا بماذا يكون هذا الشكر. ولا كيفية الإحسان إلى من أحسن إليه ؟! وقد توصل كثير من العلماء إلى أن هناك حياة غير هذه الحياة، وأن الروح لا تفني، وأنها باقية بعد فناء الجسم ، وأنها تنعم أو تعذب في هذه الحياة الثانية، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبينوا كيفية هذه الحياة الأخرى، ولا كيفية النعيم أو العذاب فيها.

لهذا كله اقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل الرسل ليبينوا للناس ما ينفعهم في دنياهم وأخراتهم، ويبينوا لهم ما يضرهم في دنياهم وأخراتهم، وما الذي ستكون عليه الحياة الأخرى من نعيم ، أو عذاب أليم .

٢- وأيضاً الإنسان كائن إجتماعي، وهذا الكائن الاجتماعي لا يعيش منفرداً، وإنما لا بد له أن يعيش في جماعة، ولا بد له من التفاهم والتعامل مع هذه الجماعة، التي يعيش بينها ، ولعل أكبر دليل على حاجة الإنسان إلى الجماعة ما أعطاه الله تعالى من قوة النطق والكلام، التي بها يطلب ما يحتاج إليه من مطالب ورغبات.

وإذا كانت طبيعة الإنسان تقتضي إقامة العلاقات بين أفراد جنسه، فلا بد له من قوانين تنظم هذه العلاقات، حتى لا تصادم المصالح، وتتشابك المصالح (١٢٣)

ورب قائل يقول : إن العقل يمكنه إدراك الحقوق والواجبات وحده، ولكننا نقول : إن هذا غير صحيح، لأن العقل - غالباً - ما ينجح إلى العواطف والشهوات والمصلحة الشخصية.

وإن قيل : إن المفكرين والعباقرة من العلماء يمكنهم أن يضعوا قانوناً عاماً، يتواءم عليه الأفراد، ويتفقون عليه. فإننا نقول إجابة عن هذا القول : إن الإنسان مهما رقي فكره وسما عقله لا يستطيع أن يحيط علماً بعواقب الأمور ، مهما كانت مكانته العلمية .

لم يبق بعد ذلك إلا أن يكون (العدل) هو الأساس، الذي ينبني عليه استتباب النظام بين الجماعات - وقوانين العدل التي بها يستتب النظام لا بد أن تستمد من سلطة عليا فوق سلطة البشر ، وأن يكون الواضع لها قوة أسمى من قوة الإنسان، بحيث يستشعر من نفسه، قوة سلطانتها عليه، وقهرها له، تلك هي قوة الله تعالى. هذا ولما كانت هذه القوانين لا تصل إلى الإنسان إلا بواسطة من بني جنسه، واسطة يلتقي عندها المعنى الإلهي بالمعنى البشري، اختار الله عز وجل رسلاً كثيرين، ليلفوا أمره ونهيه، ووعدوه ووعيده، وخصهم بمزايا لهذه المهمة، وأيدهم بالمعجزات، تصديقاً لهم في دعواهم، وفضلهم على سائر خلقه.

قال تعالى ( الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير)(١٢٤) فالله عز وجل هو الذي يختار هؤلاء الرسل، ويصطفيهم، كي يجعلهم رسلاً له ، وشعراء بينه وبين خلقه من أولاد آدم عليه السلام.

ويتضح لنا من ذلك أن الإنسان بحاجة إلى مبلغ له من الله تعالى، يبلغ عنه ما ينبغي اعتقاده، وما يجب على الإنسان عمله، حتى لا يضل أو يزل ، وحتى تستقيم أمور الدنيا والآخرة، ويتمكن الإنسان من تحصيل أسباب السعادة فيهما.

فالحاجة إلى النبوة هي الحاجة إلى السعادة، تلك التي عزت أسبابها على العقل الإنساني في أحسن حالاته، وأرقى نشاطاته(١٢٥) والله عز وجل هو الذي يعلم الإنسان ويعلم حاجاته يعلم ما ينفعه، وما يضره، ( ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)(١٢٦)

### حكم الإيمان بالرسل جميعاً :-

يجب على كل مسلم أن يؤمن بأن لله رسلاً من البشر، وهؤلاء الرسل كثيرون. بدأهم الله بآدم عليه السلام، وختمهم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى (أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله)(١٢٧)



ويجب على المسلمين الإيمان والتصديق بجميع الرسل على سبيل الإجمال ، كما يجب عليهم الإيمان بخمسة وعشرين رسولاً على سبيل التفصيل، وهم الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم بأسمائهم، وقد ذكر منهم ، ثمانية عشر رسولاً في سورة الأنعام وحدها. وقد نظمهم بعض العلماء شعراً فقال :-

حتم على كل ذي التكليف معرفة      بأنبياء على التفصيل قد علموا  
في تلك حجتنا منهم ثمانية      من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو  
إدريس هود شعيب صالح وكذا      ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

فهؤلاء الرسل هم المذكورون في القرآن، وهم الذين اتفق العلماء على نبوتهم، واختلفوا في نبوة ثلاثة، ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وهم ذو القرنين، ولقمان، والعزير ، وأولوا العزم من الرسل خمسة، وهم ، محمد صلى الله عليه وسلم، وإبراهيم، وموسى ، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام.

وقد سمي هؤلاء بأولى العزم لأنهم صبروا على أذى قومهم، وتحملوا المشاق والمتاعب وتكذيب قومهم لهم، قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل)(١٢٨)

ومعنى الإيمان بهؤلاء المذكورين تفصيلاً أنه لايجوز إنكار رسالة واحد منهم، ومن أنكرها يكفر، والعياذ بالله تعالى.

### حكم إرسال الرسل على الله تعالى :

إذا كان الإيمان بإرسال الرسل ركناً من أركان الدين، وأثراً واجباً على كل إنسان فما حكم إرسال الرسل على الله تعالى ؟

هل هو واجب عليه أو جائز في حقه جل شأنه ؟!

اختلف المسلمون في هذا الموضوع على ثلاثة مذاهب .

١- ذهب المعتزلة إلى أن إرسال الرسل واجب على الله تعالى، ذلك لأن إرسالهم فيه صلاح للبشر، وفعل الصلاح واجب على الله تعالى في رأيهم ، فتكون بعثة الرسل والأنبياء واجبة على الله تعالى.

وهذا المذهب غير صحيح، فإن القول بوجود فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى، لم يعم عليه دليل واضح، بل قامت الأدلة على بطلان هذا الرأي، ذلك أن الله تعالى لا يجب عليه شيء وأيضاً إن إرسال الرسل فعل من أفعال الله تعالى، والله تعالى فاعل مختار ، إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل(١٢٩)

٢- وذهب الفلاسفة إلى أن بعثة الرسل لازمة على الله تعالى ، ولا بد من وقوعها كي يتحقق النظام الأكمل ، الذي تقتضيه العناية الإلهية ، ولا يتم هذا النظام إلا بإرسال الرسل ، ليبينوا للناس قوانين العدل التي تحفظ للناس حياتهم ومصالحهم(١٣٠) .

ويمكن الرد على الفلاسفة بأن هذا القول يؤدي إلى القول بالتعليل ونفي الاختيار عن الله تعالى ، والله عز وجل فاعل مختار ، والمختار لا يجب عليه شيء ، إنه تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، (١٣١) .

٣- أما أهل السنة فإنهم يرون أن إرسال الرسل جائز عقلاً وواقع فعلاً.

أما أنها جائزة عقلاً، فلأنها من الأمور التي لا يلزم من فرض وقوعها محال عقلي، وكل ما كان كذلك فهو جائز . فأرسال الرسل جائز عقلاً، وأيضاً إن إرسال الرسل فعل من أفعال الله تعالى، وقد ثبت بالأدلة القطعية أن أفعال الله تعالى لا يجب ولا يستحيل شيء منها عليه، فهو جل شأنه الفاعل المختار، إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل.

وأما إن الرسائل واقعة فعلاً، فلأنه قد ثبتت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأدلة المتواترة ، حتى أصبح ذلك من العلوم الضرورية، التي لا يجوز إنكارها.

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى أرسل رسلاً كثيرين، منهم من قصه علينا ومنهم من لم يقصصه علينا، قال تعالى ( ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، منهم من قصصنا عليك، ومنهم من لم نقصص عليك)(١٣٢)

وقوله تعالى ( ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً)(١٣٣) وأن الله تعالى قد أيهم بالمعجزات، وإذا ثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ثبت صدقه في كل ما يخبر به عن ربه، وقد أخبر بأن الله تعالى أرسل رسلاً كثيرين، فيجب الإيمان بهم جميعاً، على سبيل الإجمال، وليس الإنسان مطالباً بمعرفتهم على سبيل الحصر، لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك).

## المبحث الثالث

### خصائص رسالة صلى الله عليه وسلم

لقد امتازت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الرسالات بعدة ميزات وخصائص نذكر منها ما يأتي :

أولاً - عموم رسالته إلى جميع الخلق من الإنس والجن .

كانت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسالة عامة لجميع البشر، بل إنها كانت عامة للإنس والجن جميعاً، وذلك بخلاف غيرها من الرسالات السابقة عليها، فقد كانت كل رسالة تختص بقوم معينين، وجماعة خاصة، فقد كان الرسول يرسل إلى قومه خاصة، مصداق ذلك قول الله تعالى ( ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) المؤمنون آية ٢٣ وقوله تعالى (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) هود/٥١ وقوله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم(اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)هود/٦١ وقوله تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) هود/٨٤

وقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين، إلى فرعون وملئه)(١٣٤) وقال جل شأنه (وقال موسى يا فرعون إني رسول رب العالمين، حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق، فأرسل معي بني إسرائيل)(١٣٥)

من هذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم نرى أن هؤلاء الرسل جميعاً قد أرسلوا إلى أقوامهم فقط، داعين لهم إلى عبادة الله وحده ، وأن لا يشركوا معه غيره في العبادة .. وقد بينوا لهم كل ما ينفعهم في شئون دينهم ودنياهم.

أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسل إلى الناس كافة، يقول تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس، بشيراً ونذيراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(١٢٦) وقال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً.... إلى قوله تعالى فأمنوا بالله ورسوله، النبي الأمي، الذي يؤمن بالله وكلماته، واتبعوه لعلكم تهتدون)(١٢٧) وفي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحر وأسود.... الحديث)(١٢٨) فالحديث يدل بصراحة لفظه على أن الرسل قبل رسالة محمد عليه السلام كانوا يبعثون فقط إلى أقوامهم، أما محمد عليه السلام فقد أرسل إلى الأحمر، وهم الجن، والأسود، وهم بنو آدم.

أما رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الجن فيدل على ذلك قول الله تعالى ( وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين، قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ، مصداقاً لما بين يديه، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ياقومنا أجببوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجرکم من عذاب أليم)(١٢٩) وقوله تعالى ( قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن، فقالوا إنا سمعنا قرأناً عجياً ، يهدي إلى الرشد فأمنا به، ولن نشرك بربنا أحداً)(١٤٠) فهاتان الآيتان والحديث السابق يدل ذلك على أنه صلى الله عليه وسلم كان مرسلأ إلى الجن كما أنه مرسل إلى الإنس.

وربما يعترض على القول بعموم رسالة صلى الله عليه وسلم دون غيره من الرسل بقول الله تعالى (أنزل عليك الكتاب بالحق، مصداقاً لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس)(١٤١) فإن ظاهر هذه الآيات يدل على أن التوراة والإنجيل كتابان جاءا هاديين للناس، ولفظ (الناس) عام، فتكون رسالة موسى ورسالة عيسى عامة كذلك. ولكننا نقول رداً على هذا الاعتراض بأن لفظ الناس عام يراد به الخصوص، وهم بنو إسرائيل، أو نقول : إن هذين الكتابين كانا هدى للناس، من حيث إنهما بشرا برسالة سيدنا محمد (ص)، ودلا الخلق على الإيمان به، والتصديق برسالته، فكانا هاديين للناس بهذا الاعتبار.

ثانياً ومما امتازت به رسالة سيدنا محمد (ص) أن الله عز وجل جعلها خاتمة الرسالات، فليست هناك رسالة بعد رسالته ، عليه الصلاة والسلام.

مصدق ذلك قول الله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين، وكان الله بكل شئ عليماً)(١٤٢)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (فضلت على الأنبياء بست .... وذكر منها : وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)(١٤٣) وقوله في الحديث الآخر (أنا العاقب فلا نبي بعدي)(١٤٤) وورد في الأحاديث الشريفة قوله عليه الصلاة والسلام (... ولي خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب.(١٤٥)، وقد اشتهر من هذه الأسماء الخمسة إسمان، وهما (محمد) (وأحمد) وذكر هذان الإسمان في القرآن الكريم(١٤٦)

ومعنى أن رسالته صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات. أنه لا يبعث نبي بعده، فما يدعيه بعض الناس من أنهم أنبياء كذب محض، وافتراء على الله تعالى، وذلك مثل دعوى (غلام أحمد القادياني)، أو دعوى (ميرزا حسين على) البهائي . ولما كانت رسالة محمد خاتمة الرسالات كانت أمته خير الأمم، قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله)(١٤٧)

وما كانت أمة محمد عليه الصلاة والسلام خير الأمم إلا لأنه كان خاتم الأنبياء والمرسلين وكانت معجزته الظاهرة والباطرة، وهي القرآن الكريم باقية إلى آخر الزمان. وما يقال من أن جمهور المسلمين يذهبون إلى أن سيدنا عيسى عليه السلام، مازال حياً، وأنه في السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا في آخر الزمان، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب فيكون بذلك هو آخر الرسل....

فإننا نقول لهؤلاء : إن عيسى عليه السلام، عندما ينزل في آخر الزمان ، فسيعمل بشرية سيدنا محمد، وسيحكم بها، ولا يسهه إلا اتباعها والعمل بها، وهو بذلك يكون فرداً من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، يصدق هذا المعنى ويدل عليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام (لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي)(١٤٨)

ويقاس اتباع عيسى لرسول الله على اتباعه لموسى ، فهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وروي عن العرباض بن سارية السلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك. أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى، ورويا أمي ... الحديث)(١٤٩)

ثالثاً - ومن أهم الخصائص التي اختصت بها رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أنها رسالة صالحة لكل زمان ومكان، ذلك أنها خاتمة الرسالات. فلا رسالة بعدها، وبناء على هذا، فلا بد أن تكون مشتملة على كل شيء، يصلح به شأن البشرية ولا بد أن تكون صالحة لكل ما يعترض الإنسان في حياته، أو يجد له أمر في معاملاته حتى آخر الزمان.

ولأن مصدر هذه الديانة هو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والله يقول في وصف القرآن الكريم ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) (١٥٠)

ويقول تعالى ( وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله ) (١٥١)  
ويقول تعالى ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) ويقول تعالى ( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ) (١٥٢)

والقرآن الكريم. والسنة النبوية الشريفة قد اشتملا على كل ما يحتاج إليه الإنسان في عقيدته، أو عبادته، أو معاملاته مع الآخرين، سواء أكانت معاملات شخصية أو معاملات مالية أو معاملات دولية.

يدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم ( تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي ) (١٥٣)

وقد اشتمل القرآن الكريم على هذه النواحي كلها، وعلى جميع ما يصلح به شؤون الخلق لأنه الكتاب الخاتم، الذي أتم الله به الرسالات، والذي ارتضاه الله ليكون إكمالاً للدين وتتميماً للنعمة الإلهية على بني آدم، قال تعالى في شأن الدين الإسلامي، والرسالة المحمدية (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١٥٤)

ومما يوضح هذه المعاني كذلك ، أن العقائد الدينية ذكرت في القرآن الكريم بأدلتها، لأنها أساس كل شيء، وكانت التشريعات التي جاءت فيه وسطاً بين التشريعات السابقة، فلم يكلف الإسلام الناس فوق طاقتهم، ولم يحرم عليهم شيئاً من الطيبات، كما حرم ذلك على بني إسرائيل .

وأُرم، فلما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أنكروا رسالته، حسداً وبغياً منهم، وأنزل الله عز وجل في ذلك قرآناً يتلى حتى اليوم، حيث يقول عز وجل (ولما جاءهم - يعني اليهود والنصارى - كتاب من عند الله ، مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين (١٥٩)).

### شهادة التوراة والإنجيل :

ومع أن التوراة والإنجيل قد لحقهما بعض التحريف والتبديل، فقد بقي فيهما حتى الآن، ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعواه الرسالة ، وما يدل على أن هذه الكتب قد بشرت به، وأخبرت بمجيئه فقد ورد في سفر التثنية من التوراة مانصه: ( أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم، مثلك، واجعل كلامي في فمه، فيكلّمهم بكل ما أوصيه به ) (١٦٠).

فقوله في النص ( من وسط إخوانهم ) يدل على أن الرسول المبعوث من ولد إسماعيل، وليس من ولد إسحاق أو يعقوب (إسرائيل). وإلا لو كان من بني إسرائيل، لقال من وسطهم، وقوله في النص ( مثلك ) يدل على أنه (محمد) صلى الله عليه وسلم. وليس هو عيسى عليه السلام، كما فسره البعض، ذلك أن سيدنا (محمد ) يماثل (موسى ) في أمور كثيرة، فكل منهما تزوج، وولد له، وكل منهما له شريعة خاصة، جاء بها، أما عيسى فلم يتزوج، ولم يلد، وأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى .. لم يأت واحد منهم بشريعة خاصة، بل كانوا كلهم يتبعون شريعة موسى عليه السلام، ومن هنا لم يكن في بني إسرائيل نبي مثل موسى عليه السلام. (١٦١).

ويؤيد هذا المعنى الذي نذهب إليه . وهو أن التماثل في النص، إنما ينطبق على محمد، وعلى سيدنا موسى، عليهما السلام قول الله تعالى (إنا أرسلنا إليك رسلاً شاهداً عليكم، كما أرسلنا إلى فرعون رسلاً). (١٦٢).

ومن البشارات في التوراة أيضاً هذا النص (جاء الرب من سيناء ، وأشرق من ساعير، وتلاّ من جبال فاران) (١٦٣).

فالمجئ من سيناء إشارة إلى ظهور موسى عليه السلام ورسالته، والإشراق من ساعير يشير إلى ظهور عيسى عليه السلام ورسالته، والتلاّ من جبال فاران يشير إلى ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته.

وكما بشرت التوراة برسالة (محمد) صلى الله عليه وسلم، فقد وردت في الإنجيل نصوص كثيرة تشير كلها إلى النبي المنتظر، والذي ستظل رسالته إلى الأبد، ولا يخالفه أحد إلا استحق عذاب الله، فقد جاء في إنجيل (يوحنا):

(قال يسوع إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم، ويكون فيكم)(١٦٤)

وفي نص آخر يقول إنجيل (يوحنا) (والكلام الذي تسمعونوه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شئ، ويذكركم بكل ماقلتكم لكم)(١٦٥)

ويقول أيضاً (لكني أقول لكم الحق، أنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتاكم المعزى، ولكن إن ذهب أرسله لكم)(١٦٦)

وهذه النصوص تكاد تكون واضحة في البشارة برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن قوله (إن لم أنطلق لا يأتاكم المعزى) نص في رسالة تأتي من بعده، وهي رسالة سيدنا محمد (ص) وخاصة إذا عرفنا أن لفظة (المعزى) وردت في بعض الأناجيل بلفظه (الباري قليط) ومعنى هذا اللفظ (أحمد) صيغة مبالغة من الحمد، في رأي جمهور العلماء.(١٦٧)

## شهادات العلماء والرهبان :

تواردت الأخبار قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بقرب ظهور نبي من العرب، بشرت به التوراة والإنجيل، وروى التاريخ أن (سلمان الفارسي) صاحب قسيساً مدة من الزمن، وأنه كان يقول له (يا سلمان) إن الله سوف يبعث رسولاً، إسمه أحمد، من جبال تهامة، ومن علامته أن يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وكان هذا الكلام من القسيس سبباً من أسباب إسلام (سلمان الفارسي) رضي الله عنه ، عندما بلغته دعوة سيدنا محمد.



يجمع العلماء على أنه ليس هناك كتاب أصدق من القرآن الكريم في أخباره، ذلك لأنه الكتاب الذي لم يعتوره تغيير ولا تبديل، ولم يقع فيه شيء من التحريف. وإنما صانه الله تعالى، وحفظه من كل ذلك، مصداق ذلك قول الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(١٥٥)

من أجل ذلك كان القرآن الكريم، هو الكتاب الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، فأخباره كلها صحيحة، وهو بذلك أعظم شاهد على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة.

ولذلك فإنني سأعتمد أولاً عليه في توثيق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك سأذكر شهادات الكتب السابقة من التوراة والإنجيل، على صدقه، ثم شهادات العلماء من كهنة وأخبار، ومستشرقين.

لقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته، إلى أن الكتب السماوية السابقة عليه بشرت برسالة محمد (ص) ودعت إلى الإيمان به عند مجيئه، وشهادته بذلك تكون من أصدق الشهادات، وأعلاما منزلة، وأوقعها في النفوس مكانة.

من هذه الآيات قول الحق تبارك وتعالى ( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة. والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذين يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم، والأغلال التي كانت عليهم)(١٥٦) ومنها قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)(١٥٧)

ومنها قوله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري، قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)(١٥٨)

ويشير القرآن الكريم إلى أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كانوا يعرفون موعد مجيئه صلى الله عليه وسلم، وكانوا يقولون لشركي العرب، إذا اختلفوا معهم في أمر ما لقد أظننا زمان نبي، يبعث في العرب، سنؤمن به، ونتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد

ولما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام على الأوس والخزرج في بيعة العقبة سارع الأنصار إلى الإيمان به ، وقال بعضهم لبعض ، هذا الذي حدثكم عنه اليهود ، فلا يسبقنكم إليه(١٦٨)

ومما يوثق نبوة(محمد) صلى الله عليه وسلم تاريخياً شهادة (بحيرا) الراهب المسيحي، فقد روى المؤرخون أن (أبا طالب) كان في تجارة له ولقريش بالشام، وقد صحبه فيها ابن أخيه (محمد) وهو غلام في الثانية عشرة من عمره، وأن الراهب (بحيرا) صنع طعاما لقافلة قريش، ودعاهم إلى تناول هذا الطعام، فلما حضروا، وكان من بينهم (محمد) (ص) أخذ ينظر إليه الراهب نظراً شديداً، ويتعرف على بعض صفاته، وتحايل حتى رأى خاتم النبوة بين كتفيه، فلما رأى علامات النبوة المذكورة عنده في الكتب المقدسة، منطبقة على ماشاهده في (محمد من علامات ، نصح (بحيرا) عمه أبا طالب أن يرجع بابن أخيه ، خوفاً عليه من اليهود(١٦٩)

وسافر النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في تجارة خديجة إلى الشام مرة ثانية، وكانت سنة تقرب من الخامسة والعشرين، وكان معه غلامها ميسرة، فلما وصل بالتجارة سوق (بصرى) بالشام، نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة بالقرب من صومعة الراهب (نسطورا)، فقال الراهب (نسطورا) ياميسرة، من هذا الذي ينزل تحت هذه الشجرة، فقال:رجل من قريش من أهل الحرم، فقال الراهب : مانزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي(١٧٠)

ويرد أنه لما أكثر نصارى نجران النقاش مع النبي محمد (ص) أنهى الموقف معهم بأن دعاهم إلى المباحلة، وهي أن يجتمع كل طرف، ومعه عشيرته، ويتوجهوا إلى الله تعالى أن يهلك الكاذب، فخاف النصارى لأنهم يعلمون أنه نبي حقاً. وأن عيسى عليه السلام قد بشر به(١٧١)

وهناك شهادات من علماء النصارى المحدثين، ومن ذلك قول (ثلينو)(١٧٢) الذي كان يقوم بالتدريس في الجامعة المصرية القديمة أن (الباري قليط) معناه في اللغة اليونانية القديمة (الأحمد). ومن ذلك شهادة الدكتور (موريس بوكاي) في كتابه : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم وهو عالم وطبيب فرنسي معاصر(١٧٣)

## المبحث الرابع

هذا هو الموضوع الثالث من الموضوعات الثلاثة الكبيرة التي يقوم بدراستها علم العقيدة الإسلامي، وهذه الموضوعات على الترتيب هي : ١- الإلهيات ٢- النبوات ٣- السمعيات .

وقبل أن نتحدث عن السمعيات، نقدم لذلك بتمهيد نبين فيه أن العقل لا يغني عن الشرع وما يأتي منه "بالسمع"، إذ ليس معنى أن هناك أحكاماً عقلية، أن هذه الأحكام تثبت بالعقل فقط، دون الشرع، كلا !!! فإن نصوص الشرع الشريف قد جاءت بأصول الدين، وكشفت للعقل الإنساني عن كثير مما خفى عليه، وقصر عن إدراكه، فقد وردت في الشرع أمور من مسائل العقيدة، تهدي الإنسان إلى سواء السبيل، وتسلك به طريق الحق والهدى، ولولا ما جاء به الشرع الشريف من البينات والهدى في أمور العقيدة، لارتكس العقل، وضل عن الطريق المستقيم، وعدم وجود الشرع والوحى يجعل للناس العذر ، ويسقط عنهم بسببه التكليف، قال تعالى (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيماً)(١٧٤)

وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)(١٧٥)

وقال تعالى (ولو أنا أهلكتهم بعداب من قبله ، لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)(١٧٦)

بل إن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد جاءوا بما تحار في إدراك حقيقته العقول، وتعجز عن فهم حقيقته الأفكار، وذلك مثل سؤال الميت في قبره، وتنعيمه أو تعذيبه فيه، وحياة أهل النار في النار — ولكنها مع ذلك أمور لا تحيلها العقول، ولا تقوى على إبطالها الأفكار، ولا تجد عندها من الأدلة المقنعة ما يردّها أو ينقضها. بل إن العقول

الإنسانية اليوم، قد وصلت بتوفيق الله لها ، وهدايته إياها، إلى ما يصدق هذا وأمثاله، مما جاءت به الرسل، وإنها قد توصلت إلى أمور بعقلها الإنساني سبق لها أن أنكرتها، وذلك مثل حادث الإسراء والمعراج للرسول صلى الله عليه وسلم، فلقد سخرت الإنسانية من هذا الحادث عند وقوعه ، ولم تصدق به ورمت صاحبه بالسحر والكهانة ، أو الخبال والجنون ، مع أنها قد توصلت اليوم إلى ما يؤكد ذلك، من مثل الطائرات النفاثة، التي هي أسرع من الصوت، ومثل سفن الفضاء التي تنقل الإنسان من فلك إلى آخر في دقائق معدودات. ولم يكن إنكارهم قديماً إلا لأنها أمور لم تقع تحت حسهم، ولم تكن من الأمور المألوفة لهم أو المعهودة عندهم - لذلك يجب على الناس أن يعترفوا بقصور العقل، وأن يقرروا بأن إدراكه حدوداً لا يتعداها، وغاية يقف عندها، ويجب عليهم كذلك أن يؤمنوا بما صرح من وحي الله تعالى لرسله، ويسلموا بكل ما جاءت به الرسل.

فإن اتهموا فليتهموا عقولهم بالقصور والتقصير ، دون أن يتهموا الله ورسله، قال تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد. ألا إنهم في لقاء ربهم، ألا إنه بكل شيء محيط)(١٧٧)

فإن حجب الإنسان عن إدراكه لهذه الأمور ركوبه لرأسه، أو اتباعه لهواه وعقله، لجهالة قائمة بذاته، أو عرض يسعى إليه، ثم جادل بالباطل ليدحض به الحق، فإنه سينهزم في النهاية، وتكون الغلبة عليه، وسيقع في الهوان والباطل، وقل جاء الحق، وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً : قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه. وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)(١٧٨)

ويعد : فإن علماء العقيدة يقصدون بالسمعيات المسائل العقديّة التي يجب الإيمان بها، والتصديق بوقوعها، مع أن دليلها السماع فقط، من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والإجماع. فهي أمور لم تثبت بالدليل العقلي، وإنما دليلها النصوص الشرعية، الواردة في الكتاب الكريم أو السنة النبوية الصحيحة.

وذلك لأن أغلب مسائل السمعيات أمور غيبية، لا يمكن إثباتها بالعقل الإنساني المجرد ولا بالإحساس والمشاهدة.

وذلك مثل الملائكة، والجن ، فهم عوالم ورد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهم خلق لا يمكن إدراكهم بالعقل ولا بالحواس.

ومثل أحوال يوم القيامة من البعث والحساب والميزان، والجنة والنار، وغيرها مما ورد ذكره في الكتاب والسنة النبوية، وهي أمور لم توجد بعد ، ولكنها ورد ذكرها في القرآن فيوجب الإيمان بها.

والعقل الإنساني قاصر عن الإستدلال عليها، لأنها لا تقع في مجال إدراكه، فهي لا تعتمد في إثباتها على القضايا الفطرية ، البديهية، ولا تقع تحت الحس والتجربة الإنسانية، ومع ذلك فالعقل لا يمكنه إنكارها، ولا الإستدلال على نفيها، لأنها أمور ممكنة تدخل في إطار قدرة الله تعالى الكاملة، وعلمه المحيط بكل شيء.

بل إن العقل يجب عليه أن يؤمن بها، لأنه مادام قد ثبتت عنده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وثبت صدقه في كل ما جاء به . وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بهذه الأخبار في الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة، فيجب الإيمان بها، والتصديق بوقوعها.

وعلاوة على ما تقدم فإن الإيمان بالحياة الآخرة، ومسألة الثواب والعقاب فيها، قد يثبت العقل الصريح، ذلك أن الله تعالى موصوف بالعدل، ولا يظلم ربك أحداً، وقد خلق الله الخلق من الإنس والجن لعبادته، قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(١٧٩) وكلفهم بأوامر ونهاهم عن منهيّات، وهؤلاء المكفون منهم من أطاع ربه، وعمل بأوامره، واجتنب منهيّاته، ومنهم من عصى الله تعالى، ففعل المنكرات، وارتكب المنهيّات.

وليس من العدالة أن يسوى الله تعالى بين المطيعين، والمذنبين، ليس من العدالة أن يسوى بين المستقيمين والفجار، وإنما سيجازي الله تعالى كل فرد على عمله، من عمل خيراً فجزاؤه خير، ومن عمل شراً فجزاؤه من جنس عمله، قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)(١٨٠)

ويقول تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(١٨١)

فاتصاف الله تعالى بالعدل، وتحريمه الظلم على نفسه جل شانه، يقتضي كل ذلك الإيمان بالثواب والعقاب، وذلك الثواب والعقاب سيكون في الدار الآخرة، دار الثواب والعقاب، فالإنسان في الآخرة إما في الجنة، في نعيم مقيم، وإما في النار في عذاب أليم.

والسمعيات مسائل كثيرة، وموضوعات متعددة، وسنكتفي بالكلام على أهمها فنقول وبالله التوفيق .

## ١- الإيمان بالملائكة :

الملائكة خلق من مخلوقات الله تعالى، وعالم من عوالم الغيب ، لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وقد عرفهم علماء العقيدة فقالوا : الملائكة أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التشكل بالأشكال الحسنة.

وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله).سورة البقرة/٢٨٥

وقال تعالى (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع)(١٨٢) وقال تعالى ( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ، ثم إلى ربكم ترجعون)(السجدة/١١)

وقال تعالى ( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)(١٨٣)

وقد ورد ذكرهم في أحاديث كثيرة منها الحديث المشهور، الذي اتفق عليه البخاري ومسلم، والمعروف بحديث (جبريل) عليه السلام، فقد سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً له (ما الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر)(١٨٤)

ومن هذه الآيات والأحاديث التي ذكرناها، وغيرها، نعلم أن الملائكة حقيقة ثابتة، وأنهم خلق من مخلوقات الله تعالى، وعالم من عوالمه، يجب الإيمان بهم، والتصديق بوجودهم، وأن من ينكر الملائكة يكون كافراً، لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

وقد ورد في القرآن الكريم بعض أسمائهم، مثل جبريل، وميكائيل، وإسرايل، كما ورد في السنة إسم منكر ونكير، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار.

ومن صفات الملائكة : أنهم معصومون بفطرتهم لقوله تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)(١٨٥) وقوله تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وأنهم منزّهون عن خصائص البشر، فلا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة ، ولا ياكلون ولا يشربون، ولا يتناسلون.

وأن لهم وظائف متعددة، فمنهم حملة العرش، ومنهم ملك الوحي جبريل عليه السلام، ومنهم الحفظة والكتبة قال تعالى (وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون)(١٨٦) وقال تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)(١٨٧)

## ٢- الإيمان بالجن

الجن خلق من مخلوقات الله تعالى، وعالم من عوالمه الكثيرة، المنبئة في هذا الوجود. ويعرفهم علماء العقيدة : بأن الجن خلق قادر على التشكل بأشكال مختلفة، وأنه يظهر عنهم الأفعال العجيبة، وهذا العالم مخلوق من النار، لقوله تعالى (والجان خلقنا من قبل من نار السموم)(١٨٨) وقوله تعالى على لسان إبليس (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)سورة ص/٧٦

ومن صفاتهم :

(١) أنهم مخلوقون من النار للآيات السابقة.

(٢) أنهم يتناكحون ويتناسلون لقوله تعالى (أفتخونونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عير ، بنس للظالمين بدلاً)(١٨٩)

(٣) وهم من العقلاء، ولذلك كفهم الله تعالى بعبادته، وتوحيده، مثلهم في ذلك مثل الإنسان ، قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

(٤) والجن منهم المؤمنون والصالحون، ومنهم العصاة المذنبون، قال تعالى (وأنامنا الصالحين، وما دون ذلك كنا طرائق قدا)(١٩٠)

(٥) والجن لا يملكون للبشر ضرا ولا نفعا، إلا بمشيئة الله تعالى، ذلك أن النافع والضار هو الله تعالى، لقول الرسول (ص) في حديث ابن عباس رضي الله عنهما (ولو اجتمعوا- الإنس والجن- على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ كتب الله عليك، جفت الأتلام وطريت الصحف).

وأنهم لا يعلمون الغيب لقوله تعالى ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول)(١٩١)

من هذه الآيات وغيرها نعلم أن الجن خلق من مخلوقات الله تعالى، وأنه يجب الإيمان بوجودهم وأن منهم الصالحين والكافرين، وأن من ينكر وجودهم يكون كافرا، لأنه أنكر ما علم من الدين بالضرورة.

### تنبيه :

ورد في القرآن الكريم ألفاظ : الإنسان، والجن، والشياطين.

وقد عرفنا أن الإنسان والجن خلقان من مخلوقات الله تعالى العقلاء، وأن الإنسان مخلوق من الطين، وأن الجن مخلوقون من النار .. وأن كلا من الإنسان والجن مكلف، وأن فيهم الطائعين المؤمنين، وفيهم الكافرين والمذنبين.

فما المراد بالشیطان ؟! القول الصحيح في ذلك أن الشيطان هو العاصي والمذنب من الإنس والجن لقوله تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)(١٩٢) وقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا، شياطين الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)(١٩٣) وعلى ذلك فالشيطان هو المتمرد من النوعين. والعاصي من كل من الإنس والجن.



## العرش والكرسي والقلم واللوح

هذه الأمور الأربعة ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الصحيحة، وهي أمور ممكنة عقلاً لأنها تدخل في محيط قدرة الله تعالى ، فيجب الإيمان بها، ولكنه لا يجوز الخوض في بيان حقيقتها ، بل يجب تفويض العلم بحقيقتها إلى الله تعالى، من حيث إنها من الأمور المغيبة عنا .

فالعرش : جسم عظيم علوي فوق السموات السبع، ورد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من آية، قال تعالى (نو العرش المجيد فعال لما يريد) سورة البروج، وقال تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش)(١٩٤) وقال ( الرحمن على العرش استوى)(١٩٥) وقال تعالى (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) النمل/٢٦، وقال تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم)(١٩٦) وقال جل شأنه (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)(١٩٧)

والكرسي : جسم عظيم علوي فوق السموات والأرض، ورد ذكره في القرآن الكريم في آية الكرسي، قال تعالى (وسع كرسیه السموات والأرض)(١٩٨)

وقد قال بعض العلماء : إن الكرسي هو العرش، والصحيح أنه غيره، فقد روى ابن أبي شيبة والحاكم في المستدرک، وقال إنه على شرط الشيخين ، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله تعالى (وسع كرسیه السموات والأرض) أنه قال : الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى)(١٩٩)

والعرش والكرسي موجودان علويان، خلقهما الله تعالى، وهو غني عنهما، وليس محتاجاً لهما، ومحيط بهما، قال تعالى (إن الله لغني عن العالمين) العنكبوت/٦، وقال تعالى (والله هو الغني الحميد) فاطر / ١٥ .

وإنما خلقهما الله تعالى لحكمة لا نعلمها، فهو سبحانه فوق العرش مع أنه مستغن عنه،

قال تعالى (والله من وراءهم محيط) وقال جل شأنه (ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شئ محيطاً)(٢٠٠)

وردى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى (هو الأول والآخر، والظاهر والباطن) الحديد/٣، فسرهُ بقوله (أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)(٢٠١)

والقلم : مخلوق علوي خلقه الله تعالى ، وورد ذكره في القرآن الكريم، حيث أقسم به جل شأنه في قوله تعالى ( ن والقلم وما يسطرون). وقد أمره الله تعالى أن يكتب كل شيء أن يكتب جميع ما كان وما يكون إلى قيام الساعة.

واللوح : جسم عظيم علوي، كتب فيه القلم بإذن الله تعالى جميع ما كان، وما يكون إلى قيام الساعة، وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، وأجمع عليه المسلمون، قال تعالى (بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ) البروج/٢١. ٢٢ وقال تعالى (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون)(٢٠٢)

ومن هنا نعلم أن هذه الأمور الأربعة : العرش والكرسي، والقلم واللوح، من مخلوقات الله تعالى وأنه يجب الإيمان بها، أما حقيقتها فإله أعلم بها، ولسنا مكلفين بالعلم بها، فذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه، وأمره مفوض إليه، ويكفي أن ندرك العظمة والإعتراف من خلقها، وأن نعلم أن الله تعالى قادر على كل شيء، وأن العالم مملوء بالمخلوقات العجيبة، التي لم نعرف عنها إلا اسمها، وذلك مثل العقل والنفس الإنسانية، بل هناك من الموجودات أشياء لا نعرف حتى أسمائها، وذلك تقدير العزيز العليم.

## حياة الإنسان في القبر

مما يجب الإيمان به أن حياة الإنسان لا تنتهي بالموت، وإنما الإنسان ينتقل من حياة إلى حياة أخرى، إذ أنه ينتقل من حياته الدنيوية إلى حياة ثانية، يسميها العلماء (حياة البرزخ) ذلك أنه بعد أن يوضع الإنسان في قبره، يرد الله تعالى إليه روحه، ويأتيه ملكان، ويسألانه سؤال القبر.

وقد ورد في سؤال القبر أحاديث كثيرة منها (أنه إذا انصرف الناس بعد دفن الميت، يأتيه ملكان، يقال لأحدهما منكر، وللآخر نكير، يقعدانه ، ويعيد الله الروح إليه، وعندئذ

يسأله الملكان، من ربك ؟ وما دينك؟ وما تقول في الرجل الذي بعث فيكم ؟!

فأما المؤمن فيقول : ربي الله، ودينني الإسلام، والرجل الذي بعث فينا هو محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له : أنظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة، فيراهما جميعاً. وأما الكافر أو المنافق فيقول : هاه، هاه ، لا أدري، فيقولان له : لا دريت، ولا تليت ويصيبه من العذاب ما قدر له)(٢٠٣)

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، وقال استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل)(٢٠٤)

وعن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال نبي الله (ص) (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه ، إنه يسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، ويقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد صلى الله عليه وسلم، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له : أنظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً)(٢٠٥)

وقد ورد أن قول الله تعالى في سورة إبراهيم (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أنها نزلت في سؤال القبر، وأن المراد بالقول الثابت في الحياة الدنيا هو كلمة التوحيد، والمراد بالقول الثابت في الآخرة، التثبيت عند سؤال القبر.

### عذاب القبر ونعيمه :

لقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله ( القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار) وورد في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : (إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة)

وردد قول الله تعالى في شأن قوم نوح (أغرقوا فأدخلوا ناراً). يقول العلماء إن (الفاء) للترتيب مع التعقيب، ومعنى ذلك أن دخولهم النار كان عقب إغراقهم مباشرة ، وهذا دليل على عذاب القبر فإن القيامة لم تأت بعد.

وكذلك قول الله تعالى (وحاق بال فرعون سوء العذاب، النار يعرضون عليها غدواً

وعشيا، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)(٢٠٧)

فعرضهم على النار بالغداة والعشي إنما يكون في الدنيا، وليس ذلك في الآخرة بدليل العطف في قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) والعطف يقتضي المغايرة . فيكون العذاب غدواً وعشيا في القبر، بخلاف عذاب يوم القيامة. الذي وصفه الله تعالى بأنه أشد العذاب.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإثبات عذاب القبر ونعيمه لمن هو أهل لذلك، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من عذاب القبر، ويطلب من الصحابة أن يتعوذوا منه، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به.

أما كيفية ذلك فالله أعلم بها، والعقل قاصر عن الوقوف على كيفية النعيم أو العذاب لأن ذلك ليس في قدرة العقل أن يدركه، ومع ذلك فالعقل لا يحيله، لأنه مما يدخل تحت قدرة الله تعالى، وإن كان ذلك مما تحار فيه العقول، ولكن قدرة الله تعالى أوسع من ذلك وأعجب، فقد أرانا الله في هذه الدنيا من عجائب قدرته ما هو أبلغ من ذلك، ألا ترون أن النار ومن طبيعته الإحراق لم تحرق سيدنا إبراهيم حينما ألقى فيها، ويقول العلماء أن هناك بعض الديدان تعيش في بطون الحيوانات وفي بطن الإنسان وأنها تنعم وتعذب ولا يدرك الإنسان من ذلك شيئاً، وإن ذلك لمن أوضح الأدلة على نعيم القبر وعذابه.

والسؤال في القبر ليس قاصراً على سؤال الروح وحدها، كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء، وإنما السؤال للبدن والروح معاً . — وكذلك التنعيم والتعذيب إنما هو للروح والبدن جميعاً.

### تنبيه :

إن المراد بعذاب القبر ونعيمه (عذاب البرزخ) ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب، فإنه سينال نصيبه منه، سواء قبر أو لم يقبر، سواء أكلته السباع، أو احترق وصار رماداً، أو غرق في البحر، وأكلته الأسماك، فإنه سيصل إلى بدنه وروحه من العذاب ما يصل إلى المقبور، — وماورد من إجلال الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فإنه يجب أن يفهم مراد الرسول صلى الله عليه وسلم منه في ضوء قدرة الله تعالى وعلمه من غير غلو ولا تقصير.

وقوله تعالى ( قال من يحيى العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا، فإذا أنتم منه توقنون)(٢١٢) وقوله تعالى (وأن الله يبعث من في القبر)(٢١٣)

وقد ورد في السنة أن أبي بن خلف خاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتاه بعظم قد رم وبلى، وفنته بيده، ثم قال : يا محمد : أترى أن الله يحيي هذا بعد مارم وبلى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، نعم، ويبعثك، ويدخلك النار).

### المنكرون للبعث وموقف القرآن منهم :

ومع أن الأديان كلها قررت عقيدة البعث، وبينت أن هذه العقيدة قائمة ، على أساس لعدل الإلهي، الذي يقوم على حسن إثابة الطائع، وعقاب العاصي، وإنه لا يجوز أن يسوى الله تعالى بين المؤمن والكافر، والتقي والفاجر، كما قال جل شأنه (أم نجعل الذي آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار). (٢١٤) ومع ذلك فقد أنكر عقيدة البعث أناس كثيرون على مدى التاريخ البشري .

ويحكي القرآن لهؤلاء المنكرين أساليب متعددة، وصورا مختلفة. إذ يقول بعضهم كما يحكي القرآن (وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين) الأنعام/٢٩

وقولهم (إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أأنا لمبعوثون)(٢١٥)

وقولهم (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاما أنكم مخرجون، هيهات هيهات لما توعدون، إن هي إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا، وما نحن بمبعوثين)(٢١٦)

ولكن القرآن الكريم يرد على هؤلاء المنكرين، ويبين أن البعث واقع لا محالة، وأن ما اعتمد عليه هؤلاء المنكرون ما هو إلا زعم باطل، وأوهام ضعيفة، لا تقف أمام الحقيقة الواضحة، والادلة القوية، فإعادة الإنسان بعد موته، وبعثه مرة أخرى ، ليلقى جزاءه أمر ممكن، لأنه واقع تحت قدرة الله تعالى الكاملة، وعلمه المحيط بكل شئ. ولا ينكر ذلك إلا جاحد أو مكابر.

وقد استدل القرآن الكريم على عقيدة البعث بعدة أدلة نذكر منها دليين:-

وقد اتهم المعتزلة بأنهم ينكرون عذاب القبر، ولكن القاضي عبد الجبار وهو معتزلي ينفي هذه النسبة، ويردها قائلاً: إن الأمة أجمعت على الإقرار بعذاب القبر ونعيمه ويقول: إن الذي خالف في ذلك هو ضرار بن عمرو، الذي كان معتزلياً، ثم تحول عنهم إلى الجبرية، فنسب القول بنفي عذاب القبر إلى المعتزلة، بسبب مقالة ضرار بن عمرو هذا وليس الأمر كذلك(٢٠٨)

## البعث

البعث في نظر جمهور المسلمين هو إحياء الموتى، وإخراجهم من القبور بعد إعادة أجسامهم . وإعادة الأرواح إلى تلك الأجساد.

والبعث بهذا المعنى من العقائد السمعية، التي وردت الأخبار بها في الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الشرائع، فيجب الإيمان به.

لقد أخبر به نوح عليه السلام، حيث يقول الله تعالى حكاية عنه ( والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً)(٢٠٩)

وأمن به إبراهيم عليه السلام وسأل ربه كيف يحيي الموتى ، قال تعالى ( وإذا قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن، قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم ادعهن يأتينك سعيًا، واعلم أن الله عزيز حكيم)(٢١٠)

كما ورد في القرآن أن الله تعالى أخبر موسى عليه السلام به حيث قال (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها، واتبع هواه فتردى)(٢١١)

وهكذا نجد أن الرسل جميعاً يقررون البعث، ويؤمنون به.

والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي تثبت البعث ، والإحياء بعد الموت، والتي ترد على من ينكر هذه العقيدة الحق، قال تعالى ( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى وربى لبعثن ثم لتنبئن بما عملتم، وذلك على الله يسير) التغابن/٧

١- الدليل الأول : دليل النشأة الأولى ، قال تعالى (كما بدأتم تعوبون)، وقال تعالى (أحسب الإنسان أن يترك سدى، ألم يك نطفة من مني يعني، ثم كان علقه فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين، الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى(٢١٧)

وهذا الدليل في غاية الوضوح والبيان، ولا يحتاج إلى عمق في التفكير، ولا إلى بحث وتفتيش، إذ يكفي الإنسان أن يدرك كيف كان خلقه ، وكيف كان تكونه، فإذا أدرك أن الله تعالى خلقه من نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم كونه خلقاً آخر، إنساناً في أحسن تقويم، إذا أدرك كل ذلك أدرك أن إعادته بعد موته أهون من بدنه، قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ، ثم يعيده وهو أهون عليه)(٢١٨)

٢- الدليل الثاني : دليل خلق السموات والأرض : يقول تعالى في سورة (يس) وهو يرد على منكري البعث (أوليس الذي خلق السموات الأرض بقادر على أن يخلق مثهم، بلى وهو الخلاق العليم، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)(الآيات من سورة يس

فأله عز وجل يقرر في هاتين الآيتين، أنه خلق السموات والأرض ، وأن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأعظم منهم، ويبين أن القادر على خلق الأمر الأعظم، قادر على خلق الأمر الأدنى والأصغر، وخلق الإنسان وإعادته أسهل وأيسر— بحسب المقاييس البشرية — من خلق السموات والأرض، فإذا كان الله تعالى قادراً على خلق السموات والأرض، وهي من أعظم المخلوقات، فقدرته على خلق الإنسان وإعادته من باب أولى، قال تعالى ( لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون )(٢١٩)

ولاشك أن من كان قادراً على خلق السموات والأرض، وهما من الأمور العظيمة، قادر على إعادة الإنسان بعد الموت، كي يلقي جزاءه في الآخرة، ثواباً على طاعته، أو عقاباً على معصيته.

ويؤيد هذا الفهم قوله تعالى في آخر الآيتين (بلى وهو الخلاق العليم ) بصيغة المبالغة في الإسمين : خلاق، وعلیم، ثم قوله تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)(٢٢٠) فأمره تعالى كنه، المترتب على إرادته، إنما هو بين الكاف والنون (كن).

## الحشر والحساب والسؤال

الحشر في لسان الشرع : عبارة عن سوق الخلق جميعاً بعد بعثهم إلى موقف الحساب للقضاء بينهم، وقد ورد ذكر الحشر في أكثر من آية في القرآن الكريم، قال تعالى (واعلموا أنكم إليه تحشرون)(٢٢١) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً، يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس .... إلى قوله : قال النار مثواكم، خالدین فيها إلا ما شاء الله، إن ربك حكيم عليم)(٢٢٢)

وقال تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً، ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) مريم/٨٥/٨٦ وقد أخبر الله تعالى عن أحوال الضالين المجرمين في يوم الحشر، فقال (ومن يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه، ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ماؤاهم جهنم، كلما خبت زدناهم سعيراً)(٢٢٣)

وقد بينت السنة الشريفة أحوال الناس في المحشر يوم القيامة، وأنهم سيكونون على أوضاع مختلفة، فمنهم الراكب، ومنهم الماشي على قدميه، ومنهم الأعمى، ومنه الأصم الأبكم، ومنهم من يمشي على وجهه ، وقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)(٢٢٤)

وأما الحساب: فالله عز وجل قد أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، وقد بينت الرسل لأممهم طريق الخير، وطريق الشر، وبينت لهم طريق الحق، وطريق الضلال، لنلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ومن هنا اقتضت العدالة الإلهية أن يحاسب الله كل إنسان على فعله، وهذا الحساب سيكون بعد الحشر، قال تعالى (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال تعالى حكاية عن استعاذة سيدنا موسى عليه السلام ممن ينكر يوم الحساب (وقال موسى: إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)(٢٢٥)



والحساب سيكون للخلق جميعاً، وسوف لا يحتاج إلى وقت طويل ، لقوله تعالى (إن الله سريع الحساب)(٢٢٦)

أما كيفية الحساب فالله تعالى أعلم بها،

وأما أنواعه فكثيرة، فمنه السرُّ والجهر، ومنه اليسير والعسير، ومن الناس من يدخل الجنة بغير حساب، ومنهم من يدخل النار بغير حساب كذلك.

وورد في القرآن الكريم قول الله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيراً)(٢٢٧)

ودى الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقالت عائشة يارسول الله ، أليس قد قال الله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما ذلك العرض فإن من نوقش الحساب عذب)(٢٢٨)

ولعل الحكمة في السؤال والحساب، مع أن الله تعالى عالم بما أحدثه الخلق جميعاً في الدنيا، راجعة إلى أن الله تعالى، يريد إظهار فضائل الصالحين، وذائل العصاة والمُنْبِين، على رؤوس الأشهاد، تكريماً للأولين، وسخرية واستهزاء بالآخرين.

وأما السؤال يوم القيامة : فسيكون للخلق جميعاً أيضاً، يسأل الله تعالى الأنبياء والمرسلين عن تبليغ الرسالة ويسأل المؤمنين والكافرين عن إيمانهم بالرسول، وعن أعمالهم التي عملوها في الدنيا — وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، قال تعالى (فلنسألن الذين أرسل إليهم، ولنسألن المرسلين، ثم لنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين)(٢٢٩)، وقال تعالى (فوريك لنساكنهم أجمعين) وقال تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون). الزخرف/٤٤

وقال تعالى(يوم يجمع الله الرسل، فيقول ماذا أجبتكم، قالوا لا علم لنا ، إنك علام الغيوب)(٢٣٠)

وزيادة في إلزام الناس، وإقامة الحجة عليهم يوم القيامة بما عملوا في الدنيا، أنه

سيضاف إلى عملية السؤال والحساب، ما يزيد عدالة الله تعالى، وإنصافه لخلقه، وتنزهه جل شأنه عن الظلم والجور. وذلك حين يأخذ كل إنسان صحيفة عمله بيده، شاهدة عليه، قال تعالى (وكل إنسان أزمانه طائر في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً)(٢٣١) وقوله تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه، ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً)(٢٣٢)

وأكثر من ذلك فإن جوارح الإنسان وأعضائه تنطق - بقدره الله تعالى - وتشهد مؤكدة لما هو مسطر في الصحف، قال تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) سورة النور/٢٥

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة، وإليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون)(٢٣٣)

والمقصود من سؤال الكفار والعصاة هو التقرير والتوبيخ لهم أمام الناس، والمقصود من سؤال الرسل مع العلم بأنهم قد بلغوا رسالاتهم، إنما هو الرد على الكفار، حينما ينكرون التبليغ، ويقولون : ما جاعنا من بشير ولا نذير)(٢٣٤)

## الشفاعة

من الأمور التي ستكون في اليوم الآخر ما يعرف في العقيدة الإسلامية بالشفاعة : وهي لغة الوسيلة والطلب، وفي عرف العلماء : سؤال الخير من الغير للغير.

وقد ورد ذكر الشفاعة في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، فيجب الإيمان بها، وهي ثابتة لنبينا محمد، صلى الله عليه وسلم . ولغيره من الأنبياء والصالحين ، يقول تعالى في شأن الشفاعة (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن، ورضي له قولا)(٢٣٤) ويقول تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة آية الكرسي ، ويقول تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)(٢٣٥)

وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)(٢٣٦)

وقوله صلى الله عليه وسلم (لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته لأمته ، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة ، إن شاء الله ، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) (٢٢٧)

وذهب جمهور المفسرين إلى أن المقام المحمود الوارد في قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) من سورة الإسراء ، أن المراد به شفاعته صلى الله عليه وسلم في الخلق ، يوم المحشر ، يوم يفر جميع الرسل ، ويتهربون من أممهم ، حينما يسألونهم أن يشفعوا لهم عند ربهم ، من شدة هول ذلك اليوم ، وحرارته . فيشيدون عليهم بأن يذهبوا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيذهبون إليه . ويطلبون منه الشفاعة ، فيقول : أنا لها ، أنا لها ، ويسجد تحت العرش : فيناديه الله تعالى ، يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فيشفع في قضاء الله في الخلاق يوم القيامة .

وهذه هي الشفاعة العظمى ، وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم . فقد ورد في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ... وعد منها (وأعطيت الشفاعة) (٢٣٨)

وفي صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (من قال حين يسمع النداء ، اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمد الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعده ، حلت له شفاعتي يوم القيامة) (٢٣٩)

## والشفاعة في الآخرة أنواع : -

١- النوع الأول : الشفاعة العظمى في فصل القضاء لإراحة الناس من هول يوم الموقف وقد تقدم ذكرها . وهي مما اتفقت عليها جميع الأمة حتى المعتزلة والخوارج ،

٢- النوع الثاني : الشفاعة في زيادة الدرجات لبعض من يدخل الجنة . فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ، وهذا النوع متفق عليه أيضاً .

٣- النوع الثالث : الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب ، ودليله حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وسؤال عكاشة بن محصن أن يكون منهم .

٤- النوع الرابع : شفاعة صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته ، ممن دخل النار بالفعل فيخرج بعضهم منها بشفاعته صلى الله عليه وسلم .

٥- النوع الخامس : شفاعة صلى الله عليه وسلم فيمن استحق دخول النار من عصاة المؤمنين أن لا يدخلها .

وقد اختلف العلماء في النوعين الأخيرين، فذهب المعتزلة والخوارج إلى أن هذين النوعين مستحيلان، وأن الشفاعة لا تنفع الكافرين، ولا مرتكبي الكبيرة من المؤمنين.

وذهب أهل السنة والكرامية أنهما جائزان عقلاً، وواقعان فعلاً. — يدل على جوازهما عقلاً، أن غفران الذنوب لغير الكافرين جائز عقلاً وشرعاً بدون شفاعة، لقوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)سورة النساء/٤٨، ١١٥ فجوازه بالشفاعة يكون من باب أولى.

ويدل على وقوعهما قوله صلى الله عليه وسلم (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)(٢٤٠)

احتج المعتزلة والخوارج بقوله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)(٢٤١) وقوله تعالى (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه، ولا خلة، ولا شفاعة)(٢٤٢) وقوله تعالى وانتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً. ولا يقبل منها شفاعة. ولا يؤخذ منها عدل، ولا هم ينصرون)(٢٤٣)

وأجاب أهل السنة بأن هذه الآيات معارضة بآيات أخرى تثبت الشفاعة. وقد تقدم ذكرها ، وحيث إن القرآن قد اشتمل على آيات في موضوع واحد، بعض هذه الآيات يثبت الموضوع وبعضها ينفيه، ولا يمكن أن يكون النفي والإثبات واردين على موضع واحد، وإلا لزم التناقض في القرآن الكريم، فوجب أن تكون الشفاعة التي أثبتها غير الشفاعة التي نفاها فالشفاعة المنفية هي الشفاعة للكافرين والمشركين، والشفاعة المثبتة هي الشفاعة للعصاة من المؤمنين(٢٤٤)

## الجنة والنار

**الجنة :** هي دار الثواب التي أعدها الله للطائعين وجعلها مثوى لهم في الآخرة

**والنار :** هي دار العقاب التي أعدها الله للكفار والعصاة، ومصيراً لهم في الآخرة.  
وهما من السمعيات التي ورد بها الكتاب والسنة، فيجب الإيمان بهما.

وقد اتفق المسلمون على وجودهما في الآخرة، وأنهما داران حسيان، ينعم المؤمنون الصالحون في الجنة - دار الثواب - نعيماً حسياً، ويثابون فيها كل لذة، قال تعالى (وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين)(٢٤٤) ويعذب الكافرون والعصاة في نار جهنم، عذاباً حسياً، يطعمون فيها الزقوم، ويشربون فيها الحميم والفلسين. قال تعالى (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم).

ولكن المثبتين للجنة والنار الحسين من المسلمين اختلفوا ، هل هما موجودتان الآن أو  
أنهما يوجدان في الآخرة على مذهبين :-

١- المذهب الأول : يرى أهل السنة وبعض المعتزلة أن الجنة والنار موجودتان الآن، واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة، أما الكتاب فبقوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)(٢٤٥) وقوله تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار، التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)(٢٤٦)

فقد عبر الله تعالى عن إعداد الجنة والنار بصيغة الماضي، وليس هناك ضرورة تحملنا على صرف الظاهر، وهو الإخبار بالماضي، إلى أنه مجاز عن المستقبل لتحقيق وقوعه.

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى)(٢٤٧) وجنة المأوى هي دار الثواب (الجنة) بإجماع أهل العلم ، فصح أنها في السماء، وأنها موجودة الآن .

٢- المذهب الثاني - رأي أكثر المعتزلة، فقد ذهبوا إلى أن الجنة والنار غير موجودتين الآن ولا يخلقان قبل يوم القيامة، واستدلوا على رأيهم بدليلين :

أ - الأول : أن الجنة والنار داران للثواب والعقاب، ولا ثواب ولا عقاب إلا في الآخرة

لوجودهما الآن لا فائدة فيه ، وما لا فائدة فيه يكون فعله عبثاً، والعبث ينتزه عنه الله تعالى ، فلا يوجدان الآن.

ب - الدليل الثاني : قالوا لو كانتا موجودتين الآن لفنيانا عند النفخة الأولى بمقتضى قوله تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه)(٢٤٨) وقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن/٢٧ ولوفنيانا لم يكن نعيم الجنة دائماً، كما قال تعالى (أكلها دائم وظلها) الرعد/٣٥ فوجب عدم وجودهما الآن، وإلا تعارضت الآيات.

وأجاب أهل السنة عن الدليل الأول بأن قول المعتزلة لا ثواب ولا عقاب إلا في الآخرة غير صحيح، بل هناك ثواب وعقاب قبل يوم القيامة، فإن الأرواح بعد الموت، منها ما ينعم في الجنة، ومنها ما يعذب في النار، وقد مضى ذكر ذلك في عذاب القبر ونعيمه، ونزيد هنا ما ورد في الحديث من (أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأنهم يرزقون في الجنة، يأكلون ويتنعمون)(٢٤٩)

وأجابوا عن الدليل الثاني بأنه لا يدل على عدم وجود الجنة والنار الآن، فإنه لا يلزم من وجودهما الآن فناؤهما عند النفخة الأولى — فإن الآيات التي ذكروها من الباطن الذي خصص، ولذلك فإنه لا يدل على استغراق جميع الأفراد.

فهناك أمور مستثناة من الفناء عند النفخة الأولى ، قال تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله)(٢٥٠) وقد بينت السنة أن العرش والكرسي، والجنة والنار من الأمور المستثناة من الفناء.

### خلود الجنة والنار وعدم فناهما :

ومما يجب الإيمان به أن الجنة والنار باقيتان أبداً ولا تغنيان، وقد اتفق على ذلك أهل السنة والمعتزلة جميعاً، لقوله تعالى (وأما الذين سعوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء به ربك ، عطاء غير مجنون)(٢٥١) أي غير مقطوع، وقوله تعالى (أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) الرعد / ٣٥

وقوله تعالى (جزاءهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) (٢٥٢)

وقوله تعالى في النار (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم، ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ، وكان ذلك على الله يسيراً) (٢٥٣)

وقوله تعالى ( ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً )  
سورة الجن / ٢٣

## الهوامش

(١) جزء أية من سورة آل عمران ١٩

(٢) سورة المائدة الآية /٣

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٤) سورة ص الآيتان ٨٢، ٨٣

(٥) سورة البقرة الآية ٢١٣

(٦) حديث صحيح

(٧) سورة المنكبوت الآية ٥٤

(٨) سورة التوبة الآية ١٠٣

(٩) سورة البقرة الآية ١٨٣

(١٠) سورة الشورى الآية ١٣

(١١) سورة البقرة ١٤٣

(١٢) سورة البقرة /١٤٤

(١٣) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥، ٤٦

(١٤) سورة الشورى الآية ١١

(١٥) سورة الأنعام الآيتان ١٠١، ١٠٢

(١٦) سورة النحل الآية ١٧

(١٧) سورة آل عمران الآية ٢٦



(١٨) سورة الأعراف الآية ٤٤

(١٩) سورة هود الآية ٧

(٢٠) راجع النظر والمعارف للقاضي عبد الجبار. عن الأسس المنهجية للدكتور يحيى هاشم فرغل ص ٢٩

(٢١) مدارج السالكين لابن القيم حد ص ٦٠ وابن القيم للدكتور عوض الله حجازي ص ٨٧

(٢٢) دره تعارض العقل والنقل لابن تيمية حد ص ٣٩٧ . والرسالة الأولى في توحيد الربوبية لابن تيمية. والأسس المنهجية للدكتور يحيى هاشم فرغل ص ٤٣

(٢٣) سورة الأعراف الآية ١٧٢

(٢٤) راجع تفسير الأستاذ الإمام (جزء عم)

(٢٥) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة

(٢٦) سورة العنكبوت الآية ٦١

(٢٧) سورة يونس الآية ٣١ ، ٣٢

(٢٨) سورة يونس الآية ١٢

(٢٩) سورة الإسراء الآية ٦٧

(٣٠) سورة الإسراء الآية ١٠٣

(٣١) ينسب هذا القول إلى قيس بن ساعدة الإباضي

(٣٢) سورة النور الآية ٣٢

(٣٣) المراد بالممكن ما يتصور وجوده وعدمه مثل شجرة وبيت إنخ ، وبالمستحيل ما لا يتصور وجوده أصلاً، مثل وجود بكر في مكانين في وقت واحد، وبالأوجب ما لا يقبل العدم، كذات الله تعالى .

(٣٤) راجع رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده وكتاب شرح المواقف للسيد الشريف حد ٧ الموقف الخامس

(٣٥) راجع النجاة لابن سينا وأراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي.

(٣٦) مفتاح دار السعادة ومنشور أنوية العلم والإرادة لابن القيم ج١ ص ٢٣٣ .

(٣٧) ينسب هذا الإتجاه إلى الفلاسفة الماديين، أمثال ديمقريطس من القدماء ، وكارل ماركس من الفلاسفة المحدثين وغيرهم .

(٣٨) الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص ١٥ الطبعة الرابعة، المختار الإسلامي.

(٤٠) الإسلام يتحدى ص ٦٥

(٤١) الإسلام يتحدى ص ٦٦

(٤٢) سورة الأعراف الآية ٤٤

(٤٣) الإسلام يتحدى ص ٧١

(٤٤) من كتاب ( الإنسان لا يقف وحده) ترجمة الأستاذ / محمود صالح الفلكي

(٤٥) عن كتاب (دراسات في العقيدة الإسلامية) لبعض أساتذة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الطبعة الأولى ١٩٨١ ص ٤٩

(٤٦) من كتاب (الله أم الطبيعة) للدكتور يوسف عز الدين عيسى ص ٤١ نقلاً من كتاب (دراسات في العقيدة الإسلامية ) لبعض أساتذة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الطبعة الأولى ١٩٧٨ م.

(٤٧) سورة الأعراف الآية ١٨٠

(٤٨) سورة المائدة الآية ٧٣

(٤٩) سورة البقرة الآية/١٦٣

(٥٠) سورة المؤمنون الآية ٩١

(٥١) سورة الأنبياء الآية ٢٢

(٥٢) سورة الإسراء الآية ٤٢

(٥٣) سورة الحديد الآية ٢

(٥٤) سورة الشورى الآية ١١

(٥٥) سورة محمد الآية ٣٨

(٥٦) حديث صحيح جامع الأحاديث للسيوطي ج٢ ص ٢٣٥ طبع الدكتور حسن عباس زكي

٥٧) شرح الطحاوية ص ٦٦ الطبعة الثالثة

٥٨) إعلام الموقعين لإبن القيم ح ١ ص ٥٥ وابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي للدكتور عوض الله حجازي ص ١٢٧ الطبعة الأولى

٥٩) شرح الطحاوية الطبعة الثالثة

٦٠) سورة النحل الآية ١٧

٦١) سورة الرعد الآية ١٩

٦٢) سورة الزمر الآية ٩/

٦٣) سورة الأنعام الآية ٥٩

٦٤) سورة فصلت ١٥

٦٥) سورة الأنعام الآية ١٠٢

٦٦) سورة الأنعام الآية ٦٥

٦٧) سورة سبأ الآية ٣

٦٨) شرح الطحاوية ص ٨٥ الطبعة الثالثة

٦٩) حديث صحيح نقلاً عن الطحاوية ص ٦٦ الطبعة السابعة .

٧٠) سورة الأعراف الآية ١٨

٧١) صحيح البخاري كتاب التوحيد ح ١٣ ص ٣٧٧ وصحيح مسلم ح ١٧ ص ٥ طبع محمود توفيق .

٧٢) تفسير المنار ح ٩ ص ٣٦٢ مختصر وتفسير ابن كثير ح ٢٣ ص ٦٩ اختصار الشيخ محمد على الصابوني

٧٣) تفسير المنار ح ٩ ص ٣٦٥ نقلاً عن جامع الترمذي .

٧٤) البداية والنهاية لابن كثير ح ٢ ص ٢٧٧

٧٥) شرح صحيح مسلم للنووي ح ١٥ ص ٣٦ والمراد بالإصطفاء تخير الفروع الزكية من الأصول الكريمة . تخيراً مبناه الأخلاق العائية. والفضائل السامية. والطباع الفطرية وينضم إلى ذلك اصطفاء النبوة والرسالة .

(٧٦) نفس المرجع والصفحة.

(٧٧) البداية والنهاية لابن كثير ح٢ ص ٢٧٥ مكتبة المعارف - بيروت

(٧٨) سيرة ابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير ح٢ ص ٢٧٧

(٧٩) السيرة الحلبية ح٢ ص ١١٧، وأعلام النبوة للماردي ص ١٣٥ نقلًا عن كتاب بشأن النبوة الخاتمة للدكتور / رزف شلبي .

(٨٠) سورة الشورى الآية ٥٣

(٨١) سورة الأنعام الآية الأولى

(٨٢) سورة فاطر الآية الأولى

(٨٣) سورة الذاريات الآية ٦

(٨٤) سورة الزمر الآيتان ٢، ٣

(٨٥) سورة غافر الآية ٦٠

(٨٦) سورة فاطر الآية ١٤

(٨٧) حديث صحيح

(٨٨) سورة الحجرات الآية ١٣

(٨٩) شرح صحيح مسلم ح١ ص ١٣٢

(٩٠) سورة آل عمران الآية ١٠٥

(٩١) شرح صحيح مسلم ح١٦ ص ١٢٠

(٩٢) جامع الأحاديث للسيوطي ح١ ص ٧٢ مطبعة الدكتور / حسن عباس زكي.

(٩٣) حديث متفق عليه

(٩٤) شرح المقاصد للسعد ح٢ ص ٨٨

- (٩٥) سورة الأنبياء الآية ٦٩
- (٩٦) سورة البقرة الآية ١٠٢
- (٩٧) المقاصد للسعد ٢ مبحث النبوة .
- (٩٨) سورة هود الآية ١٣
- (٩٩) سورة البقرة الآية ٢٣ ، ٢٤
- (١٠٠) سورة الإسراء الآية ٨٨
- (١٠١) البداية والنهاية لابن كثير ٣ ص ٣٨ دار الفكر بيروت
- (١٠٢) رواء البخاري فتح الباري ١ ص ٤١
- (١٠٣) الأسس المنهجية للدكتور يحيى هاشم ص ٨٣ ، ص ٢٣٤ ، دار الفكر العربي .
- (١٠٤) شرح المقاصد للتفتازاني ٢
- (١٠٥) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٢٤ دار إحياء العلوم بيروت
- (١٠٦) الإسلام يتحدى ص ١٠٤ الطبعة الرابعة
- (١٠٧) يشير بذلك إلى غزواته وانتصاراتهم الباهرة بالرغم من قلة عددهم وعدتهم
- (١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠) الإسلام يتحدى ص ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٤
- (١١١) ، (١١٣) الإسلام يتحدى ص ١١٤ ، ١٣٣
- (١١٢) عالم إنجليزي ، وفلكي مشهور ، وأستاذ في جامعة (كمبردج ) في أوائل القرن العشرين .
- (١١٤) عالم وطبيب فرنسي معاصر ، وأستاذ في جامعة باريس .
- (١١٥) راجع كتاب : القرآن والتوراة والإنجيل مع العلم ، من ص ١٥٧ وما بعدها دار المعارف ١٩٧٨
- (١١٦) نفس المرجع ص ٢٣٧
- (١١٧) نفس المرجع ص ٢٦٥
- (١١٨) نفس المرجع ص ٢٧١
- (١١٩) المرجع السابق ص ٢٨٥

(١٢٠) الإسلام يتحدى، لوحيه الدين خان ص ١٠٣ الطبعة الرابعة

(١٢١) المرجع السابق ص ٢٨٣

(١٢٢) المرجع السابق ص ٢٨٦

(١٢٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢١٥

(١٢٤) سورة الحج الآية ٧٥

(١٢٥) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ٧٩ دار إحياء العلوم بيروت

(١٢٦) سورة الملك الآية ١٤

(١٢٧) سورة البقرة الآية ٢٤٥

(١٢٨) سورة الأحقاف الآية ٣٥

(١٢٩) قال تعالى وديك بفعل مايشاء ويختار

(١٣٠) شرح المواقف حـ

(١٣١) سورة الأنبياء ٢٣

(١٣٢) سورة غافر الآية ٧٨

(١٣٣) سورة النساء الآية ١٦٤

(١٣٤) سورة هود الآيتان ٩٦ ٩٧

(١٣٥) سورة الأعراف الآيتان ١٠٤ ١٠٥

(١٣٦) سورة سبأ الآية ٢٨

(١٣٧) سورة الأعراف الآية ١٥٨

(١٣٨) شرح صحيح مسلم للنوري حـ ص ٣ طبع محمود توفيق

(١٣٩) سورة الأحقاف الآيتان ٢٩ ٣٠

(١٤٠) سورة الجن الآيتان ١ ٢

(١٤١) سورة آل عمران الآية ٣

- (١٤٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠
- (١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥) شرح صحيح مسلم للنووي ح ٥
- (١٤٦) راجع سورة الأحزاب وسورة محمد، وسورة الصف.
- (١٤٧) سورة آل عمران الآية ١١٠
- (١٤٨) شرح المقاصد للتفتازاني ح ٢ مبحث النبوات .
- (١٤٩) رواه أحمد وأحمد والحاكم والبيهقي. عن بشائر النبوة د/ رؤوف شلبي. ص ١٤٧
- (١٥٠) سورة الأنعام الآية ٣٨
- (١٥١) سورة الحشر الآية ٧
- (١٥٢) سورة النساء الآية ٦٩
- (١٥٣) حديث صحيح رواه مسلم
- (١٥٤) سورة المائدة الآية ٣
- (١٥٥) سورة الحجر الآية ٩
- (١٥٦) سورة الأعراف الآية ١٥٦ ، ١٥٧
- (١٥٧) سورة البقرة الآية ١٤٦
- (١٥٨) سورة آل عمران الآية ٨١
- (١٥٩) سورة البقرة الآية ٨٩
- (١٦٠) سفر التثنية الإصحاح ١٨/١٨ . راجع كتاب بين اليهودية والإسلام للدكتور عرض الله حجازي الضبة الثالثة، وكتاب (ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد) ص ١٨ دار المنار
- (١٦١) سفر التثنية إصحاح ١٩/١٨
- (١٦٢) سورة المزمل الآية ١٥
- (١٦٣) سفر التثنية الإصحاح ٢٣ . والسيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبه [ح ١
- (١٦٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ٢٤ فقرة ١٥ ، ١٧
- (١٦٥) إنجيل يوحنا إصحاح ١٤

(١٦٧) السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبة [١- ص ٢٥٧ : وكتاب بين اليهودية والإسلام للدكتور عوض الله حجازي

(١٦٨) السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبة ح ١ ص ٢٥٩

(١٦٩) السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبة ( ح ١ ص ٢٢٢ . والإعلام للإمام القرطبي ص ٢٨٦

(١٧٠) السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبة ( ح ١ ص ٢٢٢ وراجع قبسات من سيرة محمد للدكتور/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل ص ٥١ والإعلام للقرطبي ص ٢٨٧

(١٧١) بشائر النبوة الخاتمة للدكتور رؤوف شلبي.

(١٧٢) دكتور عالم حاصل على شهادة الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية . راجع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤٧٣ مكتبة دار التراث.

(١٧٣) راجع ص من هذا الكتاب

(١٧٤) سورة النساء الآية ١٦٥

(١٧٥) سورة الإسراء الآية ١٥

(١٧٦) سورة طه الآية ١٣٤

(١٧٧) سورة فصلت الآية ٥٣ ، ٥٤

(١٧٨) سورة الجاثية الآية ٢٣

(١٧٩) سورة الذاريات الآية ٥٦

(١٨٠) سورة الزلزلة الآية ٧ ، ٨

(١٨١) سورة النحل الآية ٩٧

(١٨٢) سورة فاطر الآية الأولى

(١٨٣) سورة البقرة الآية ١٧٧

(١٨٤) حديث صحيح

(١٨٥) سورة الأنبياء الآية ٢٠



- (١٨٦) سورة الإنفطار ١٠، ١١، ٢٧
- (١٨٧) سورة الرعد الآية ١١
- (١٨٨) سورة الحجر/٢٧
- (١٨٩) سورة الكهف الآية ٥٠
- (١٩٠، ١٩١) سورة الجن
- (١٩٢) سورة فاطر/٦
- (١٩٣) سورة الأنعام/١١٢
- (١٩٤) سورة غافر / ١٥
- (١٩٥) سورة طه / ٥
- (١٩٦) سورة الزمر / ٧٥
- (١٩٧) سورة الحاقة / ١٧
- (١٩٨) سورة البقرة/٢٥٥
- (١٩٩) شرح الطحاوية ص ٢٥٠ الطبعة الثانية.
- (٢٠٠) سورة النساء / ١٢٠
- (٢٠١) حديث صحيح شرح الطحاوية ص ٢٥٤ أخرجه الإمام مسلم
- (٢٠٢) سورة الواقعة / ٧٧، ٧٨، ٧٩
- (٢٠٣) صحيح البخاري عن شرح الطحاوية ص ٣٨٨ الطبعة الثالثة
- (٢٠٤) صحيح مسلم عن شرح الطحاوية ص ٣٨٨ الطبعة الثالثة
- (٢٠٥) صحيح البخاري وقد سبق
- (٢٠٧) سورة غافر الآية ٤٦، ٤٧
- (٢٠٨) راجع شرح الأصول الخمسة للقاظمي عبد الجبار ص ٧٣٠ مطبعة وهبة.
- (٢٠٩) سورة نوح الآيات ١٧، ١٨
- (٢١٠) سورة البقرة الآية ٢٦٠

- (٢١١) سورة طه الآيات ١٥-١٦
- (٢١٢) سورة يس ٧٩-٨٠
- (٢١٣) سورة الحج/٧
- (٢١٤) سورة ص ٢٨
- (٢١٥) سورة المؤمنون الآية ٨٢
- (٢١٦) سورة المؤمنون الآيات ٣٥-٣٦-٣٧
- (٢١٧) سورة القيامة الآيات ٣٦ وما بعدها
- (٢١٨) سورة الروم الآية ٢٧
- (٢١٩) سورة غافر الآية ٤٧
- (٢٢٠) سورة يس الآية /٨٢
- (٢٢١) سورة البقرة /٢٠٣
- (٢٢٢) سورة الأنعام /١٢٨
- (٢٢٣) سورة الإسراء /٩٧
- (٢٢٤) صحيح مسلم، كتاب القيامة، باب يحشر الكافر على وجهه.
- (٢٢٥) سورة غافر /٢٧
- (٢٢٦) سورة آل عمران آية ١٩
- (٢٢٧) سورة الإنشقاق /٧ وما بعدها
- (٢٢٨) رواه البخاري في صحيحه عن شرح الطحاوية.
- (٢٢٩) سورة الأعراف الآيات ٦-٧-٨
- (٢٣٠) سورة المائدة الآية ١٠٩
- (٢٣١) سورة الإسراء /١٣
- (٢٣٢) سورة الكهف /٤٩
- (٢٣٣) سورة فصلت الآيات ٢١-٢٢
- (٢٣٤) سورة طه / ١٠٩

وأما الإيمان بالميزان والوزن :

فقد ورد بهما الكتاب والسنة، فيجب الإيمان بهما ، ومنكرهما كافر لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة. قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة).

ويقول تعالى : (والوزن يومئذ الحق، فمن ثقلت موازينه فإِنَّكَ من المفلحون ومن خفت موازينه فإِنَّكَ من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون).

وكيفية الوزن والميزان يعلم حقيقته الله سبحانه وتعالى وإن كان الظاهر أن الوزن حسي

وأما الإيمان بالصراط

وهو الطريق، الممدود على ظهر جهنم : يرده جميع الخلائق.

وقد ثبت بالكتاب والسنة، ومنكره كافر، لأنه ينكر معلوماً من الدين بالضرورة.

يقول تعالى : (فاستبقوا الصراط).

ويقول صلى الله عليه وسلم : (ويضرب الصراط بين ظهرائي جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز). أما كيفية الصراط، فعلمه عند الله تعالى ، وإن كان الظاهر أنه كما قدمنا جسر ممدود على ظهر جهنم. اهـ : ي/هـ

(٢٣٥) سورة الأنبياء/٢٨

(٢٣٦) صحيح مسلم ج ٣ ص ٦٤

(٢٣٧) صحيح مسلم - ٣ ص ٧٤ طبع محمود توفيق

(٢٣٨) صحيح مسلم ج ٥ ص ٤ طبع محمود توفيق

(٢٣٩) الباري ج ٢ ص ٩٤

(٢٤٠) صحيح مسلم وسبق الكلام عنه

(٢٤١) سورة المائدة الآية ٤٨

(٢٤٢) سورة البقرة الآية ٢٥٤

(٢٤٣) سورة البقرة الآية ٤٨

(٢٤٤) سورة الزخرف /٧١

## رؤية الله

ذهب أهل السنة إلى أن رؤية الله يوم القيامة - من غير مقابلة وجهه وتكيف بأي كيفية من كيفيات رؤية الحوادث بعضهم بعضا - من الأمور التي جاءت في الكتاب والسنة، فيجب الإيمان بها .  
يقول تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة).

ويقول صلى الله عليه وسلم : (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون ولا تضارون في رؤيته) رواه البخاري.

ويبين الإمام الباقلاني أن التشبيه الوارد في هذا الحديث هو تشبيه رؤية برؤية، لا مرئي بمرئي، قاله يرى بلا كيف.(انظر الانصاف للباقلاني)

وكان الإمام الشافعي يتمسك بإثباتها بقوله تعالى :

(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ويقول : لما حجب الكفار في السخط دل على أن الأولياء يرونه في الرضا(انظر مناقب الإمام الشافعي للرازي ص ٨٣) .

ويرى الإمام الإسفراييني أن قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار). ينفي رؤية الجميع له سبحانه ، ولا ينفي رؤية البعض(انظر التبصير في الدين للإسفراييني ص ٩٤) أما المعتزلة فيرون أن هذه الرؤية غير جائزة. ويتمسكون بظاهر هذه الآية ومنكر الرؤية لا يكفر. اهـ . ي/هـ

٢٤٥) سورة آل عمران الآية ١٣٣

٢٤٦) سورة البقرة الآية ٢٤

٢٤٧) سورة النجم الآيات ١٣ . ١٤ . ١٥

٢٤٨) سورة القصص/٨٨

٢٤٩) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٦٨

٢٥٠) سورة الزمر /٦٨

٢٥١) سورة هود الآية ١٠٨

٢٥٢) سورة البينة الآية ٨

٢٥٣) سورة النساء الآيتان ١٦٨ . ١٦٩

الأصل الثاني  
التشريع الإسلامي  
مصادر التشريع الإسلامي ومقاصده

للأستاذ الدكتور  
يحيى هاشم حسن فرغل

مراجع للبحث :-

- (١) المستصفى للامام الغزالي
- (٢) المنحول للامام الغزالي
- (٣) المواقفات للامام الشاطبي
- (٤) أصول التشريع الاسلامى للشيخ على حسب الله
- (٥) تيسير الوصول الى علم الاصول للشيخ الطيب حسن النجار
- (٦) مدخل فى علم الاصول للشيخ محمد حسنين مخلوف
- (٧) مدخل الفقه الاسلامى للدكتور محمد سلام مذكور



## "المبحث الأول" ( مصادر التشريع في الاسلام )

يُقَسَّم العلماء مصادر الشريعة الاسلامية ابتداء الى نوعين :المصادر الأصلية ، وهي تشمل الكتاب اولا ، والسنة ثانيا ، ومصادر تبعية . ويقسمونها قسمين أيضا : مصادر تبعية نصية كشرع من قبلنا والاجماع ، ومصادر تبعية عقلية وهي القياس ، والاستحسان ، والمصلحة المرسله ، وسد الذرائع ، والاستصحاب .  
ثم يأتي بعد ذلك كله : الاجتهاد باعتبار مايقوم عليه من تلك المصادر.

## المصدر الأول الكتاب

الكتاب يطلق لغة على كل مكتوب ، ثم غلب فى الشرع على القرآن ، والقرآن مصدر بمعنى القراءة ، ثم نقل الى ( هذا المجموع المقروء المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المنقول الينا تواترا فيما بين دفتى المصحف ، المعجز ، المتعبد بتلاوته )

وهو يفيد القطع من جهة الثبوت ، ومن انكر كنه ، أو بعضه فقد كفر . وقد يكون قطعى الدلالة اذا كان اللفظ واضحا فى المعنى المقصود منه لايحتمل غير وجه واحد ، ويكون ظنى الدلالة اذا احتمل أكثر من معنى .

وقد يترجم القرآن ولكنه حينئذ لايسمى قرآنا ، ولا تكون الترجمة تعبيراً عن الوحى المنزل ، وانما هى تعبير عن فهم المترجم لما قرأ منه ، ولايصح الاعتماد على الترجمة فى استنباط الاحكام .

### نزول القرآن منجما :-

نزل القرآن منجما على اثنتين وعشرين سنة وشهرين . والحكمة فى ذلك تتعلق بناحيتين :-

اولاهما : حكمة تربوية ، اذ يقوم القرآن فى هذه الحالة بدوره فى تربية المسلمين أولا بأول اذ ينزل بالقدر الذى يحتاجون اليه فى عملية التربية ، ويتزايد نزوله بمقدار مايحصل لهم فى هذا الطريق ، بخلاف ما لو كان قد نزل دفعة واحدة فانه يكون عندئذ كتابا يحفظونه ، ولكنه يكون اقل تأثيرا فى حياتهم وتربيتهم ، وقد يعسر عليهم معرفة ما يحتاجون اليه فى الحالة التى تطرأ عليهم .



ثانيهما : حكمة اعجازية ، اذ يزيد دلالة الاعجاز فيه :-

من حيث ان البشر اذ يعجزون عن الاتيان بمثل القدر الصغير الذى ينزل منه ، فهم عن الاتيان بمثله كله أعجز .

كذلك فان البشر اذ يعجزون عن الاتيان بمثله كله فهم يكونون اكثر عجزا عن تجميع هذا الكل بعد ان يكون قطعا متفرقة ، ثم ترتيبه ، وتنسيقه وجعله وحدة كاملة لا اضطراب فيها ولا التواء .

**معارضة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فى قراءة القرآن :-**

نزل القرآن مفرقا ، وتم ترتيب آياته بتوقيف من جبريل عليه السلام على سبيل القطع ، وتم ترتيب سوره بمثل هذا التوقيف ايضا على الاصح .

وضمانا لدقة حفظ القرآن ودقة ترتيبه كان جبريل عليه السلام يعارض الرسول بقراءة القرآن بين وقت وآخر .

فقد روى البخارى بسنده عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت ( أسر ألى النبي أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة وانه عارضنى العام مرتين ولا أراه الا حضر أجلى )

**موضوعات القرآن :-**

تنوع الموضوعات التى جاءت فى القرآن الكريم الى موضوعات فى العقيدة ، والاخلاق ، والتشريع ، وأخبار الاوائل ، والماضى ، والمستقبل ، والدنيا وما فيها من الخلق والنظام والعظة ، والآخرة وما يكون فيها من البعث والحساب والجزاء .

**حفظ القرآن وكتابته :-**

نقل القرآن منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا نقلا متواترا حفظا وكتابة . فمن جهة الحفظ كان محفوظا يتلى كما هو الآن ، وتفرغ لحفظه المئات ثم الآلاف فى كل عصر ، ينقل بعضهم عن بعض بالتواتر .

ومن أشهر من كان يحفظ القرآن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم : ابو بكر .

وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو هريرة ، وعمر بن العاص ، ومعاوية ، وعائشة ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأنس بن مالك وغيرهم رضى الله عنهم جميعا .

وبالرغم من أن الاعتماد الاساسى كان على الحفظ ، فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فريقا من اصحابه الكاتبين بكتابته وكان منهم زيد بن ثابت ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، ومعاوية ابن أبى سفيان ، والزبير بن العوام ، وعبد الله ابن الارقم ومعاذ بن جبل .

وفى خلافة أبى بكر رضى الله عنه جمع القرآن إذ جمعت الصحف وضمت الى بعضها وشدت بخيط واحد ، رتب في الآيات والسور حسب ماكان يرشدهم الرسول في حياته ، صلى الله عليه وسلم .

وفى عهد عثمان رضى الله عنه كتبت منه عدة نسخ ، وزعت على الامصار ليكون في كل مصر نسخة يرجع اليها الحفظة والقراء .

وصحيح مسلم (٢٦٠هـ) وسنن ابن ماجة (٢٧٣هـ) وأبو داود (٢٧٥هـ) والترمذى (٢٧٩هـ) والنسائى (٣٠٣هـ) وقد بذل هؤلاء جهودا مضنية فى الجمع والتبويب ، والترتيب ، والتبويب .

وقد كان لجمع الحديث وتدوينه وتمحيصه أثر كبير فى الفقه ، يقول الامام الشافعى ( ان العلماء من الصحابة والتابعين لم يزل شأنهم انهم يطلبون الحديث فى المسألة ، فاذا لم يجدوا تمسكوا بنوع آخر من الاستدلال ، فاذا ظهر الحديث رجعوا عن اجتهادهم اليه ) .

## أنواع الحديث من حيث الرواية :-

يقسم العلماء الحديث من حيث الرواية الى أنواع كثيرة ترجع الى أربعة اساسية :

١) المتواتر ، وهو مارواه جماعة يؤمن تواترهم على الكذب ، ثم يرويه عنهم جماعة أخرى مثلهم . وهكذا من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تدوينه . وهذا يفيد القطع واليقين من ناحية ثبوته عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو كثير فى السنة الفعلية كالوضوء والصلاة والصوم والحج .. الخ وهو أقل من ذلك فى السنة القولية .

واختلاف اللفظ فى الرواية لا يمنع التواتر اذا اتفق المعنى ، ويسمى فى هذه الحالة متواترا معنى . والمتواتر يجب العمل به ويكفر جاحده .

٢) المشهور : وهو مارواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم عدد من الصحابة لا يبلغ حد التواتر ، ثم يرويه بعد ذلك جمع وان بلغ حد التواتر .

وهو يفيد طمأنينة القلب وان لم يبلغ اليقين الذى يفيد التواتر ، ويجب العمل به ولا يكفر جاحده .

٣) خبر الآحاد : وهو ما يرويه واحد فى طبقة من طبقاته .

ومعظم الاحاديث القولية من هذا القبيل وقد اتفق الفقهاء على الاخذ به ، وان اختلفوا فى الشروط التى يشترطها كل منهم لصحة هذا الاخذ ، يرجع اليها فى مضانها من كتب الحديث والفقه .

٤) المرسل : وهو ما لم تصل الرواية منه الى النبى صلى الله عليه وسلم بان توقفت

## المصدر الأصلي الثاني السنة

المراد بالسنة هنا : ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

والسنة القولية- وهى المرادفة للحديث عند كثير من العلماء - إما ان تكون وحيا بالمعنى ، واللفظ للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإما ان تكون وحيا بالاقرار ، أما اذا وقعت المخالفة فإن الوحي لايسكت عنها وإنما ينتزل على الرسول بما يريد الله منه سبحانه وتعالى ( وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ) سورة النجم تدوين السنة :-

لم يكن تدوين السنة فى عصر الرسول بنفس طريقة تدوين القرآن ، وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن تدوين السنة ، والمفهوم ان هذا النهى كان لكى لا تختلط السنة بالقرآن ، ولذلك فقد أذن لبعض الصحابة أن يكتب السنة ، كما حدث لعبد الله بن عمرو ، وغيره .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز ظهرت الحاجة لجمع السنة وتدوينها ، وفى أواخر عصر التابعين توسع الناس فى ذلك ، ووجد من تفرغ له مثل ابن جريج ت ١٥٠هـ ، ومحمد بن اسحاق ت ١٥١ هـ ، ومالك بن أنس ت ١٧٩ هـ ، والربيع بن صبيح ت ١٦٠ هـ ، وحمام بن مسلمة ١٧٦هـ ، وسفيان الثوري ١٦١هـ والاوزاعي ١٥٧ هـ ، وأبن المبارك ١٨١هـ ، والليث بن سعد ١٧٥ هـ .

وانقضى عصر الجمع ثم جاء عصر التحييص فى القرن الثالث الهجرى ، وقد ألف فى هذا القرن أهم كتب الحديث المعروفة بالكتب السنة : صحيح البخارى (ت ٢٥٦هـ)

عند التابعي ، واكثر اهل الحديث لايعتبرون ما روى عن الصحابي مرسلًا ، والفقهاء متفقون على العمل بمرسل الصحابي ، أما ما عداه من المراسيل فالشافعي لا يحتج به الا اذا انضم اليه ما يعضده ، ولكن الاحتاف والمالكية والحنابلة يحتجون به .

## حجية السنة :

السنة هي المصدر الاساسي الثاني للتشريع ، وهي واجبة الاتباع في جميع المذاهب الاسلامية .

ووجوب اتباع السنة انما هو بأمر القرآن ، أولا ، والسنة ثانيا .

أما القرآن فلقلوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله )

ولقلوله تعالى ( من يطع الرسول فقد اطاع الله )

ولقلوله تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) ولقلوله تعالى ( وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ) ولقلوله تعالى ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا )

وأما السنة فعنها وصيته صلى الله عليه وسلم ( أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة . وإن تأمر عليكم عبد . وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي ) رواه الامام احمد وغيره ... ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ( يوشك ان يقعد الرجل منكم على اريكته يحدث بحديثي . فيقول : بيني وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه . وما وجدنا فيه حراما حرّمناه . وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله ) رواه احمد والترمذي وابو داود .

## مرتبة السنة من القرآن :

وانما تأخرت مرتبة السنة من القرآن لانه مقطوع بثبوته اذ روى جميعه تواترا ، بينما السنة ليست كذلك ، ولان القرآن يحرم روايته بغير لفظه ، أما السنة فتروى بالمعنى في بعض الاحيان . ولان السنة ترجع الى القرآن ، وهي قد تكون تفريعا على اصل قرآني ، أو شرحا لقاعدة كلية فيه ، أو بسطا لحكم مجمل ، أو قاعدة عامة لوقائع مما جاء في القرآن الكريم .

## الحديث القدسى ، والفرق بينه وبين القرآن من جهة ، والحديث النبوى من جهة أخرى :-

الحديث القدسى هو ما رواه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه بمعناه فقط - على الأشهر - أو بلفظه ومعناه فى بعض الأقوال ، وهو فى جميع الأحوال ليس من القرآن ، اذ الفرق بينه وبين القرآن أمور منها : ان القرآن لابد وان يكون مما بين الرسول انه قرآن يوضع بين دفتى المصحف ، والحديث القدسى ليس كذلك ، وان القرآن معجز ، متعبد بتلاوته ، ينسب الى الله ، ولا ينسب للرسول ، والحديث القدسى ليس كذلك . والفرق بينه وبين الحديث النبوى ، ان الحديث النبوى لا يروى فيه الرسول عن ربه بخلاف الحديث القدسى .

ومثل الحديث القدسى قوله صلى الله عليه وسلم ( يقول الله : أنا الرحمن . وهذه الرحم شقق لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ) .

والاحاديث القدسية تحت عموما على طاعة الله ومحبته ، والتخلق بالاخلاق الكريمة ، فهى الى علم الاخلاق والنسك اقرب منها الى علم الفقه ومصادر التشريع .

## المصادر التبعية

### شرع من قبلنا :

شرع الله قبل شريعة الاسلام التي جاءت على يد محمد صلى الله عليه وسلم شرائع اخرى تناولت احكاما جاء ذكر بعضها فى القرآن والسنة ، ولولا ورودها فى القرآن والسنة لنا اعتبرت - فى الجملة - مصدرا . ومن هنا فهى " تبعية " وهذه لها حالات :-

(١) اما أن تكون منسوخة بشريعتنا كما فى بيان ماكان محرما على اليهود من مطعومات فى قوله تعالى ( قل لأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير ، فانه رفس أو فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان ربك غفور رحيم . وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون) ١٤٥-١٤٦ الانعام.

(٢) واما ان تكون مما جاء فى القرآن أو السنة تقريرها جملة مثل فرض الصيام علينا كما فرض على من قبلنا .

(٣) واما ان تكون مما جاء ذكرها فى القرآن أو السنة ، دون نسخ او تقرير .

وهذه ذهب جمهور الفقهاء الى انها تكون مصدرا لنا مثل الحكم بالقصاص من المسلم اذا قتل ذميا أخذا من قوله تعالى ( وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص . فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) ٤٥ المائدة .

وقد خالف فى كونها مصدرا فى هذه الحال بعض الشافعية ، وبعض المتكلمين ، وأحمد بن حنبل فى احد الروايتين عنه .

### الاجماع :

هو اتفاق المجتهدين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر من العصور بعد

ومن هنا فلا عبارة باتفاق العامة او باجماع ارباب الاديان الاخرى ، او باجماع يقع على حكم عقلى ، أو عادى ، او باجماع يقع فى حياته صلى الله عليه وسلم ، او باتفاق المجتهدين مع مخالفة واحد فقط .

أما اذا اتفق بعض المجتهدين على حكم وسكت الباقي مدة بحيث يصل اليهم ذلك الحكم ويبينون فيه رأيهم فهو اجماع سكوتى يأخذ به اكثر الحنفية .

وبعض المذاهب لايعتدون بالاجماع الا ان يكون فى عصرالصحابة كالظاهرية ، وهو الرواية المشهورة عن احمد بن حنبل .

واشترط امام الحرمين ان يبلغ عدد المجتهدين حد التواتر ، ولم يشترط ذلك جمهور العلماء .

وقد استدلل القائلون بحجية الاجماع بقوله تعالى ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساعت مصيرا ) ١١٥ النساء . كما استدلوا من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم ( لاتجتمع أمتى على ضلالة ) وغير ذلك من الايات والاحاديث .

ومن امثلة الاجماع الذى وقع من الصحابة اعطاء الجدات السدس من الميراث ، ومقاتلة مانعى الزكاة ،

والاجماع غير السكوتى حجة عند الجمهور .

ومن الفقهاء من اشترط للاجماع سندا من الكتاب أو السنة ومنهم لم يشترط .

وهو اذا وقع بشروطه لا يكون الحكم الذى وقع عليه محلا للاجتهد بعد ذلك .



## القياس

هو الحاق امر لانص فيه ولاجماع بآخر منصوص على حكمه ، وتطبيق حكمه عليه لاشتراكهما فى العلة التى شرع من اجلها ، ولا بد له من اركان أربعة :-

١) المقيس عليه وهو مانص عليه ويسمى الاصل .

٢) المقيس وهو مايراد الحاقه بالاصل فى الحكم ويسمى الفرع .

٣) الحكم وهو ماحكم به النص فى الاصل .

٤) العلة وهى مابنى عليه الحكم فى الاصل وتحقق فى الفرع .

مثال ذلك : ورد النص بحرمة ابتياع المؤمن على اخيه ، فهذا اصل محكوم فيه بالحرمة لعله كونه مبادلة تؤذى الاخ . ويمكن ان يقاس عليه استنجاره على استنجار اخيه فيكون فرعاً تحققت فيه علة حكم الاصل ، فلزم ان يكون مثله فى الحكم .

والعلة هى اهم اركان القياس ، وقد عرفها الغزالى فى المستصطفى بأنها ( وصف اضاف الشارع الحكم اليه وناطه به ونصبه علامة عليه ) كما فى قوله تعالى ( والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ) اذ جعلت السرقة علة ومناطاً لقطع اليد .

واذا لم يدرك العقل علة لحكم الاصل امتنع القياس كما فى الامور التعبدية المحضة ، كالصلاة والزكاة ... الخ .

ويشترط فى العلة امور كئذ تكون وصفا ظاهرا منضبطا معتبرا صالحا للتعدى من الاصل الى الفرع .

ويستدل المثبتون لحجية القياس بأدلة كثيرة منها ان الله اوجب رد الامر الى الله برسوله بطريق الاستنباط وذلك يقتضى القياس .

والاحناف يتوسعون فى الاخذ بالقياس ويقدمونه على خبر الواحد . والامام احمد ابن حنبل لا يأخذ به الا فى حالة الضرورة . ومالك والشافعى وسط بينهما ، والظاهرية يمنعون الاخذ به مطلقا .

## الاستحسان

هو عدول المجتهد عن حكم كلى الى حكم استثنائى لدليل رجح لديه هذا العدول كاجازة وصية المحجور عليه لسنه فى سبيل الخير ، استثناء من القاعدة العامة وهى عدم صحة التبرع من المحجور عليه .

وقد يستند الاستحسان الى نص شرعى ، كعدم الحكم بأفطار من اكل ناسيا فى نهار رمضان استنادا الى قوله صلى الله عليه وسلم " من أكل او شرب ناسيا فليتم صومه " وذلك استثناء من القاعدة العامة وهى ان الامساك عن الطعام ركن فى الصوم . وقد يكون استنادا الى المصلحة المعتبرة شرعا كالقول بتضمين الصانع استثناء من الاصل ، وهو ان الامين لا يضمن .

ومن الفقهاء من لم يأخذ بهذا المصدر ، كالامام الشافعى ، ومنهم من أخذ به كالأحناف والمالكية والحنابلة ، وهو على كل حال ليس مصدرا مستقلا وانما ينبغى ان يكون له مستند من المصادر الاخرى المعتبرة .

## المصلحة المرسلة

هى كل مصلحة لم يرد عنها نص من الشارع وكان فى الاخذ بها جلب منفعة أو دفع مضرة معتبرة شرعا .

مثل الحكم بتسجيل عقود الزواج والبيع ، مع انه لم يرد فيها نص ، لكن الاخذ به يحقق مصلحة ويدفع ضررا معتبرا شرعا فى حفظ النسل والمال .

ويجب فيها تقديم المصالح الضرورية على الحاجية والحاجية على التحسينية . وبها أخذ المالكية وجمهور المذاهب الثلاثة الاخرى .. وعارض فى الاخذ بها الظاهرية وبعض الفقهاء .

وهى لا يؤخذ بها على كل حال فى الامور التعبدية المحضة .

## سد الذرائع

هو منع مايجوز شرعا من قول او فعل اذا كان موصلا الى ما لايجوز  
والذريعة بوجه عام أقسام :-

(١) ذريعة ممنوعة أصلا ، كالزنا الموصل الى ضياع النسل.

(٢) ذريعة مباحة بحسب اصلها ، وقد تفضى الى مفسدة ، ولكن المصلحة فيها ارجح .  
كالنظر الى المخطوبة ، وهذا النوع مباح او مستحب او واجب بحسب مقدار المصلحة فيه .

والنوعان السابقان خارجان عن موضوع سد الذرائع ، أما الأول فلأن الذريعة فيه ممنوعة أصلا ، وأما الثانى فلأن احتمال المفسدة فيه مرجوح والاحتمال المرجوح لايعتد به فى الشرع .

(٣) ذريعة مباحة بحسب اصلها لكنها تفضى الى مفسدة راجحة غالبا كسب  
المشركين او الهتهم بحضرة من يقابل هذا بالمثل فيسب الله عدوا .  
وهذا النوع ممنوع عند من يأخذ بسد الذرائع .

(٤) ذريعة مباحة بحسب اصلها ولكن المكلف قصد بها التوصل الى مفسدة كهبة المال  
على رأس الحول فرارا من الزكاة ، وهذا النوع أولى بالمنع من سابقه .  
والمالكة توسعوا فى تطبيق هذا المصدر ، حتى نسب اليهم ، وان كان غيرهم اخذ به  
ايضا فى نطاق اضيق .

ومن سد الذرائع ما هو معتبر بالاجماع ، كالمنع من حفر الابار فى طريق المسلمين .

والاصل فى سد الذرائع يرجع الى الكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى  
( ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ) ومن السنة منعه  
صلى الله عليه وسلم من قتال المنافقين خوفا من ان يشاع فى الناس ( ان محمدا يقتل  
اصحابه ) ومنها ايضا ، حرمة الخلوة باجنبية وحرمة سفرها مع غير محرم . وهكذا .

## الاستصحاب

وهو استبقاء الحكم الثابت فيما مضى ، واعتباره موجودا الى ان يظهر دليل يغيره

ومثاله : من تزوج فتاة على انها بكر ثم ادعى عند الدخول عليها انها غير بكر فانه لا تقبل دعواه الا بدليل ، استصحابا للبكارة فى الاصل .

ومن ذلك: قواعد فقهية منها : الاصل فى الاشياء الاباحة ، الاصل فى الذمة البراءة ، اليقين لا يزول بالشك .

ومن ذلك يتبين ان هذا المصدر لا يزدى الى اثبات حكم شرعى جديد ، وانما هو يحكم ببقاء الحكم الاصلى ، وهو لهذا يصلح للدفع لا للأثبات .

فالمفقود مثلا يعتبر حيا - بشروط معينة - استصحابا للحال التى كانت ثابتة له عند فقده ، وهذه الحياة المعتبرة تدفع عنه ما يترتب على وفاته من توريث ماله وفراق زوجه ، ولا تثبت له ما يترتب على حياته من أخذ مال غيره .

## الاجتهاد

الاجتهاد ليس بذاته مصدرا من مصادر التشريع، ولكنه عمل راجع الى النظر فى المصادر المعروفة .

وتعريف الاجتهاد كما يقرره الفقهاء والاصوليون ( بذل الفقيه جهده فى استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها (١) على وجه يحس فيه العجز عن المزيد ) .

### مجالات الاجتهاد :

لايجرى الاجتهاد فى الاحكام التى ورد فيها نص قطعى الثبوت والدلالة من الكتاب أو السنة والاجماع ، بل يحرم مخالفتها .

وبناء على ذلك يتحدد الاجتهاد فى ثلاثة انواع :-

(١) بذل الجهد للتوصل الى الحكم المراد من النص ظنى الثبوت أو الدلالة ، ومجال الاجتهاد يرجع الى تفهم النص وترجيح بعض المعانى التى يحتملها ، أو ترجيح نص آخر عند تعارض النصوص فى الظاهر ، كما يرجع الى معرفة النصوص من حيث ثبوتها أو دلالتها ، وعمومها وخصوصها ، أو معرفة الجزئيات من جهة دخولها فى النص أو عدم دخولها فيه .

(٢) وقد يكون الاجتهاد بتطبيق القواعد الكلية ، أو الامارات التى وضعها الشارع للدلالة على الحكم .

### حجية الاجتهاد :

تستند حجية الاجتهاد الى قوله تعالى ( ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله ورسوله ... ) .

كما تستند الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل رضى الله عنه إذ ارسله الى اليمن فقال له "كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال اقضى بما فى كتاب الله . قال فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :

فان لم يكن فى سنة رسول الله قال : اجتهد رأيى ولا ألو . قال معاذ : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله ( ورسوله )

ومن ذلك اجتهاد الصحابة فى عصره ( ٢ ) صلى الله عليه وسلم واجتهادهم من بعده عليه الصلاة والسلام .

ومن اجتهادات الصحابة بعد عصره صلى الله عليه وسلم : اجتهاد ابي بكر فى قتال مانعى الزكاة ، واجتهاد عمر بجمع المصحف بين دفتين ، وكتابه فى عهد عثمان على ترتيب واحد ، واجتهاد ابي بكر فى مسألة الكلالة وانها ماعدا الوالد والولد ، وحكمه بالتسوية فى العطاء ، وحكم عمر بالتفاوت فيه . وقول على رضى الله عنه " اجتمع رأيى ورأى عمر فى ام الولد لاتباع ، ورأيت الآن بيعهن " وكذلك عهد عمر الى أبو موسى الاشعرى " اعرف الاشباه والامثال ثم قس الامر برأيك " وقول على رضى الله عنه فى حد الشرب " من شرب هذى ومن هذى افترى فأرى عليه حد المغترى " وهو

قياس للشرب على الغذف ... الخ .

وأما ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من ذم الرأى والعمل به فيقصد به رأى يصدر عن جهل ، أو عن هوى ، أو عن اطراح لقواعد الدين العامة وأحكامه المقررة ، وقد يحل حراما أو يحرم حلالا ، كالحكم بحل الربا قياسا على البيع بجامع ان كلا منهما مبادلة مبنية على النفع والتراضى ، أو الحكم بتحريم الزواج باكثر من واحدة ... الخ .

### صفات المجتهد :

١ . المجتهد من اجتمعت فيه الى كمال العقل والدين الشروط الآتية :-

(١) العلم باللغة وطرق دلالتها على المعانى .

(٢) العلم بالقرآن والسنة وما جاء فيهما من احكام ، مع ربط المجل ببيانه ، وانطلق بقيده ، والعام بمخصصه .

(٣) العلم بمقاصد الشارع ومصادر التشريع والقدرة على معرفة علل الاحكام وطرق استنباطها .

(٤) العلم باحوال الناس وما جرى عليه عرفهم ، وما فيه صلاح لهم أو فساد .

(٥) واضاف الاحناف الى هذا ان يكون المجتهد عاملا بما ادى اليه اجتهاده .

## المبحث الثانى

### مقاصد التشريع الاسلامى

تمهيد :

البحث فى مقاصد الشريعة الاسلامية يرتبط ارتباطا واضحا بقضية من قضايا العقيدة التى وقع فيها الخلاف بين المتكلمين : وهى البحث فى افعال الله تعالى واحكامه : هل يصح ان تغل بالاغراض والمقاصد ؟ فذهب الاشاعرة الى انكار ذلك واحتجوا له بقوله تعالى ( لايسأل عما يفعل ) كما احتجوا بانها لو كانت كذلك لوقعت فى حيز الوجوب فلا يكون مختارا ، وقد ثبت انه تعالى مختار فى افعاله واحكامه .

ولانها لو كانت كذلك - ايضا - لكان معناه تحقيق الكمال له بوقوع تلك الاغراض وذلك غير جائز فى حقه تعالى اذ له الكمال المطلق .

وعندهم ان ماورد من النصوص دالا على التعليل يجب تأويله بحمله على المجاز أو جعل أداة التعليل فيه للعاقبة .

وذهب الماتريدية والمعتزلة والحنابلة الى ان افعاله تعالى معللة بالغايات والاغراض واستدلوا على ذلك بالنصوص الكثيرة التى لادعى لتأويلها ، من مثل قوله تعالى ( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) وقوله تعالى ( وماأرسلناك الا رحمة للعالمين ) وقوله تعالى ( الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ) وقوله تعالى ( كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ) .

وعندهم ان تعليل افعاله واحكامه بالغايات والاغراض لاينافى الاختيار . لان معنى الاختيار ان يصدر الفعل او الحكم من فاعله بقدرته بناء على علمه هو وارايدته لا بناء

على علم غيره او ارادته ولا بناء على قانون طبيعى لادخل له فيه ، فلزوم الحكمة فى افعاله ناشىء من كماله فلايتنافى مع اختياره .

كذلك فهم يرون ان تحقق الغرض او العلة فى احكامه وافعاله لايمنى تحقيق الكمال له سبحانه - لانه مستغن بذاته عن كل ماعداه - وانما يعنى تكميل المكلفين طبقا لرعايته سبحانه وتعالى لهم ورحمته بهم .

ومهما يكن امر هذا الخلاف النظرى فان الفقهاء وجبوا باستقراء الشريعة انها وضعت لمصالح العباد استقراء لايتازع فيه احد سواء بالنسبة للشريعة جملة ، فى قوله تعالى ( وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ) او بالنسبة لها فى تفاصيلها المتعلقة بالوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج ، وحل البيع والشراء ، وحرمة الربا ، والزنا ... الخ .

واذا دل الاستقراء على هذا فنحن نقطع - كما يقول الامام الشاطبى- بان الامر مستمر فى جميع تفاصيل الشريعة ( ١ ) .



## أنواع المقاصد

تنقسم مقاصد الشريعة اساسا الى ثلاثة انواع :-

المقاصد الضرورية ، والحاجية ، والتحسينية

### " النوع الاول "

اما المقاصد الضرورية فيقصد بها :ماتتوقف عليها حياة الناس الدينية ، بحيث لو فقدت لفات النعيم وحل العذاب فى الآخرة ، والتى تتوقف عليها حياة الناس الدنيوية بحيث لو فقدت لاختلت الحياة فى الدنيا ووقع الفساد والهلاك .

وحفظ هذه المقاصد يكون بأمرين : احدهما مايقيم اركانها ويثبت قواعدها ، وثانيهما مايحياها من الاختلال الذى يطرأ عليها بعد اقامتها .

وتنحصر هذه المقاصد فى خمسة أمور : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

فاصول العبادات كالايمان والنطق بالشهادتين ، والصلاة والصيام والحج وماشبه ذلك قصد به حفظ الدين من ناحية اقامته . وتشريع الجهاد ، وعقوبة الردة ، وعقوبة المبتدع الداعى الى بدعته ، والنهى عن المنكر قصد به حفظ الدين من ناحية حمايته والدفاع عنه .

والعادات من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكنات قصد به حفظ النفس والعقل من ناحية اقامتهما .

والقصاص والديات قصد به حفظ النفس من ناحية الدفاع عنها .

والعاملات سواء كانت متعلقة بالاعيان او المنافع او التزاوج قصد بها حفظ النسل والمال من ناحية اقامتهما . وحمل السرقة ، والزنا ، والشرب قصد به حفظ النسل والمال

من ناحية الدفاع عنهما . ونصب الامام بالبيعة والشورى ونشر الامن والعلم والدين قصد بها حفظ هذه الكليات الخمسة ، والجهد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعقوبات قصد بها حماية هذه الكليات الخمسة فى جملتها..وهكذا .

## النوع الثانى

أما المقاصد الحاجية : فهى التى يحتاج اليها الناس لرفع المشقة والحرَج وإذا فقدت يصيب الناس من فقدها مشقة لاتبلغ مبلغ الفساد المتوقع فى فقد الضروريات .  
ومثالها فى العبادات : الرخص المخففة عند زيادة المشقة بالمرض أو السفر كرخصة الافطار للمسافر فى رمضان ، ورخصة القصر فى الصلاة ..الخ.

ومثالها فى العادات : اباحة التمتع بلذة المأكَل والمشرب والملبس والسكن والمركب ومثالها فى المعاملات : اباحة بيع السلم والمزارعة ، والمساواة ، والمضاربة والاستصناع ونحوها ، واباحة الطلاق ، وتعدد الزوجات .

ومثالها فى العقوبات التى يقصد بها حماية هذه المقاصد : تضمين الصناعات ، وفرض الدية على العاقلة ، ودرء الحدود بالشبهات .. الخ

## النوع الثالث

أما المقاصد التحسينية فهى ما لا يدخل فى النوعين السابقين وترجع الى الأخذ بمحاسن العادات ، والترقى فيها وما تقتضيه المروءات ورعاية احسن المناهج فى العادات والمعاملات .

ومثال ذلك فى العبادات : وجوب التطهر واخذ الزينة عند كل مسجد ، والتقرب بالنوافل .

وفى العادات الأخذ بأداب الأكل والشرب .

وفى المعاملات الامتناع عن بيع النجاسات وفضل الماء والكلاَ ونحو ذلك . وفى العقوبات : منع المثلة ، واحسان القتلة ، وتجنب الاطفال والنساء والرهبان فى الجهاد... الخ

# فروق هامة بين المقاصد فى الشريعة الاسلامية وبين المقاصد فى بعض النظم الأخرى الفرق الأول

ارتباط المقاصد الدنيوية بالمقاصد الآخروية :

لا تعتبر المقاصد المذكورة سابقا الا من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى .  
والدليل على ذلك ان الشريعة الاسلامية انما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعى اهوائهم  
حتى يكونوا عباد الله لقوله تعالى ( ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض  
ومن فيهن ) والدليل ايضا : ان المقاصد قد يختلط فيها النافع بالضرار وحينئذ يقدم  
الاكثر نفعا ، فاذا تعارضت مصالح الدنيا مع مصالح الآخرة قدمت مصالح الآخرة  
ومقاصدها لانها هى الحياة ، وهى البقاء ( وان الدار الآخرة لهى الحيوان ) . وهذا  
فارق هام بين مقاصد الشريعة الاسلامية وبين مقاصد الحياة فى ظل النظم الأخرى  
كالعلمانية مثلا .

## الفرق الثانى

عدم جواز القصد الى المشقة :

القصد الى المشقة ليس من مقاصد الشريعة الاسلامية لا الضرورية منها ولا  
الحاجية ولا التحسينية . وبناء عليه فليس للمكلف ان يجعلها غرضا من اغراضه .

اما قوله تعالى ( ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله  
ولا يرضون موثقا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ) فان  
المشقة الواردة به انما هى المشقة غير المتقصودة للزومة لأعمال مقصودة .

وكذلك الحال فيما ورد فى السنة من ازدياد الثواب بكثرة الخطا الى المسجد . فانه

لا يكون لمن يتعمد ذلك بان يكون له طريقان الى المسجد فيختار الأبعد منهما ، ويزيد هذا ما يرى فيمن نذر ان يصوم قائما في الشمس ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم أمره أن يتم صومه ونهاه عن القيام في الشمس وقال (هلك المنتظعون) وهذا فارق هام أيضا بين المقاصد الشرعية في الاسلام وبين المقاصد في النظم الأخرى التي تأخذ بالرهبانية وتعذيب النفس والجسد ، او تلك التي تأخذ بمبدأ التضحية بجيل من الأجيال او طبقة من الطبقات لمصلحة جيل آخر او طبقة أخرى

## الفرق الثالث

**المقاصد الضرورية هي الأصل لغيرها من المقاصد وضابط لها :**

ليست المقاصد الحاجية او التحسينية مقصودة لذاتها او مخترة بحالها في الشريعة الإسلامية . وانما هي معتبرة من حيث تعد مكملة للضروريات . فلا عبرة في الاسلام لمقصود تحسيني يعارض مقصودا حاجيا ، ولا لمقصود حاجي يعارض مقصودا ضروريا ، فالعبرة في نهاية الامر بقيام المقاصد الضرورية .

وعلى سبيل المثال :لايصح اعتبار العري في المصايف مقصودا حاجيا او تحسينيا في الاسلام لانه يخل بالمقاصد الضرورية في حفظ الدين والعرض - على الأقل - بينما هو من الترف المطلوب في نظم أخرى غير الاسلام .

وكذلك الامر في لبس الذهب والحريير والسهر في دور الملاهي ، ولعب النرد وماشبهه قد يكون حاجة او ترفا مقصودا في غير الاسلام ، ولكنه في الاسلام ليس كذلك ، لانه يخل بالمقاصد الضرورية. وبذلك تلغى كل المقاصد الحاجية او التحسينية غير المعتبرة أى التي تؤدي الى فساد المقاصد الضرورية . اذ ان كل تكملة تؤدي الى فساد اصلها فانها لاتصح . وعلى هذا الأساس ينبغي التمسك بالمقاصد الضرورية ولو ادت الى الغاء المقاصد الحاجية او التحسينية . ومثاله : اذا دعت الضرورة في حفظ النفس الى تناول النجس كان تناوله أولى . ومثاله ايضا اذا دعت ضرورة حفظ النفس الى الاطلاع على العورات - كان الاطلاع على العورات أولى - كما هو الشأن مع الطبيب .

وهذا فارق هام أيضا بين المقاصد في الشريعة الإسلامية وبين المقاصد في غيرها من الشرائع والنظم ، كالنظم التي ترفع شعار الرفاهية وتؤمن ببناء الحضارة على اساس التوسع في الملذات .

## هوامش الفصل الثاني

- ١- يعنى من مصادرها المقررة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس .. الخ
- ٢- اختلف العلماء فى وقوع ذلك ، والظاهر أنهم كانوا لا يجتهدون بحضرته أو بالقرب منه إلا على سبيل التعلم .
- ٣- انظر كتاب المقاصد من الجزء الثانى من كتاب الموافقات للإمام الشاطبى .



## الفصل الثالث الحياة في الإسلام

للأستاذ الدكتور  
يحيى هاشم حسن فرغل

مراجع للبحث :

- ١- كتب التفسير والحديث والفقه
- ٢- رياض الصالحين للأمام النووي
- ٣- إحياء علوم الدين للأمام أبي حامد الغزالي
- ٤- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية
- ٥- منهاج الصالحين لعز الدين بليق
- ٦- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية للشيخ محمد الغزالي
- ٧- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد
- ٨- روح الإسلام لسيد أمير على
- ٩- حجة الله البالغة للدهلوي





## المبحث الأول

### مفهوم العبادة وأهميتها في الاسلام

تطلق العبادة لغة على الطاعة ، كما تطلق على الذل والخضوع .

ولذا قيل " طريق معبد أى مذل .

وقال صاحب القاموس المحيط ( العبد الانسان ، حرا كان أو رقيقا . )

والحق أن كل مخلوق فهو عبد لخالقه .

تلك بدهية لا يتردد العقل فى الجزم بها . ويكفى أن يستحضر المرء فى لحظة صدق مع نفسه : ماذا يكون شعوره إزاء الذى خلقه فسواه ؟ ماذا يكون شعورك وانت تبصر ، أو تتحرك ، أو تفكر ، أو تحزن ، أو تفرح ...

ماذا يكون شعورك وأنت تستحضر أن لك جسدا وأن لك نفسا وأن لك ولدا ، ... وأن ... الخ ماذا يكون شعورك حينئذ بالنسبة لمن صنع لك ذلك كله ؟ وبعبارة أخرى : ماذا يكون شعورك إزاء من خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك ؟

لاشك أن المرء عندئذ يوقن بأنه ليس له من أمر نفسه شئ ، وأنه لا يملك لنفسه أو من نفسه شيئا .

وليس هناك كلمة تعبر عن هذا الاحساس إلا " العبودية " . العبودية المطلقة للخالق المالك ( قل اللهم مالك الملك ) .

فهى عبودية لازمة له فى كل احواله . . وهى عبودية لاتنفك عنه فى جميع أنوار حياته .: فى دار التكليف ، ثم تستمر معه فى البرزخ حيث يسأله الملاك ( من كان يعبد ) ثم تترجمه يوم القيامة حيث يدعو الله الخلق كلهم للسجود ، فيسجد المؤمنون

ويبقى الكفار والمنافقون لا يستطيعون ، فإذا دخلوا دار الجزاء ، انقطع التكليف هناك ، وصارت عبودية أهل الثواب تسيحاً مقروناً بأنفسهم لا يجبون له تعباً ولا نصيباً .

ومن زعم أنه يصل الى مقام يسقط فيه عنه التعبد فهو كافر بالله ورسوله .

بل كلما تمكن العبد فى منازل العبودية كانت عبوديته أعظم . فتلك بدهية كما قلنا : كل مخلوق فهو عبد لخالقه لا ينفك عنه هذا الوصف قط .

وغاية ما ينحرف اليه العقل البشرى وهو بازاء هذه الحقيقة هو :

أن يضل فيختار معبوداً غير الخالق .

أو يشرك مع الخالق غيره .

إن العبودية طبيعة أولى فى النفس البشرية ، فإذا لم يختار الإنسان معبوده الذى هو الله الخالق بوعى صادق ، وقع فى العبودية لغير الله . إنه يقع فى العبودية للآباء ، والأجداد ، أو لأرواح الآباء والأجداد ، أو للزعم ، أو لفيلسوف ، أو لشهوة ، أو للعقل ، أو للإنسانية الخالدة ، أو لروح المجتمع ، أو للجوهر ، أو للطبيعة .. الى آخر ما اخترعه الإنسان فى تاريخ ضلاله الطويل ، .. وماذا الا لأن نداء العبودية للخالق كامن فى اعماقهم جميعاً ، يَكْفُرُونَهُ بدعاوهم المتناقضة .... ولكن الإنسان فى جميع الأحوال لا ينكر على الخالق أنه معبود .

ولذلك فإن القرآن الكريم يلفت النظر الى مصدر هذا الضلال بأن ينبه العقل الى ضرورة حصر استحقاق العبودية فى الخالق وحده ، ونفى هذا الاستحقاق عن غيره ، يقول تعالى : ( قل أرايتم ماتدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السماوات ... ) .

استعمالات كلمة " العبودية " :

لا يتسارى استعمال كلمة " العبودية " فى جميع الحالات .

فتارة تطلق الكلمة بمعنى عام يشمل عبودية المخلوقات جميعاً ، سواء أرادوا هذه العبودية باختيارهم ، أو وقعت عليهم وقوع القهر والملك ، فهى تشمل هذا وذاك ، وتنصب عندئذ على أهل السماوات والأرض جميعاً ، برهم وفاجرهم ، مؤمنهم

وكافرهم ، وفقا لما جاء فى قوله تعالى ( إن كل من فى السماوات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً ) وثارة تطلق بمعنى أقل عموماً : يضم عبودية من اختار معبوده بحق ، ومن اختار معبوده بغير حق ، وفقا لما جاء فى قوله تعالى : ( قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ، ولأنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم .. )

وثارة ثالثة تطلق بمعنى يختص بعبودية من اختار معبوده بحق ، وهذا هو المعنى الشرعى المعتبر للكلمة " العبودية " فى الاسلام ، وفقا لما جاء فى قوله تعالى ( فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .. ) ١٧ الزمر

المعنى الشرعى " للعبودية " فى الاسلام :

لاتقر الشريعة الاسلامية أن يكون للعبودية البشرية اعتبار إلا إذا جاءت وفق قوله تعالى ( إياك نعبد .. ) . أى ان تكون العبادة مقصورة على الله وحده لاتتعداه الى غيره .

وخضوعا لهذه الحقيقة قيل : إن الله أنزل مائة كتاب وأربعة ، جمع معانيها فى التوراة والانجيل ، والقرآن ، وجمع معانى هذه الكتب الثلاثة فى القرآن ، وجمع معانى القرآن فى المفضل ، وجمع معانى المفضل فى الفاتحة ، وجمع معانى الفاتحة فى ( إياك نعبد وإياك نستعين ) .

ويؤكد ذلك أن جميع الرسل دعوا إلى ( إياك نعبد وإياك نستعين ) .

فقد قال نوح عليه السلام لقوله ( اعبدوا الله مالم يكن من إله غيره ) .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب ، وإبراهيم .

قال تعالى ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . ) ٢٦ النحل . وقال ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . ) ٢٥ الأنبياء .

ولأهمية مفهوم العبودية وعلو شأنه جعل الله العبودية وصفا لأقرب خلقه إليه ، فقال تعالى ( إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون . ) ٢٠٦ الأعراف .

وقال عن داود ( واذكر عبدنا داود .. ) ١٧ ص .

وقال عن ايوب ( واذكر عبدنا ايوب ) ٤١ ص .

وقال ( واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب ) ٤٥ ص .

وقال عن سليمان ( نعم العبد إنه أواب .. ) ٣٠ ص .

وقال عن عيسى ( لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون . )  
١٧٢ النساء .

وقال عن محمد ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام ( تبارك الذى نزل الفرقان  
على عبده ) الفرقان ، فذكره بالعبودية فى مقام التشريف بإنزال الكتاب عليه ، كما  
ذكره بالعبودية فى مقام التشريف بالإسراء ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا .. )  
الاسراء

وجعل الله سبحانه وتعالى البشارة المطلق لمن يسميهم عباده ( فبشر عباد ) ١٧  
الزمر ، وجعل الأمن المطلق لهم ( يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ) ٦٨  
الزخرف ، وعزل الشيطان عنهم بخاصة ( إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ) ٤٢  
الحجر .

العبادة هى الهدف من خلق الانسان :

إذا كان قد تقرر أن العبودية ضرورة لا تنفك عن المخلوق

فكيف نخص مخلوقات معينة بأنها خلقت للعبودية ؟

والرد على ذلك يتضح عندما نعرف أننا نقصد العبودية بالمعنى الثالث ، وهو :  
الخشوع التسليمى المبني على الاختيار والارادة .

إذا حددنا مرادنا بذلك تبين لنا أن القرآن الكريم يصرح بأن العبادة كانت هى  
الهدف من خلق الانسان ، يقول تعالى ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ) ٥٦  
الذاريات .

ويقول تعالى ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم  
تتقون ) ٢١ البقرة

وعنيانا أن نقرر هنا أنه لولا أن القرآن ذكر لنا ذلك - أى ذكر لنا أن العبادة هى

الهدف - ماكان لأحد أن يزعم أنه يملك الإجابة على السؤال الخاص بالهدف من خلق الانسان .

كما علينا أن نقرر أيضا : أن على العقل وهو يتلقى الإجابة على هذا السؤال من الروح ألا يسترسل بعد ذلك فى محاولة الاجابة على أسئلة أبعد ، مهما يظهر لنا من خصائص العبادة وأثارها ، ذلك أن الأسئلة والأجوبة فى هذا المقام لامجال فيها للاجتهاد ، ولايتأتى فيها العلم إلا لمن أحاط بكل شىء علما .

ان محاولة الاجتهاد فى هذا المقام - بغير استناد الى الوحي الصريح - هى أشبه بمحاولة حشرة فى تضاعيف ثوب أن تعرف شيئا عن مجريات الأمور وأغراضها على هذه الأرض !! وعلى العقل هنا وقد عرف ماسمح الوحي بمعرفته ، أن يعود إلى ما تقتضيه هذه العبودية من تكاليف ليوجه طاقته فى خدمتها .

والتكاليف التى تقع على عاتق " العبد " الانسان " منها مايتعلق بقلبه ، ومنها مايتعلق بلسانه ، ومنها مايتعلق بجوارحه .

فالذى يتعلق بالقلب أهمه المعرفة والنية والإخلاص والتصديق .

والذى يتعلق باللسان أهمه النطق بالشهادتين ، وتلاوة القرآن ومايلزمه فى العبادات، أو مايلزمه فى المعاملات.

والذى يتعلق بالجوارح أهمه " تناول الطعام والشراب والكساء حفاظا على الحياة " والاستماع " لما يقتضيه الشرع سماعه ، و" النظر " فيما يأتيه من الوحي ، أو العلم أو الكين ، و" المشى " فى مناكب الأرض للتكسب ، وسد الحاجات ، والنظر ، و" المشى " إلى الجماعات والحج ومجالس العلم والقيام بالطاعات .

## المبحث الثانى

### أنواع العبادة وشمولها فى الاسلام

يتطلب الاسلام من المسلم ان يكون لله فى كل ماياخذ ويدع ، ومايسكن ومايتحرك ، ومايكبر ويصغر... من كل مايتعلق بوجوده حيا ، أو ميتا . يقول تعالى : ( قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت...) (

ولاغربة فى ذلك ، لأنه المخلوق أمام الخالق فهل له من أمره شىء ؟

ومن هنا يلزم القول بأن العبادة فى الاسلام لاتنزل فى جانب ( اعط مالقيصر لقيصر وماله لله ..) كلا ، إنه بالنسبة لله ليس هناك قيصر ، ولاينبغى أن يكون هناك من يتوجه إلى غير الله .

( قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ..)

إن كل عمل يقوم به المسلم ، أو نية يعقد قلبه عليها أو كلمة يجهر أو يسر بها..تصبح عبادة ، إذا توجه بها الى الله سبحانه وتعالى ، بشروطه ، جل شأنه .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( الإيمان بضع وسبعون شعبة ، وأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان .) متفق عليه .

إلا أن هذا الشمول لم يترك هملا ، وإنما اهتمت الشريعة بتفصيل أنواع ، كما اهتمت بالإشارة الى أنواع ، ووضعت القواعد للحكم على أنواع ، وأرسلت الأمر فى أعمال المسلم جميعها ليحصل الاجتهاد منه فى جعلها عبادات عن طريق النية، وفقا لتلك القواعد العامة .

وسنذكر فيما يلي أنواع هذه العبادات نقف عند بعضها ، ونمر بسرعة عند بعضها مما لاحتاج فى ذكره إلى أكثر من تكملة الصورة بوجه عام .

## الطهارة

أتمت الشريعة الإسلامية اهتماما واضحا بطهارة الظاهر من جوانبها المختلفة.

الجانب الأول من ذلك : هو الطهارة عن النجاسات ، من الجمادات كالبلول والغائط والدم المسفوح والخمر ، أو من الحيوانات كالخنزير والميتة على التفصيل فى ذلك.

الجانب الثانى من ذلك : الطهارة عن الأحداث بالوضوء والغسل أو ما يحل محلها . مع الحث على مصاحبته بذكر الله ، والتوجه إليه .، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره .) رواه مسلم ويقول : ( ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء .) رواه مسلم .

أما الجانب الثالث من طهارة الظاهر فهو : الطهارة من الفضلات ، أى التنظيف من الأوساخ عموما ، وما يزيد فى البدن ، كالشعر غير المستحب ، والأظفار ونحوه . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة ) متفق عليه . ويقول عليه الصلاة والسلام ( حق على كل مسلم : الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة .) رواه أحمد . وفى جماع الأمر كله ورد قوله صلى الله عليه وسلم ( إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفئنتكم ولا تشبهوا باليهود .) رواه الترمذى .

## ارتباط طهارة الظاهر بأركان الدين وبواطنه :

لو أن احدا ذكر الأصل الذى بنى عليه الاسلام فقال : إنه ( بنى على النظافة ) لما كان فى قوله هذا أدنى مبالغة .

أنظر الى قوله تعالى ( ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم ) ؟ إنه ابتداء بقرر أن هدف هذا الدين هو الطهارة . ثم انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم (الطهور شطر الإيمان ) أخرجه مسلم - لتتأكد من تداخل الطهارة فى كيان الدين كله .

إن الحديث الأخير جعل الطهارة شطر الإيمان ، لأنه نصف العمل فى كل مرتبة من مراتبه .

إن مراتب الطهارات لاتقف عند مرتبة " تطهير الظاهر " عن الخبائث والأحداث والفضلات ، ولكنها تصعد لتكون تطهيرا للجوارح عن الجرائم والآثام ، وإذن فالطهارة هنا نصف العمل فى الطريق إلى عمارة هذه الجوارح بالطاعات !

ثم تصعد الطهارة بعد ذلك لتكون تطهيرا للقلب عن الأخلاق المذمومة والردائل المعقوتة ، وإذن فالطهارة هنا نصف العمل فى الطريق الى عمارة هذا القلب بالأخلاق المحمودة والعقائد الصحيحة .

ثم تصعد الطهارة بعد ذلك لتكون تطهيرا لـ " السر " ، عما سوى الله تعالى ، وإذن فالطهارة هنا نصف العمل فى الطريق إلى عمارة هذا السر بمعرفة الله .

فهذه هى مقامات الطهارة متداخلة مع مقامات الإيمان حتى أعلى درجاته ، تمثل الطهارة فيها نصف العمل المطلوب مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم ( الطهور شطر الإيمان .. )

ومن ذلك يتبين أمران : الأول أن طهارة الظاهر هى المرتبة الأولى من الطهارة وأن من يقف عندها يخسر طريق الطهارة بالجملة ، ويخسر الصعود فى طريق الإيمان على التفصيل : فليس من الطهارة أن يبالغ المرء فى نظافة الظاهر والباطن مخروب بخبائث الكبر والجهل والنفاق ، ملوئ بكبائر الفحش والزور والغفور ، مبطون بأكل الربا وأموال اليتامى ، طافح بالشرك وعبادة المال والسلطان والجاه .

الأمر الثانى : أن العبد لايمكنه أن ينال الدرجة العالية من الطهارة إلا بأن يحقق الدرجة التى هى أدنى منها ، وعلى هذا فطهارة الظاهر لاغنى عنها للعبد المسلم ، ومن يفرط فيها فقد فرط فى طريق الطهارة كله ، وخسر طريق الإيمان والصعود فيه كذلك .



## فرائض الصلاة والزكاة

### والصوم والحج

تكملة لصورة الموضوع فى ذهن القارئ، نضع تحت نظره التذكرة التالية :-

١- فى الصلاة :

يقول الله تعالى ( إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ) ١٠٣ النساء .

ويقول تعالى ( قل لعبادى يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلاق ) ٣١ إبراهيم .

وروى الشيخان بسندهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : " الصلاة على وقتها " قلت ثم أى ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أى قال : " الجهاد فى سبيل الله " .

ولابد من التذكير هنا بأن الشريعة الاسلامية تعضى فريضة الصلاة أهمية تماثل أهمية النطق بالشهادتين أو تقرب منها .

مما يدل على ذلك ما جاء فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه مسلم وغيره ( إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ) . أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ماك فى الموطأ :

( بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونها ) . وروى الترمذى قوله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ( العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ) . حسن صحيح .

وفيما رواه الشيخان جاء قوله صلى الله عليه وسلم ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام ) .

والصلاة فى الشريعة الاسلاميه ليست عملا فرديا محضا ، وإنما هى فى بعض أحوالها رابطة اجتماعية تقف بمسئولييتها أمام الله . يقول صلى الله عليه وسلم ( لقد هممت أن أمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم ) رواه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود .

ويقول صلى الله عليه وسلم ( صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ) أخرجه الشيخان ، وأحمد ومالك والترمذى والنسائى .

## (٢) الزكاة :

فرضت الزكاة كما فرضت الصلاة ، وأردفت بذكرها بقول الله تعالى ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. ) ، ويتبين من حديث « بنى الاسلام على خمس ... » أن الزكاة أحد الأركان الأساسية للإسلام .

ولذا شدد الله تعالى الوعيد على المقصرين فيها فقال : ( والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ) .

وشرح الرسول ذلك على طريق التحذير الشديد فقال : ( مامن صاحب ذهب ولافضة لا يؤدى منها حقها إلا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم . فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره . كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ..... ) متفق عليه .

وللحديث بقية فى : الإبل ، والبقر ، والغنم ، والخيول .

ومن أجل هذا كان ترك إخراج الزكاة ممن وجبت عليه من الكبائر .

ويتسع مفهوم الزكاة فى الاسلام ليشمل بثوابه من لم يكن قادرا على المال .

فعن أبى ذر أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ؟ قال : أو ليس الله قد جعل لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحه صدقة . وكل تكبيره صدقة ، وكل تحميده صدقة ، وكل تهليله صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وفى بضع

أحدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله أيأتى شهبوته ويكون له فيها أجر ؟؟ قال :  
أرأيتم لو وضعها فى حرام . أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له  
أجر . ( رواه مسلم .

٢- الصوم :

يبين الله تعالى فرضية الصوم علينا بقوله ( ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم  
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . ) ١٨٣ البقرة .

والصوم هو أحد أركان الاسلام الخمسة التى جاء ذكرها فى حديث الرسول  
صلى الله عليه وسلم ( بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله . وأن  
محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان . )  
متفق عليه .

٤ - الحج : يقول الله تعالى ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا  
، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين . ) ٩٧ آل عمران .

وفى الحديث بالإضافة لحديث الأركان السابق - ، أخرج مسلم بسنده عن أبى  
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقال : ( ياأيها الناس قد  
فرض الله عليكم الحج فحجوا . ) رواه مسلم .

## تلاوة القرآن الكريم والذكر

(i) يقول الله تعالى فى الأمر بالتلاوة ( فاقروا ما تيسر من القرآن . )

وفى الحديث جاء قوله صلى الله عليه وسلم ( خيركم من تعلم القرآن وعلمه . )  
رواه البخارى .

وقال صلى الله عليه وسلم ( الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام  
البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعنت فيه وهو شاق عليه له أجران ) متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم ( مااجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله  
ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة  
وذكرهم الله فيمن عنده . ) رواه مسلم .

(ب) أما الذكر فأصله قوله تعالى ( اذكروا الله ذكرا كثيرا ) ٤١ الأحزاب .

وقوله تعالى ( الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ) ٩١ آل عمران .

وقوله تعالى ( فاذكرونى أذكركم .. ) . ويقول بعض الصالحين : ( إنى أعلم متى يذكرنى ربى .. إذا ذكرته يذكرنى .. ) .

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ( .. رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية لله ) .

## شمول العبادة

مفهوم العبادة لا يقتصر على الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والتلاوة والذكر ... وإنما هو يشمل كل جوانب الحياة بشرط التوجه فيها الى طاعة الله .

فطلب العلم وتحصيله عبادة .

وطلب الرزق بالعمل عبادة . والقيام بولاية الأمر عبادة . والجهاد عبادة . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة .... بشرط التوجه الى الله .

## طلب العلم

ليس أدل على أن طلب العلم وتحصيله - مرضاة لله تعالى - عبادة من قوله تعالى ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) ٢٨ فاطر . ومن هنا كان العلم مطلباً يستعان فيه بالله ، يقول تعالى ( وقل رب زدنى علما ) ١١٤ طه .

وكان العلم جهداً مأموراً به من الله ، يقول تعالى ( قل سبروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير ) ٢٠ العنكبوت .

وكان العلم قيمة مرفوعة بأمر الله ، يقول تعالى : ( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب ) ٩ الزمر .

وكان العلم مكرمة يختص بها الله عباده ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ) متفق عليه .

وكان العلم طاعة في سبيل الله ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ) . رواه الترمذى وقال : حديث حسن . وكان العلم مصدر ثواب متجدد لصاحبه بعد مماته ، يقول صلى الله عليه وسلم ( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ) . رواه مسلم .

وكان كتمان العلم بعد الحصول عليه معصية ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ) . رواه ابو داود والترمذى ، وقال حديث حسن .

### طلب الرزق بالعمل

ليس أوضح في بيان فضيلة العمل وكونه قرينة الى الله من قوله صلى الله عليه وسلم ( ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده ) . رواه البخارى .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( إن الله يحب العبد المحترف ، ومن كد على عياله كان كالجاهد في سبيل الله عز وجل ) . رواه احمد .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( مامن مسلم يفرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة ) . رواه مسلم .

وفى رواية له ( فلا يفرس المسلم غرسا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( إذا قامت الساعة وبيد احدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يفرسها فليفرسها ، فله بذلك أجر ) . رواه أحمد .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( أفضل الكسب بيع مبرور ، وعمل الرجل بيده ) . رواه احمد والبخارى .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( خير الكسب كسب يدى عامل إذا نصح.) رواه أحمد.

روى الديلمى ( إن الله يحب أن يرى عبده تعباً فى طلب الحلال .) . وروى الطبرانى (إذا صليتم الفجر فلاتناموا عن طلب أرزاقكم .)

ولقد بلغ من أهمية الأمر أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشارك فى تفاصيل تهيئة العمل لأصحابه .

فعن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار جاء الى النبی صلى الله عليه وسلم يسأله ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : لك فى بيتك شيء ؟ قال الرجل : نعم " حلس تلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقدح نشرب فيه الماء . قال : فانتنى بهما . فاتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم قال : من يشتري هذين ؟ فقال رجل : أنا أخذهما بدرهم ، قال : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثة . قال رجل : أنا أخذهما بدرهمين ، فأعطاه إياهما ، واخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصارى ، وقال : اشتر بأخذهما طعاماً فانبذه الى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فانتنى به . ففعل . فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشد فيه عوداً وقال : اذهب واحتطب ، ولأزرك خمسة عشر يوماً ، فجعل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فقال : اشتر ببعضها طعاماً وبيع بعضها ثوباً ، ثم قال : هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة .) رواه ابن ماجه .

## الولاية والرعاية

يقول صلى الله عليه وسلم ( كلکم راع وكلکم مسئول عن رعيته ، والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلکم راع وكلکم مسئول عن رعيته .) متفق عليه .

ويقول صلى الله عليه وسلم ( سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ...) الخ الحديث ، وهو متفق عليه .

ويقول صلى الله عليه وسلم ( إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهملهم وماولوا .) رواه مسلم .

ويقول صلى الله عليه وسلم فى التحذير من الإخلال بهذه العبادة وواجباتها ( مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة . ) متفق عليه .

ويقول : ( اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به ) رواه مسلم .

## الجهاد

يقول تعالى ( فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما . )

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الاعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور . ) متفق عليه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها . والروحة يروحها العبد فى سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها . ) متفق عليه . ويقول صلى الله عليه وسلم ( من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق . ) رواه مسلم .

والجهاد قد يكون فرض عين ، وقد يكون فرض كفاية على التفصيل فى ذلك مما يرجع إليه فى مظانه من كتب الفقه والسياسة الشرعية .

## الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فرائض الكفاية المقررة فى الاسلام ، والقيام بها عبادة ، والتفريط فيها كبيرة ، وقد يكون فرض عين فى بعض المواضع . جاء الأمر الصريح بهذه الفرضية فى قوله تعالى ( ولتكن منكم أمة يدعون الى

الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ( ١٠٤ آل عمران .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان . ) رواه مسلم .

وفى الحديث جاء قوله صلى الله عليه وسلم فى التحذير من ترك هذه الفريضة ( والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبيعن عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم . ) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن هذا وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شروط يرجع إليها فى مظانها من كتب الفقه والحديث .



## شمول العبادة لشئون الحياة اليومية

- كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة .
- تعين الرجل فى دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة .
- والكمة الطيبة صدقة ..
- ويكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة (١) ..
- وتعيط الأذى عن الطريق صدقة (٢)
- (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) (٣)
- (أفشروا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام )
- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .
- ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه .
- ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (٤)
- عيادة المريض .
- اتباع الجنائز .
- تسميت العاطس .
- إيراد المقسم .
- نصر المظلوم .
- إجابة الداعى (٥)
- لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون (٦)

- ( غطوا الإناء . وأوكلوا السقاء ، وأغلقوا الباب ، وأطفئوا السراج . فإن الشيطان لا يحل سقاء ، ولا يفتح بابا ولا يكشف إناء ) (٧)
- ( يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك . ) (٨)
- لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال (٩)
- إن الله يكره لكم " قيل وقال " وكثرة السؤال وإضاعة المال (١٠)
- مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأنحين هذا عن المسلمين ليؤذيهم ، فأدخل الجنة . (١١)
- ( إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته ، قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ثم طرح فى النار . ) (١٢)
- ( إذا انقطع شمع نعل أحدكم فلا يمشى فى الآخر حتى يصلحها . ) (١٣)

\* \* \*

• إنه ليس من المقبول فى الاسلام أن ينقطع الانسان بحياته الى أداء الصلوات - مثلا - فقد جاء فى الحديث القدسى ( أن الله أوحى الى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد: أما زهدك فى الدنيا فتعجلت راحة نفسك وأما انقطاعك إلى فتعززت بى ...

فماذا عملت فيما لى عليك ؟

قال : يارب وما ذلك على ؟

قال : هل عادت فى عدوا ، أو هل واليت فى ولية ؟؟

رواه ابو نعيم فى الحلية ، والخطيب فى تاريخه .

إن هذا الانقطاع أشبه بما مثل له الشيخ محمد الغزالي بحق ، فى قوله ( تخيل حاكما قال لاتباعه : أمامكم أجهزة النولة أديروها لإثبات وجودكم وتحقيق هدفكم ، فإذا هم يتركون الأجهزة عاطلة ويجتمعون بين الحين والحين أمام قصره للتهاتف باسمه ) انه لو طردهم من ساحته مآظلمهم. (١٤).

## العبادات الكفائية

تنقسم الفروض كما يقرر الفقهاء الى فرض عين ، وفرض كفاية ، والمقصود بفرض العين ما ينعقد فى ذمة الشخص بعينه ، فلا يسقط إلا بأدائه بنفسه كصلاة الصبح مثلا .

اما فرض الكفاية فهو ما ينعقد فى ذمة الجماعة على الشيوع فإذا أداه بعضهم - بشروط معينة - سقط عن الباقيين ، كصلاة الجنازة مثلا .

وقد غفل المسلمون فى العصر الحديث عن الحكم الشرعى لأمر اخنوا يصنفونها تحت عناوين مستحدثة لاتشعر بصلتها بواجباتهم الشرعية . كأن يقولوا عن زراعة القمح بدلا من استيراده انه واجب من واجبات التخطيط والادارة ، أو يقولوا مثل ذلك عن صناعة السلاح ، أو عن تكنولوجيا الأقمار الصناعية ، أو عن هندسة المدن ، أو عن الكيمياء الحيوية ، أو عن الهندسة الوراثية ، أو عن طب الأبدان ، أو سياسة الأعلام ، أو بناء المفاعلات الذرية ، أو قيادة الطائرات ، أو اصلاح السيارات .... الخ

ومن هنا يقع المجتمع فى معصية التفريط فى هذه الأمور ، والجهل بها ، ويصبح عالة فيها على أعدائه .

ان المجتمع بذلك يكون قد أسقط فرضا من الفرائض ، أو واجبا من الواجبات ، أو عبادة من العبادات التى تلزمه بحكم الشرع . غاية ما فى الأمر أنها لاتجب على كل فرد من أفراد المجتمع ، فهى ليست فرض عين ، ولكنها تجب على هذا المجتمع على الشيوع ، بحيث اذا قصر فيها أثم جميع الأفراد ، وإذا أداهما بعضهم على الوجه المطلوب سقط الاثم عن الباقيين فهى فرض كفاية .

إن فرض الكفاية كما يلفت أنظارنا إليه الشيخ محمد الغزالي ( قد يتصل بحراسة الأمن ، والقضاء بين الناس ، والقيام بشتى المناصب ، وإجادة الفنون والصناعات التى ينهض بها العمران ، وتحيا عليها الأمة ، وغير ذلك من الشئون المهمة . ) ( ١٥ )

وعندئذ فإن القائمين بأداء فروض الكفاية يقومون بعبادات إسلامية لها شأنها العظيم .

وليس صحيحا - إذن - مايتجه اليه بعض المتدينين من التفرقة بين صور العبادات العينية المحددة ، وأداء الأعمال الأخرى التى يحتاج إليها المسلمون . وفى كل الأحوال فإن العمل إنما يصير عبادة بالتوجه إلى طاعة الله .

## النوافل

شرع الاسلام عبادات تؤدى فى كل باب من أبواب العبادة تزيد على ماتقرر فيها كفروض وواجبات ، جاء ذلك فى الصلاة والصدقة ، والصوم ، والعمرة ، وسائر الزيادات فى سائر أبواب العبادات والطاعات .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما روى عن ربه فى الحديث القدسى : ( مايزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها .... )

فانظر إلى الدرجة العليا التى تحققها النوافل فى أبواب العبادات والقرب من الله ؟ ومن عجيب الأمور أننا نركز دائما على أن الفرائض أهم من النوافل ، وهذا صحيح إذا قصدنا الخروج من المعصية وتجنب العقاب ، وإذا أردنا وضع الأساس الذى تقوم عليه العبادات ولكن للموضوع جانبا آخر .

وذلك إذا قارنا بين ثواب من يقتصر على الفرائض ، وثواب من يضيف إليها النوافل ..

الفرق هائل .

وعندئذ تصبح درجات الثواب العليا خاصة بالذين حرصوا على النوافل ،  
محروما منها الذين اقتصروا على الفرائض ،

ولاظن أن الانسان عند ذاك إلا عاندا على نفسه بالحسرة والندم .

إن حال الفرائض أشبه بحال الأساسيات التي توجد فى المسكن الذى يسكنه  
الانسان ، وحال النوافل أشبه بحال الكماليات التى تتوافر فيه .

صحيح انه لولا أساسيات المسكن لما كان للكماليات فيه شأن . ولكننا من حقنا  
مع ذلك أن نسأل الساكن : بأى شىء يستمتع ؟ ونسأل صاحب المسكن الذى  
اقتصر على الأساسيات ..كيف الحال ؟!

## عبادات سلبية

ربما كان أغلب ماذكرنا أو كله ينصرف الى العبادات التى تقتضى منا القيام  
بأعمال . ولكننا لانزدى الموضوع حقه إذا نحن أغفلنا شطرا كبيرا من العبادات  
يتمثل فى ( عدم القيام بأعمال ..) وذلك هو جانب الانتهاء عما نهى الله عنه ..

فأنت إذا انتهيت عن المنكر مستحضرا الانصياع لأمر الله ونهيه فأنت حينئذ فى  
عبادة لامراء .

انت فى طاعة وعبادة إذ تمتنع - بإرادة وتوجه الى الله- عن السرقة والزنا ،  
والرشوة ، وشرب الخمر ، ولعب القمار ، وأكل الربا ، وأكل الميتة ، والدم ، ولحم  
الخنزير ، وماأهل لغير الله به ، وقتل النفس بغير حق ، وعق الوالدين ، وقطع  
الأرحام ، وخيانة العهد ، واحتكار الطعام ، وغش التجارة ، وغش الامتحان ،  
والاخلال بالأمانة ، والاخلال بالنظام ، وقذف المحصنات ، والجهر بالسوء من القول  
، وفحش الكلام ، وفحش الفعل ، وسوء النية ... الخ .

ولا تقتصر العبادات السلبية على هذه الطائفة من " الامتناع " ، إذ هى ليست إلا  
فرعا من فروع " الصبر " .

ولقد بين العلماء أن الصبر ثلاثة أنواع :-

صبر عن المعصية ، مما ضربنا أمثاله أنفا ، وفائدته الحذر من الحرام كما أوضحنا ، والإبقاء على الإيمان كما أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله ( لا يزننى الزانى حين يزننى وهو مؤمن . )

وصبر على البلاء وفائزته التماسك والستر والنجاح .

وصبر على الطاعة وفائدته المداومة والاخلاص والاحسان .

ومن هنا جعل سيدنا على الصبر في الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وأنه لا جسد لمن لا رأس له ، ولا إيمان لمن لا صبر له . وجعله من أركان الاسلام حين قال ( بنى الاسلام على أربع دعائم : على اليقين ، والصبر ، والجهد ، والعدل . ) . وأقامه على أربع دعائم أيضا: على الشفقة : فإذا أشفق من النار صبر عن المحرمات . وعلى الشوق : فإذا اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات . وعلى الترقب : فمن ترقب الموت سارع الى الطاعات . وعلى الزهد : فمن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات .

ولقد جاء الأمر بالصبر في القرآن الكريم على وجوه كثيرة :

الأول : الأمر به كما جاء بالصلاة في قوله تعالى ( واستعينوا بالصبر والصلاة . )

الثاني : الثناء على أهله ( والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . ) وجعلهم في معية الله ( والله مع الصابرين . )

الثالث : إيجاب الجزاء لهم بأحسن الأعمال ( ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . ) ٩٦ النحل

الرابع : أنه يورث صاحبه درجة الامامة ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . ) ٢٤ السجدة

## المبحث الثالث

### خصائص العبادة فى الإسلام

نعنى بهذه الخصائص مجموعة من الصفات اللازمة لهذه العبادات فى مجموعها أو فى إحداها ، والتي تميزها عن غيرها من العبادات فى غير الاسلام .

وسنقتصر هنا على أهم هذه الخصائص :-

١- إفراد الله بالعبودية ( الاخلاص )

٢- انعدام الوسطة بين العابد والمعبود .

٣- حضور القلب .

٤- الربط الوثيق بين ظاهر الفعل وباطنه .

٥- التوافق مع الفطرة .

٦- التيسير .

٧- التوقيف والتسليم .

٨- التفهم .

٩- التعظيم والهيبة .

١٠- الرجاء ، والحياء .

١١- التخلق .

١٢- تلبية الشوق الى الله .

١٣- المحبة .

(١)

## إفراد الله تعالى بالعبودية

يقول الله تعالى ( ألا لله الدين الخالص )

ويقول تعالى ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين . )

ويقول تعالى ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا . )

وليس المقصود في هذا المقام مجرد الاعتقاد بتوحيد الله تعالى ، فذلك شرط الإيمان ، وهو مطلوب أولى لا يحتاج إلى بيان ، ولكن المقصود : إفراد الله بالعبادة ، بمعنى أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون أى شيء آخر ، من تصنع لمخلوق ، أو اكتساب لعرض دنيوى ، أو محمدة عند الناس .

وفى هذا المعنى جاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم صريحا واضحا فى روايته عن ربه فى الحديث القدسى ( قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه . ) رواه مسلم .

فالمقصود هو التبرى عما يطلق عليه الشرك الأصغر ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراهم فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء . )

ومرجع التحقيق فى هذا إلى النية . يقول عليه الصلاة والسلام ( إنما الأعمال بالنية ، ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه . ) رواه البخارى فى صحيحه .



وفى هذا الأمر تحير رجل من الناس فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله - فيما يرويه ابن عباس رضى الله عنه - قال يارسول الله : إني أقف الموقف أريد وجه الله ، وأريد أن يرى موطنى؟ ! فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا . ) ١١ الكهف .

وفى وصف هذا التحير ورد قوله صلى الله عليه وسلم ( مثل المنافق كمثّل الشاه العائرة بين الغنمين ، تعير الى هذه مرة وإلى هذه مرة . ) أخرجه البغوى فى مصابيح من الصحاح .

ولايقف الأمر - فى مثل هذه الحال - عند حد إجباط العمل أصلا ، ولكنه يتعداه الى استحقاق العقوبة ، ففى رواية لأحمد يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم تلهب فيه النار . ) .

وكتوضيح عملى لهذه القضية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن أول مايقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت حتى استشهدت ، قال : كذبت . ولكنك قاتلت لأن يقال جرى ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فىك القرآن . قال : كذبت . ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن تنفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى به فى النار . ) رواه مسلم .

وأذا كان من الواضح أن العمل الخالص لوجه الله يكون سببا للثواب ، والعمل الذى لم يرد به العبد إلا الرياء يكون سببا للعقاب ، فإن النظر يتجه بعد ذلك إلى العمل المشوب بالرياء ، إذ ظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له أصلا ، وليس تخلو

من تعارض فيه .

يقول الامام أبو حامد الغزالي ( الذي ينقدح لنار فيه - والعلم عند الله - أن ينظر إلى قدر قوة الباعث ، فإن كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لاله ولا عليه .

وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع ، وهو مع ذلك مضر ومفوض للعقاب ، نعم : العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء .

وإن كان قصد التقرب أغلب فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني .

وهذا لقوله تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) . ولقوله تعالى ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ) . ( ... )

فلو أن مسلما خرج ليفز في سبيل الله وكانت دوافعه الدينية هي التي حركته للفز وإن لم تكن غنية ، ولكنه مع ذلك كان بالخيار بين طائفتين للعدو إحداهما غنية ، والأخرى فقيرة ، فعالم إلى جهة الأغنياء لمحاربتها لاعلاء كلمة الله والغنية !! ، فاستشهد ، أفلا يكون له ثواب !! ؟

• يقول الامام الغزالي ( نعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك ، فإن هذا حرج في الدين ، ومدخل لليأس على المسلمين ، لأن أمثلة هذه الشوائب التابعة ، لا ينفك الانسان عنها إلا على النور .

فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب ، فاما في إيجابه فلا .

نعم ، الانسان فيه على خطر عظيم ، لأنه ربما يقطن من نفسه أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب الى الله ، ويكون الأغلب على سره الحظ النفسي ، وذلك مما يخفى أشد الخفاء . فلا يحصل الأجر الا بالاخلاص ، والإخلاص قلما يستيقنه الانسان من نفسه وإن بانغ في الاحتياط .

فلذلك ينبغي أن يكون أبدا - بعد كمال الاجتهاد - مترددا بين الرد والقبول ، خائفا أن تكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها .

ومع ذلك فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الرياء ، فإن ذلك منتهى بغية

الشيطان اذ المقصود ألا يفوت الإخلاص فإذا ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعا ..)

ويقول أبو سعيد الخراز ( الإخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص . )

ويقول الفضيل بن عياض ( العمل من أجل الناس رياء ، وترك العمل من أجل الناس شرك. والإخلاص أن يعافيك الله منهما . ) اهـ

(٢)

## انعدام الوساطة

العبادات الإسلامية كلها تكليف لضمير الفرد يتصل فيها اتصالا مباشرا بالله لا يتوقف على وساطة من أى نوع .

يصلى المسلم حيث أدركه موعد الصلاة ، لا يحتاج فى صلاته إلى توسط كاهن ، أو توسط هيكل ...

ويصوم ويفطر فى داره أو موطن عمله ..

ويحج فيذهب الى بيت لاسلطان فيه لسان أو رجل دين ...

ويذهب الى صلاة الجماعة فلا تنقيد صلاته الجامعة بمراسم كهانة ، أو أتاة محراب ، ويؤم فى هذه الصلاة الجامعة من هو أهل للإمامة بين الحاضرين - باختيارهم لساعتهم إن لم يكن معروفا عندهم قبل ذلك .

ويخرج الزكاة فلا يحتاج فى اخراجها أو قبولها إلى غير الله .

ويخطئ فيتوب دون حاجة إلى كاهن يعترف بين يديه ، أو إلى صك غفران يحصل عليه من سلطة دينية ...!

ونحن إذا أنعمنا النظر فى ذلك وجدنا أنه ليس مجرد مزية من مزايا العبادة فى الاسلام ، وإنما وجدناه فوق ذلك دليلا للتفرقة بين ماهو من الله وماهو من افتراء البشر ...

إذ كيف نتصور أن يطلب الله من عبده أن يصله أو أن يصلى اليه ثم يسمع الآخرين أن يقفوا بينه وبين عبده فى ذلك ؟

إن البداهة هنا تقتضى بأن تراح الوسائط لكى يتم المطلوب .

ومن الناحية الأخرى كيف نتصور أن يسمع الدجالون من أدعياء الوساطة أن

تم الصلة بين العبد وربّه بشكل مباشر لا يكون لهم فيه موضع أو مكان . ؟

إن البداية هنا تقتضى بأن يطمئنتوا إلى مكانهم فى الوساطة قبل أن يطمئنتوا إلى شىء آخر .

فالوساطة فى العبادة دليل بطلان ، وإنعدامها دليل صحة وبرهان .

ومن هنا كان الفارق هاما حاسما بين العبادة فى الاسلام والطقوس فى الأديان الأخرى.

ففى البرهمية مثلا يتلو الكاهن \* المانترا \* ويؤدى الطقوس بطريقة آلية خالية من أى شعور أو حماسة دينية ، على حين يقف المتعبد بجانبه موقفا سلبيا ينظر اليه وهو يؤدى الطقوس بالنيابة عنه ، فإذا حصل أدنى خطأ يبطل تأثير هذه الطقوس ، ولا تتوقف قيمتها على السلوك الأخلاقى للفرد المتعبد بقدر ما تتوقف على أهلية الكاهن الذى يجرى الطقوس ، وما على المتعبد إلا أن يؤمن بتأثير هذه الطقوس ، وأن يكون على الطهارة المقررة وقت أدائها .

وفى الزرادشتية يحتكر الكهان الحياة الروحية ويقيمون حواجز القداسة الخاصة التى يمتاز بها الكهنة عن العامة لتحجب هؤلاء عن تنويع المتع الروحية العليا (١٦).

وفى كتاب \* الفصن الذهبى \* لجيمس فريزر يتحدث المؤلف عن كيفية ممارسة الطقوس فى الأديان الوثنية ...

ومنه يتبين أن هذه الطقوس تمارس كما يمارس السحر ، وكما يمارس العلم . بمعنى أن الكاهن يقوم بمجموعة من الأفعال تقوم الرابطة بينها كما تقوم بين السبب والنتيجة .

ففى العلم مثلا ، يتناول الشخص الدواء المعين للحصول على الشفاء من مرض معين ، وفى السحر يقوم الساحر بأفعال معينة من الهمهمه والبخور والكتابة وإراقة الدم ..... الخ .

وفى الطقوس الوثنية يجرى الأمر كذلك : يتناول الكاهن ومعه معاونوه قطعة الفطير ويشرب كوب النبيذ ، ليحل فيه جسد الإله ودمه ... فى كل ذلك قد يحتاج

الأمر من الكاهن - وحده - إلى قوة روحية معينة ، وقد يتجه ذهن الكاهن وقوته الروحية تلك إلى نوع معين من المغالبة والمحاورة والمداورة والمصارعة مع إلهه الذى يتصل به ، وقد يلجأ فى طقوسه إلى مايعتبر مجاصرة لذلك الإله وسيطرة عليه ، أو مخادعة له ومكرا به ..... وأين المتعبون فى ذلك كله ؟؟ لادور لهم غير الانتظار ومايسمى " الإيمان " بقدرة الكاهن على ائجاز المراد ، كما ينجز الساحر ، وكما ينجز الطبيب أما الإسلام فإنه يبرأ من ذلك كله .

أطاح الاسلام بهذا الكاهن .

وخاطب ضمير الفرد وحركه للإتصال المباشر مع الله .

ولاطقوس فيه ، وإنما أعمال تعنى محض الانصياع لله والانخراط فى سلك طاعته.

يقول تعالى ( وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان.)

ويقول تعالى ( وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير . )

## حضور القلب

مما تقدم فى تقرير الاخلاص ، وانعدام الوسطة كان لابد فى العبادة فى الاسلام من حضور القلب مع الله .

يقول تعالى ( وأقم الصلاة لذكرى ) ١٤ طه .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا غفر له ماتقدم من ذنبه )

وقال صلى الله عليه وسلم ( إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان .

وقال أيضا ( إذا صليت فصل صلاة مودع ) أخرجه ابن ماجه والبيهقى ، وابن أبى حاتم ، وصححه الحاكم .

ويروى عن حاتم الأصم انه سئل عن صلاته فقال : ( إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أصلى فيه ، فأتعد حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم الى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى ، والصراط تحت قدمى ، والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى ، أظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ثم لأدري أقبلت منى أم لا .....!!؟ ) .

وحضور القلب وإن يكن لاغنى عنه فى كافة العبادات فلاشك أن المداومة عليه أثناء العبادة أظهر ماتكون الحاجة اليها فى الصلاة .

فالزكاة فى نفسها مخالفة للشهوة ، والحج فى نفسه مجاهدة وشدة ، والصوم فى نفسه كسر لسطوة الهوى ، فلايبعد أن يحصل المقصود منه بانعقاد النية فى ابتداء الفعل وإن انصرف القلب عن ذلك بعد . أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأى معنى لقولك فى الصلاة : " اهدنا الصراط المستقيم " إذا كان القلب غافلا ؟ وأى معنى من معانى التعظيم يوجد فى الركوع

والسجود وانت غافل عما تفعل ؟ يقول الامام الغزالي فى الاحياء ( وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة ، وان اقل مايبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير ، ويقدر الزيادة تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة ، وكم من حى لاهلاك به قريب من ميت ، فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لاهلاك به . نسأل الله العون . )



## الربط بين ظاهر الفعل وباطنه

بناء على ماتبين من أن العبادة فى الاسلام ليست طقوسا وأنه لابد فيها من حضور القلب . يصبح من الواضح ضرورة الربط فيها بين ظاهر الفعل وباطنه . فلا يستغنى ظاهر الفعل عن باطنه .

وبنفس القدر من الأهمية لا يستغنى باطن هذا الفعل عن ظاهره . . وسنبين ذلك على وجه التفصيل :-

أ- فالطهارة مع وجوب أن تحققها فى المكان والثياب والجسد ينبغي ألا تغفل عنها فى لبك الذى هو ذاتك وقلبك فاجتهد له تطهيرا بالندم والتوبة .

ب - وستر العورة مع وجوب أن تحققه بتغطية فضائح ما يظهر من بدنك كيف تترك معه عورات باطنك وفضائح سرانك التى لا يطلع عليها إلا ربك ؟

ج - وأما استقبال القبلة إذ هو صرف الوجه عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى ، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوباً منك ؟ هيهات ،

د- أما الاعتدال قائماً - إذ هو مثول بالشخص بين يدي الله عز وجل ، فليكن على ذكرك هاهنا خطر القيام بين يدي الله تعالى فى هول العرض للسؤال يوم القيامة .

هـ - وأما التكبير : فإذا نطق به لسانك فينبغى ألا يكذب قلبك ، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله فقد اتخذته إلهك ، وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك " الله أكبر " كلاماً باللسان وقد تخلف القلب ، وما أعظم الخطر فى ذلك .

و - وأما القراءة فالتناس فيها ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع وهى درجة أهل اليمين ، ورجل يسبق قلبه الى المعانى ولسانه يتبع ، وهى درجة المقربين . فينبغى أن تفهم ماتقروءه ، فلا تغفل عن أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ومواعظه ، وأخبار أنبيائه ، وذكر منته وإحسانه ، ولكل

واحد من هذه المعاني حقه ، فحق الوعد الرجاء ، وحق الوعيد الخوف ، وحق الأمر والنهى العزم ، وحق الموعدة الاتعاظ ، وحق المنة الشكر ، وحق أخبار السابقين الاعتبار .

ز - وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وتعالى ثم ترفع من ركوعك راجيا أنه أرحم لك ، ثم تهوى الى السجود مستشعرا أنه أعلى درجات الاستكانة والذل ، وإذا وضعت نفسك موضع الذل لله فاعلم أنك وضعتها موضعها، فإنك من التراب خلقت وإلى الله تعود ، فإذا راق قلبك فليصدق رجاؤك فى رحمته ، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل ، لا إلى التكبر والتبطر.

ح - وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدبا ، وأشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة ، وخف ألا تقبل صلاتك ....

وأخيرا - وكما يشرح الامام الغزالي ذلك كله فى الإحياء - :

فليعرض الانسان نفسه على هذه العبادة .

فعلى القدر الذى فاته ينبغى أن يتحسر

وبالقدر الذى يسر له يصح أن يفرح

وفى المداومة ينبغى أن يجتهد .

### دور الظواهر فى تقويم البواطن :

إذا كان ماتقدم يعبر عن دور الباطن فى تقويم الظاهر حيث يكون بمثابة الروح له ، وحيث تصبح الأعمال الخالية من عمارة الباطن مردودة على صاحبها .

فقد بقى أن نبين أن الأعمال الظاهرة تقوم بدورها كذلك فى تقويم الباطن منها .

أ- ذلك أن أدامها على ظاهرها هو فى حد ذاته يحقق معنى روحيا قائما بذاته هو معنى الامتثال والطاعة والتنفيذ لما طلب منك على وجه اليقين .

## التوافق مع الفطرة والترقي بها

تبين لنا من تشعب أنواع العبادة فى الإسلام أنها تكاد تغطى ساحة الاسلام كله . ومن هنا - ولأن هذا الاسلام موجه الى الانسان - برز امتحان لم يثبت فيه قدم غير قدم الاسلام ، ويتمثل هذا الامتحان فى التحدى الآتى :-

أيتفق هذا الدين فى تكاليفه وعباداته المتشعبة مع فطرة الانسان أم يتعارض معها؟ ذلك أن الدين - أى دين - إن لم يكن يتفق مع الفطرة اصلا فهو دين يعلن زيفه من بداية الأمر ، لانه يحتاج فى فحصه الى كثير من النظر .

إن العبادات الزائفة التى يصطنعها الإنسان أو يصطنعها له الشيطان هى التى يتصور فيها وقرع التناقض مع الفطرة الإنسانية .

أما إذا اتفقت معها ...

وزادت بأن ارتقت بها ، فتلك علامة أولى على صحتها . إنه لاقيمة للعبادة إذا تصادمت مع طبيعة المكلف بها . وهى لاقيمة لها كذلك إذا لم تقدم لهذه الفطرة فرصة جديدة . إذ هى فى هذه الحالة الأخيرة تكون نوعا من تحصيل الحاصل ونوعا من العبث .

وهنا نجد فى العبادات فى الاسلام انها تحقق الغرضين .

فهى ابتداء تقوم على الاعتراف بجميع مكونات شخصية الانسان من الجسد والروح والعقل والإرادة ، إنها تقوم على الترابط الذى فرغنا منه أنفا بين الظاهر والباطن واحترام كليهما، والتعامل مع فطرة الانسان باعتباره مزيجا من الأمرين .

فمن حيث يكون الانسان بفطرته صاحب وجدان لانجد فى هذه العبادات شيئا يتناقض مع وجدان الانسان ، فليس فيها رهبانية أو مقت للذات أو تقطيع للأرحام أو مشقة قاصمة ... الخ

ومن حيث يكون الانسان بفطرته صاحب جسد لانجد فى هذه العبادات شيئا يتناقض مع جسد الانسان ، أو يعمل على اضعافه أو سحقه ، وإنما هو - أى الجسد - مدعو على مائدة الله ، أسوة بمكونات الشخصية الأخرى ، وهو مدعوفى اطار العناية به والاحترام له ، بداية من طهارة الحدث الى غسل الجنابة ، وهو إذا اضطر ترفع له راية المعةزة والتخفيف ( فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه . ) ، ( لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . ) .

ومن حيث يكون الانسان بفطرته صاحب عقل لانجد فى هذه العبادات مايتناقض مع العقل ، أو يزرى به ، من الشرك فى الألوهية ، أو حمل الخطايا على كاهل الذرية ، أو إراقة الدماء على مسرح الشعوذة ، أو إقصاء طبقة من البشر عن ساحة العبودية .... الخ . وأخيرا فانه لايتناقض مع العقل قط أن تكون فى العبادة أوامر مطلوبة لمجرد الإمتثال ...

يقول اله تعالى ( فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون . ) ٣٠ الروم .

ويقول الرسول صلى اله عليه وسلم ( كل مولود يولد على الفطرة فأنبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... )

ويقول الشهرستانى ( قد قيل : إن اله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه . )

وكان رسول اله صلى اله عليه وسلم شديد التنبه عند ظهور أى سلوك يكاد يبتعد بالاسلام وعباداته عن منهجها المرسوم لها فى الاتفاق مع الفطرة

ففى الحديث أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى اله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبى صلى اله عليه وسلم قد غفر له ماتقدم من ذنب وماتأخر ، قال احدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعترل النساء فلا أتزوج . فجاء رسول الله صلى اله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ) متفق عليه .

وأخيرا ومن أجل هذا التوافق مع الفطرة ظهرت خاصة التيسير .

ب - وهى بعد ذلك تقوم بدورها فى مساعدة الباطن على التحريك والتركيز إن أعمال الجوارح فى - الصلاة - تستغرق كل جوانب شخصية الانسان الظاهرة من القول باللسان وتحريك كافة الأعضاء بغير استثناء : من اليد ، والرأس والرقبة ، والصدر ، والوسط ، والفخذين ، والساق والقدمين والأصابع والمفاصل ... كل أولئك يساق عمل الباطن من الأدب والامتثال والخشوع والتذلل لتعود عليه بالتركيز وتعاونه على الحضور ، وتزيح عنه اغرامات التمرد ، وتسد مسالك الوسواس ، وفى هذا المعنى ورد عن بعض الصحابة أنهم كانوا يخفون إلى الصلاة قائلين " نبادر بها وسوسة الشيطان " إن هذه الوسوسة إذا أطلت برأسها فمن يصرعها لساعتها غير الإرادة المترجمة إلى فعل للجوارح ؟ !

ج - إن الصلاة هنا تصبح توجهها بمجامع الانسان كلها :

من الفكر والروح والإرادة والجسد والقول والفعل جميعا . فمن ثم يتم التعاون بين هذه الجوانب جميعا .

وهذه مزية للعبادة فى الاسلام لاتوجد على هذا التكامل فى دين آخر .

وهذا أمر يتسق مع " الفطرة " بما هى مركبة عليه من جوانب مختلفة تقوم على التفاعل والتكامل .

(٦)

## التيسير

التيسير فى العبادات فى الإسلام ظاهرة بارزة ، لاحتياج إلى شرح أو توضيح ، ويكفى فيها أن نضع أمام القارئ طائفة من نصوص الوحي تشرح الموضوع بنفسها .

ففى القرآن الكريم جاء قوله تعالى :

( يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . ) ١٨٥ البقرة

وقوله تعالى ( هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ) ٧٨ الحج .

وفى الحديث النبوى جاء قوله صلى الله عليه وسلم ( إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة . ) رواه البخارى .

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر ( ...هلك المتنطعون ) قالها ثلاثا - ذكره الامام النووى فى باب الاقتصاد فى العبادة وقال : المتنطعون المتعمقون المتشددون فى غير موضع التشديد .

· ودخل الرسول المسجد ذات مرة ( فإذا حبل معدود بين الساريتين فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا : حبل لزينب فإذا فترت تعنتت به ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد ) متفق عليه .

وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها ( ماخير رسول الله بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما . فإن كان إثما كان أبعد الناس ) متفق عليه .

وعن أبى عبد الله جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال : كنت أصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا . رواه مسلم .

ومن قوله صلى الله عليه وسلم ( إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فىهم الضعيف والسقيم والكبير وذا الحاجة ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء )

(٧)

## العبادة توقيف وتسليم

المقصود بكون العبادات توقيفية أنها تؤخذ بالوقوف على ما جاء به الشرع ، والوقوف عنده على حد سواء ، فلامجال فيها لابتداع أو زيادة أو نقصان ، أو سؤال ، وراء الثقة فى أنها هكذا جاءت فى الشرع .

لماذا يكون الصوم شهرا ولا يكون ثلاثة أسابيع أو خمسة ؟ لماذا تكون حصة الزكاة جزءا من أربعين ولا تكون جزءا من عشرين أو ستين ؟

من اعترض بأمثال هذه الاعتراضات فليس مايمنعه - كما يقول العقاد - أن يعود إلى الاعتراض لو فرض الصيام ثلاثة أسابيع أو فرضت الزكاة فوق مقدارها أو دونه ، أو فرضت الصلاة على وضع غير وضعها .

إن هذه الأوضاع فى نهاية الأمر توقيفية لا موجب من العقل للتحكيم فيها بالاقتراح والتعديل ، لأن المقترح المعدل لن يستند الى حجة أقوى من التى يرفضها

وقد ينطبق ذلك على كل تنظيم دنى و لايسرى على أمور الدين وحده ، إذ لماذا يكون عدد الكتبية فى جيش أمة ما خمسين ، ويكون فى غيرها أربعين أو ستين أو مائة ؟ ولماذا يجعل اللون الأخضر رمزا ل معنى ما فى ألوان العلم القومى عند قوم ، وهو مجعول لغير هذا المعنى عند آخرين ؟

لامناص فى النهاية من أسباب توقيفية ، يكون التسليم بها أقرب الى العقل من المجادلة فيها (١٧) .

هذا ولما كانت العبودية المعتبرة شرعا - كما بيتا سابقا - هى المشتعلة على التسليم الإرادى لله سبحانه وتعالى لا لغيره كان جديرا أن نبين هنا أن التسليم المطلوب نوعان :-

تسليم لحكم الله الدينى الأمري ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر  
بينهم ثم لا يجنوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما . )

والتسليم لحكمه الكونى ، أى الرضا بالقدر والقضاء ، وهو إنما يكون فيما لم  
يؤمر العبد بمنازعة ودفعه بأحكام أخرى هى موضع الابتلاء أخذا من قول عمر  
رضى الله عنه ( أفر من قدر الله إلى قدر الله ... ) .

والتسليم يعنى أمورا هامة :-

- أ - التخلص من أية شبهة تعارض الوحي .
- ب - التخلص من أية شهوة تعارض الأمر .
- ج - التخلص من أية إرادة تعارض القضاء .



( ٨ )

## التفهم

وإذا كان التوقيف والتسليم من خصائص العبادة في الاسلام فإنه محصور في نطاق مايتبين من حكم الله الأمرى أو حكم الله الكونى ، والانسان بعد ذلك - وهو يمارس العبادة بحضور قلب كما سبق أن بينا - لامناص من أن يخطو إلى الأمام خطوة " التفهم " .

ذلك أنه قد يحصل حضور القلب ولكن لا يحصل له التفهم بمعنى مايقول أو يعمل ، فذاك أمر آخر أعلى مرتبة .

قد يكون القلب حاضرا مع اللفظ والعمل ، ولكنه واقف لايتحرك وراء معنى اللفظ أو العمل . وإذن فهذه الحركة هي المقصود بالتفهم .

وتلك خاصية دقيقة من خصائص العبادة في الاسلام . ناشئة من خاصية التوافق مع الفطرة - وهى محتوية على العقل - والترقى بها

وهذا مقام يتفاوت الناس فيه

يقول الامام الغزالى ( كم من معان لطيفة يفهمها الحسلى فى أثناء الصلاة . ولم يكن قد خطر بقلبه شئ منها من قبل . ) ومن هذا الوجه كانت الصلاة عوناً ، وكان ناهية عن الفحشاء والمنكر .

يقول تعالى ( واستعينوا بالصبر والصلاة ) د : البقرة .

ويقول ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذاكر الله اكبر والله يعلم ماتصنعون ) د : العنكبوت

والسبب الذى يودى الى التفهم - بعد حضور القلب - هو إيمان الفكر من ناحية ، وقطع مواد الخواطر التى تشغل عن ذكر الله من ناحية أخرى . يقول بعض

الصالحين ( وما مثل من يشرع فى دفع الخواطر مع بقاء موادها إلا مثل من يدهن  
البعير الأجرى على وبره ، فأنى ينقطع جريه مع بقاء مادته فى جلده ... ) ؟  
ولا يقتصر التفهم على الصلاة وإنما ينسحب على غيرها .

ففى الزكاة - مثلا - يمكنه أن يفهم أن الزكاة مع أنها تصرف مالى هى عبادة  
تتصل بمعنى التوحيد - مثلا - لأن شرط تمام التوحيد ألا يبقى للعوحد محبوب  
سوى الواحد الصمد ، والتوحيد باللسان إنما يمتحن بفارقه المحبوب من كل  
ماسوى الله ومنه الأموال . ومن هنا يتضاعف عمله بأن يبذل فى الزكاة ما هو أكثر  
من القدر الواجب ، ويراعى المبادرة قبل الوقت ، ويستشنع حيل التخلص من  
وجوبها ، ويراعى الإسرار إلا أن يرى فى الجهر ترغيبا فى التأسى والإقتداء . .  
ثم عليه بعد ذلك ألا يفسد زكاته بالمن ، وأن يستصغر العطية مهما بدت له كبيرة ،  
وأن ينتقى من ماله أجوده وأحبه ، وأن يطلب لصدقته من تزكوه به الصدقة بعد أن  
يكون من عموم الأصناف الثمانية .

ذلك مثال لما يفيض بالتفهم المستهدف فى أداء العبادة .

(٩)

## التعظيم والهيبة

(ز) التعظيم أمر أعلى من حضور القلب والتفهم .

وهو يتولد من معرفتين :

أحدهما : معرفة جلال الله وعظمته ، وهو من أصول الايمان ، فإن من لا يعتقد عظمته لاتذعن النفس لتعظيمه .

ثانيتها : معرفة ضعف النفس وقلة شأنها ، وكونها عبدا مربوبا بالخالق .

ولابد من امتزاج المعرفتین إذ حصول احدهما لاتفنى عن الأخرى فى توليد التعظيم فتأمل .

(ب) والهيبة زائدة على التعظيم وإن كانت تنشأ منه ، وهى ليست مجرد الخوف إذ يخاف المرء من الأسباب الخسيسة فلا يكون مهابة ، فالهيبة خوف مصدره الاجلال والتعظيم . أو هى حالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله ونفوذ مشيئته فيه ، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه شيء .

وكلما زاد العلم بالله وصفاته وشرعه زادت الخشية والهيبة .

ولاتقل المهابة بزيادة القرب ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له .. ) وهو الذى قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر .

## الرجاء والحياء

أ- الرجاء معنى زائد على التعظيم والهيبة ، فكم من معظم ملكا من الملوك ، يهابه أو يخاف سطوته ، ولكن لا يرجو مثوبته ، والعبد ينبغي أن يكون راجيا بعبادته ثواب الله عز وجل . وسبب الرجاء ، ثلاث معارف : معرفته لطف الله عز وجل وسعة ملكه وكرمه ، ومعرفته صدق الله بوعده بالثواب ، ومعرفته فقر نفسه واحتياجه الدائم لكرم مولاه . فإذا حصل اليقين بذلك كله انبعث فيه الرجاء لامحالة

ب- الحياء : وهو شعور زائد على ماتقدم إذ ينشأ من الشعور بالتقصير وتوهم الذنب ، والعلم بعجزه عن القيام بعضيم حق الله تعالى .

كما ينشأ من المعرفة بعيوب النفس وأفاتها وقلة إخلاصها وميلها الى الحظ العاجل ثم ينشأ من العلم بأنه تعالى مطّاع على السر وخضرات القلب وإن دقت وخفيت .

وهذه المعارف إذا حصلت في أداء العبادة انبعث فيها حالة الحياء ، وهو شعبة من شعب الإيمان

## ( ١١ )

### التخلق

ولا تتم العبادات فى ذلك كله إلا بمجاهدة بالأخلاق الحسنة يقول تعالى ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . )

ومن هنا تتساوى حركة العبادة مع حركة التخلق بداية وانتهاء ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم . ) رواه أبو داود .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : تقوى الله وحسن الخلق . ( رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

ويقول صلى الله عليه وسلم ( البر حسن الخلق . والإثم ما حاك فى نفسك وكهرت أن يطلع عليه الناس ) متفق عليه .

ويقول صلى الله عليه وسلم ( أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

ويقول صلى الله عليه وسلم ( إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . ) رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

ومن هذه الأحاديث يتبين أنه لا تحقيق للعبادة بغير ضمان من الأخلاق ، وأن فقدما - أى الأخلاق - يرجع عليك بالشك فى أنك أدت العبادة حقا إن كنت قد أدبتها ظاهرا ، فتعود عليك نفسك اللوامة بالمحاسبة على الأمرين إن أراد الله بك خيرا .

## تلبية الشوق الى الله

لما كان الانسان مخلوقا لله مزودا بالإدراك مميزا بالشعور كان لابد أن يتحرك فى باطنه شوق طبيعى ، لا إلى معرفة خالقه الذى سواه فحسب ، ولكن الى لقائه كذلك ، وليس له طريق إلى الأمرين إلا أن يكون طريق العبادة أو راجعا إليها .

والعبادات إجمالا تسهم فى الحصول على مطلوب الإنسان أو تقربه منه ، وأظهر العبادات فى ذلك هى الصلاة ، فهى معراج المؤمن وهى محاولاته الدائبة المتكررة فى هذا السبيل .

وبالرغم من أن الصلاة هى أظهر العبادات فى هذا الباب إلا أن شريعة الاسلام - وهى شريعة الفطرة - فتحت أمام مشاعر الانسان بابا فذا آخر فى الحج .

فقد وضع الله البيت فى الأرض للناس ( إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . ) وإن من قصد البيت جدير باللقاء .

ولكننا نعرف أن لقاءنا لله مؤجل إلى دار القرار ، إذن ففيم الاحتفال بزيارة البيت الآن ؟

هنا يعالج الحج مشاعر الانسان بالوعد والإذكاء والتحضير ليوم موعود .

إن المسلم لا يخطر بباله قط أن البيت الحرام هو بيت الله المسكون ، ولكن يصح أن يخطر بباله أنه بيت اله المقصود ، يقصدونه تحريكا لأشواقهم إلى لقاء ، يعرفون أنه لا يتم إلا بشروطه فى الدار الآخرة .

ومن أجل هذا كان البيت مجردا تماما من كل معنى للسكن ، وهو لم يكن قط مسكونا فى التاريخ لكائن من الكائنات لانبى ولا ملك ، وإنما هو تجريد خالص - لقصد اللقاء بالله - فى يوم موعود .

ومن أجل هذا التجريد كان أول عمل قام به محمد صلى الله عليه وسلم فى دخوله البيت بعد فتح مكة ليس هو الحج ، وليس هو العمرة ، وإنما هو إزالة كل مظاهر الوثنية التى أقامها المشركون من حوله .

حتى الحجر الأسود .. فى موضعه من بناء الكعبة لم ينتسب قط الى شكل مادى معين ، ولم ينتسب قط الى رسم من الرسوم المعبودة ، ولم يذكر له تاريخ قط فى تحقيق مكربة أو خارق ، وإنما هو مجرد حجر ، أو هو حجر مجرد ، يعلن المسلمون وهم يستلمونه فى الحج أنه ( لا يضر ولا ينفع ) ، وتتحقق باستلامهم اياه قمة معانى الحج : ألا وهى تحقيق العبودية بالانقياد للأمر ، فتتحقق بذلك العبودية التامة لله وحده فى " حفل الشوق " الذى هو الحج ، استعدادا لحفل " اللقاء " فى الدار الآخرة .

( ١٢ )

## المحبة

لا يحتاج المسلم لكي يستشعر المحبة في عبادته - محبته لله أو محبة الله له - إلى نظريات أو فلسفات من هذا النوع أو ذاك تعدده بهذا الشعور في جو من الغموض في آخر الطريق ....

لا، إن الأمر على العكس من ذلك ، إنه يجد من نفسه بدايات هذا الشعور منذ اللحظة الأولى ، ومن هنا لا يدخل من هذا الباب .

بيان ذلك : أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وأى إحسان أعظم من إحسان المعبود على عبده : يبارزه عبده بالمعاصي ، وهو يحده بنعمه ، ويعامله بالكفافه ويسبل عليه ستره ، ويحفظه من خطافات أعدائه ، المترقبين ، ويردهم عنه ، ويحول بينهم وبينه ، وهو في كل ذلك مضطج على مفارفته للمعاصي ... ؟!

يقول النبي صلى الله عليه وسلم - فيما جاء بمسند الإمام أحمد - ( ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم ، والملائكة تستأذنه أن تعاجله : وتهلكه والرب تعالى يقول دعوا عبيدي فانا أعلم به إذ أنشأته من الأرض ، إن كان عبدكم فشأنكم به ، وإن كان عبيدي فمضى وإليّ ، عبيدي - وعزتي وجلالي - إن أتاني ليلا قبلته ، وإن أتاني نهارا قبلته ، وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وإن مشى إلى هرولت إليه ، وإن استغفرني استغفرت له ، وإن استقالني أقلته ، وإن تاب على تبت عليه ، من أعظم مني جودا وكروما وأنا الجواد الكريم ؟ عبيدي يبيتون يبارزونني العظام ، وأنا أكوهم في مضاجعهم وأحرسهم على فرشهم ، من أقبل إلى تقيته من بعيد ، ومن ترك لأجلي أعطيته المزيد يومن تصرف بحولي وقوتي ألت له الحديد ، ومن أراد مرادى أردت ما يريد .

أهل ذكرى أهل مجالستي .



وأهل شكرى أهل زيادتى .

وأهل طاعتى أهل كرامتى .

وأهل معصيتى لأقنطهم من رحمتى .

إن تابوا فإنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فإنا طيبهم ، أبتئهم بالمصائب لأطهرهم  
من النعائب . (

فكيف لا يكون هذا غذاء الحب يبدأ مع التائبين ؟

وكيف لا تسارع الى القول بأن خاصة الحب هى من خصائص العبادة فى  
الاسلام بداية ووسطا وانتهاء ؟ ! .

## المبحث الرابع أثر العبادات الإسلامية فى حياة المسلم

الكلام عن أثر العبادات فى الإسلام يطول ، لأنه فى الواقع يصبح كلاما عن أثر الإسلام نفسه ، لأن الإسلام فى صميمه كله عبادة وهو عبادة تشكل كل جوانب الوجود .

لهذا فسوف نقتصر فى كلامنا على طائفة منتقاة من هذه الآثار تكون أكثر ماتكون صلة بمعنى العبادة وأثرها المباشر وسوف نتحدث فى هذه الآثار من حيث:-

١- تحقيق كمال العبودية للإنسان

٢- تأكيد الوجود الروحى للإنسان

٣- التعرض لأنوار الهداية

٤- الآثار الاجتماعية التى تنعكس عن الصلاة

٥- الآثار الاجتماعية التى تنعكس عن العبادات المالية

٦- الآثار الاجتماعية التى تنعكس عن الصوم

٧- الآثار الاجتماعية التى تنعكس عن الحج

٨- النجاة من بعض البلاء فى الحياة الدنيا

٩- التحضير لمواجهة الموت

١٠- النجاة والفوز فى الآخرة .

(١)

## تحقيق كمال العبودية

يتحقق كمال العبودية للإنسان عن طريق العبادات . وذلك لأن الله وظف على عباده في هذه العبادات أعمالاً لا حجة لعقولهم فيها .

وقد سبق أن أشرنا إلى أمثلة لبعض هذه الأعمال في خاصة " التزكيات والتسليم "

في طريقة الوضوء ؟ في التيمم ؟ في عدد الصلوات ؟ في عدد الركعات والسجودات ؟ في أيام الصيام ؟ في أنصبة الزكاة ؟ في أيام الحج ؟ في عدد مرات الطواف ؟ في التردد بين الصفا والمروة ؟ في تلاوة فواتح السور ؟ وعشرات الأمثلة الأخرى من كل عمل لا يكون الاقدام عليه منبعا من تقدير العقل وحجته ابتداء ، وإنما يكون قصارى الأمر فيه أنه يرجع إلى الأمر المجرد ، وقصد الامتثال من حيث انه أمر واجب الامتثال .

( لبيك بحجة حقا ، تعبدا ورقا ... ) .

وجدير بالذكر هنا أن نقرر أنه إذا تحقق للإنسان كمال العبودية لله ، فقد تحقق له كمال الحرية بالنسبة لكل ماعداه بغير استثناء .

إن النظريات التي تلقى بالإنسان في مزاعم الحرية المطلقة تلقى به في تيه لا يتفق مع فطرته أو طبيعته أو قدراته .

والسلطات التي تكبل الإنسان بالعبودية لغير الله تقمع فيه قدراته وتشوه فطرته .

ومن هنا كان لابد من توازن دقيق بين الحرية والعبودية وليس ذاك إلا في الاسلام والعبودية لله وحده .

عبودية صحيحة كاملة لله

وحرية صحيحة كاملة عن كل ماعد الله .

والخلاصة إن شريعة الله للانسان ربطت نجاته بأن تكون أعماله على خلاف هواه ، أو أن يكون هواه بزمam الشرع ، فيتردد فى عمله على سنن الانقياد ، ومقتضى الاستعباد ، وبذلك يتحقق كمال العبودية وهو كمال الانسان من حيث هو مخلوق له .

## تأكيد الوجود الروحي للإنسان

يمكن القول بإجمال : إن العبادات تعيد للإنسان وعيه بوجوده الروحي الأصيل ، كما تعيد له أنسه بالملا الأعلى .

يقول بعض التابعين ( .. إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بغير ترجمان دخلت . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : تسبغ وضوءك وتدخل محرابك ، فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان . )

وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه .

إن الأثر الأساسى للعبادات يتمثل هنا : فى تنشيط ذاكرة الإنسان بأنه كائن نور وجود روحى يتجاوز بمطالبه مطالب الجسد وشهواته . وتذكيره بأن له وجودا باقيا يتجاوز بمطالبه مطالب وجوده الدنيوى الزائل .

ومن أجل ذلك جاءت الصلاة لتكون وقفا بين يدى الله يؤدى فيه المسلم مطالب الروح فى الصلة المستمرة بالله .

وجاء الصوم ليكون إعادة لوضع السلطة فى يد الروح . وعزلا لها - أى لهذه السلطة - عن الجسد الذى طالما جرؤ على التصرف فيها بهواه .

وجاءت الزكاة أنتدابا للروح أن تقوم بحق التصرف فيما ظنه " الجسد " ملكا خالصا لشهواته وهو المال .

وجاء الحج دعوة للروح أن تقوم بسياحتها فى تاريخ الأنبياء وأن تقف بمشاهد الحج على عتبات مشاهد يوم القيامة .

(٣)

## التعرض لأنوار الهداية ومنح العطاء

إن أداء العبادات عموما والصلاة خصوصا على وجهها المتكامل سبب قوى لحصول أنوار الهداية فى القلب . لاسيما والمرة أقرب ما يكون إلى ربه فى السجود ( واسجد واقترب . )

فى الحديث القدسى جاء عن الصلاة والمصلين:

( ليس كل مصلٍّ يصلّى ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى وكف شهواته عن محارمى ، ولم يصر على معصيتى وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وأوى الغريب ، كل ذلك لى : وعزتى وجلالى إن نور وجهه لأضوه عندى من نور الشمس . )

على أن أجعل الجهالة له حلما ، والظلمة نورا ، يدعونى فاكبيه ، ويسألنى فأعطيّه ، ويقسم على فأبهره ، أكلّؤه بقربى ، وأستحفظه ملائكتى ، مثله عندى كمثلى الفردوس ، لا يمس ثمرها ، ولا يتغير حالها . ( رواه الديلمى . )

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

( أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . فقال : ذلك مثل الصلوات الخمس ، يحو الله بهن الخطايا . ) متفق عليه .

ولاشك أن هذه حال للقلب يكون فيها أكثر ما يكون تقبلا لأنوار الهدى ومنح العطاء الربانى .

(٤)

## آثار اجتماعية تنعكس عن الصلاة

(١) فى الصلاة يتعلم المسلم ألا يتقدم لرئاسة قوم أو إمامتهم وهم له كارهون .  
كما يتعلم ألا يقدم نفسه فى الرئاسة -أو الامامة - على من يعلم أنه أفضل .  
ويتعلم المبادرة إلى تحمل المسؤولية كلما صفت له هذه الإمامة أو تلك الرئاسة .  
فذلك كله من أحكام الإمامة فى الصلاة .

ويقول صلى الله عليه وسلم - ثلاثة لاتجاوز صلاتهم رعونهم : العبد الآبق ،  
وامرأة زوجها ساخط عليها ، وإمام أم قوما هم له كارهون . ( أخرجه الترمذى  
وصححه ابن حبان .

(ب) كما يتعلم الراعى الرفق بالناس فى قيادتهم .

فقد كان معاذ بن جبل رضى الله عنه يصلى بالناس العشاء فقرأ سورة البقرة  
فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فلما بلغ الأمر الى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال له : يامعاذ أفأتان أنت ؟ أفأتان أنت ؟ أفأتان أنت ؟ فلو صليت بسبع اسم  
ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى ! فإنه يصلى وراعت الكبير  
والضعيف وذو الحاجة . ( أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد  
 وغيرهم .

(ج) وكما يتعلم المسلم ذلك من كونه إماما ، فإن المسلمين يتعلمون الكثير من  
كونهم مأمومين .

إنهم يتعلمون الإلتزام والانتظام ، يقول صلى الله عليه وسلم ( الإمام أمين فإن  
ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا . ) رواه البخارى فى صحيحه .

كما يتعلمون مسئوليتهم فى حسن اختيار الرئيس أو الامام ، يقول صلى الله

عليه وسلم (أنتمكم وفدكم الى الله ، فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم )  
أخرجه الدار قطنى والبيهقى . ويتعلمون آداب الاجتماع :

١- من النظافة ، يقول صلى الله عليه وسلم ( من جاء منكم الجمعة فليغتسل )  
أخرجه البخارى ومسلم .

٢- ومن الزينة ، يقول صلى الله عليه وسلم (من قلم أضافه يوم الجمعة وقى من  
السوء مثلها . ) أخرجه الطبرانى .

٣- والبكور الى مكان الاجتماع ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من  
راح الى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه .. ) إلى آخر الحديث الذى  
أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما .

٤- وآداب الدخول والجلوس ، فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه  
قال لرجل صلى معه الجمعة : مامنك أن تصلى معنا ؟ قال : أو لم ترنى يارسول  
الله . فقال صلى الله عليه وسلم ( رأيتك تأنيت وأذيت ) .

أى تأخرت عن البكور ، وأذيت الحضور بتخبطى الرقاب . أخرجه ابو داود  
والنسائى وابن ماجه ، وصححه هو والحاكم .

هـ- ومن أدب الانتظام فى الصفوف ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وسلم ( أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم  
، ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه  
الله . ) رواه ابو داود بإسناد صحيح .

د) ويتعلمون قيمة الانتماء الى الجماعة ، ، يقول صلى الله عليه وسلم (مامن  
ثلاثة فى قرية ، ولا بدو ، لا تقام فيهم الصلاة الا استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم  
بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية . ) رواه ابو داود بإسناد حسن .

هـ - وهم فى الصلاة وغيرها يتعلمون متابعة الوقت ، والشعور بأهميته والتدقيق  
فيه ابتداء واستمرارا وانتهاء .

المكتبة  
المهتدين



( ٥ )

## الآثار الاجتماعية التي تنعكس عن العبادات المالية

(١) تؤثر العبادات المالية فى المسلم بأن ترده الى الوعى بوظيفته فى المال ، وأن الله هو المالك الحقيقى ، وأن العبد نائب عن الله بشروطه .

يقول تعالى ( قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير )  
ويقول تعالى ( إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين . ) .

(٢) وتؤثر فيه العبادات المالية ، بأن تنزع عنه الشعور بأنه المالك حتى فيما ينفق من ماله على نفسه وعياله .

يقول صلى الله عليه وسلم ( ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة . ) رواه البخارى . فإذا كان المنفق على نفسه ينال ثواب الصدقة أفلا يجعله ذلك يدرك أنه من الناحية الأخرى هو المتصدق عليه ؟ فمن هو صاحب المال اذن ؟ لابد انه غيره . إنه الله تعالى .

(٣) وتؤثر فيه العبادات المالية بالحد من سلطته فى الانفاق زيادة ونقصا . أو تقتيرا وإسرافا وتبذيرا ..

يقول الله تعالى ( إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا )  
٢٧ الإسراء .

ويقول ( والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ) ٦٧ الفرقان

(٤) وتؤثر فيه العبادات المالية بإغلاق بعض المصادر التي كانت تمتد إليها يده لتحصيل المال .

فتفلق باب الربا ( ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا ، فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . ) ٧٩ البقرة .

(٥) أو تفلق على السفهاء باب التصرف فى أموالهم .

( ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا ) ه النساء .

(٦) وتفلق على جامعى الأموال باب الحصول عليها بالباطل ( ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون . ) ١٨٨ البقرة .

(٧) وتؤثر العبادات المالية فى المجتمع بفتح أبواب واسعة لسد حاجة المحتاجين ممن لا يملكون .

( والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . ) ٢٥ المعارج .

ويقول تعالى ( الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ) ٢٧٤ البقرة .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( من كان له ظهر فضل فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له . ) رواه مسلم .

وقال مادحا بعض العرب ( إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ماكان عندهم فى ثوب واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم ) متفق عليه .

(٨) ويتعلم المسلمون من الزكاة خصوصا :

- أن يجتنبوا مواقع الريبة والاشتباه فيما يأخذون من مال إذ على الآخذ فى الزكاة ألا يأخذ إلا المقدار المباح ، فإن كان ما يأخذه بغرامة الدين فلا يأخذ

إلا المقدار المباح . وإن كان ما يأخذه " بالعمالة " في جمع الزكاة لا يزيد على أجر المثل وأن أعطى زيادة أبى . وإن كان ما يأخذه بالسفر ( ابن السبيل ) لم يزد على الزاد ونفقة الركوب . وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج اليه للغزو خاصة . ، وإن أخذ بالمسكنة فليُنظر أولا إلى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه ؟ يقول صلى الله عليه وسلم ( إن المسألة لاتصلح إلا لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مفضع ، أو دم موجع . ) رواه مسلم .

والأمر في ذلك كله موكل إلى مراقبته لله ، وتقديره الصادق لحاجته دون توسع فيها ، والميل إلى التضييق أفضل .

(٦)

## الآثار الاجتماعية التي تنعكس

### عن فريضة الصوم

وإنه ليؤثر صوم المسلم في المجتمع الذي يعيش فيه عندما يتخلق الصائم بأخلاق الصوم ولا يقف فيه عند كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

(١) وأول ما ينعكس من ذلك من ثمرات الإرادة التي يربّيها الصوم على الإمساك بزمّام النفس ومحاسبة الذات وإن غابت عنها كل سلطة من سلطات هذه الحياة الدنيا وتصبح هذه الإرادة مرجعا في التمسك بنظام المجتمع وإن تفككت سلطاته أو تهاوت . كما تصبح هذه الإرادة قابلة لتلقى أوامر النظام في التنازل عن حق النفس في المباح فضلا عن تباعدها عما ليس بحقها في الحرام .

(٢) ثم ينعكس على هذا المجتمع ما يربّي الصوم عليه النفس من كف اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء . وكف البصر عن النظرة الحرام . وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه . عملا بأن ما يحرم قوله يحرم الإصغاء إليه عموما .

وكف الجوارح جميعا عن الآثام من اليد والرجل وعن المكاره .

وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار وغيره .

(٣) وينعكس على المجتمع كذلك ما يربّي الصوم عليه الشهوة من الامتناع عن الحلال ، فلا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه ، فما من وعاء أبغض إلى الله ملؤه من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فات ضحوة نهاره وربما يزيد .

(٤) وينعكس على المجتمع كذلك ما يحصل بالصوم من قهر الشيطان ، إذ وسيلته الشهوات ، وقد قمعت ، وإنما يحصل الفساد في المجتمع من طريق التصادم بين

( ٨ )

## النجاة من بعض البلاء فى هذه الحياة الدنيا

الابتلاء فى هذه الحياة الدنيا قدر مضروب ، ونصيب مفروض ، وجزء أساسى من حياة الانسان، ونسيج أساسى فى عملية خلقه ، وعملية رقيه على السواء .

( ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . ) ١-٣ العنكبوت .

ذلك أن الإيمان ليس فكرة أو استعدادا أو قبولا، ولكنه فعل وممارسة ، وإذن فيدخل البلاء فى صميم تكوينه ، كما يدخل فى صميم ارتقائه .

( كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ) وهنا تقوم العبادات بدورها فى تصاريف هذا البلاء.

وإذا كانت هى فى ذاتها باعتبارها تكاليف وبما تحتوى عليه من بعض المشقة - نوعا من الابتلاء إلا أنها وبرحمة من الله تقوم بدور مؤكد فى التخفيف من ألوانه والوقاية من بعض أحداثه .

يقول الله سبحانه وتعالى ( ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ) .

ويقول صلى الله عليه وسلم ( من أراد أن تستجاب له دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر ) رواه أحمد

ويقول الله تعالى ( واتقوا الله ويعلمكم الله . )

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( الصدقة تسد سبعين بابا من السوء ) رواه الطبرانى .

شهرات الأفراد ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع . ) ويقول ( إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم ) متفق عليه .

(٥) وينعكس على المجتمع ما يحصل بالصوم من فيض " الكرم " يقول ابن عباس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان . ( متفق عليه ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء . ) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٧)

## الآثار الاجتماعية التي تنعكس

### عن فريضة الحج

تظهر آثار الحج الاجتماعية عندما تتغلغل معانيه فى قلب الحاج فلا يتوقف عند القيام عند القيام بأعماله الظاهرة من الطواف والسعى والوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة ومنى ورمى الجمار ، وسوق الهدى ونحره ، وما بين ذلك من الاحرام والتقصير . ... الخ

عندئذ لا يتردد الحاج فى ترك ما كان عليه من المعاصى ، ويحرص على النفقة الحلال ، ويكثر البذل فى سبيل الله ، ويترك الرفث والفسوق والجدال ، ويتقرب بإراقة الدم وإن لم يكن واجبا . ثم يحرص على أن يكون طيب النفس بما أنفقه أو أصابه من خسران فى مال ، أو أذى فى بدن ، فيجعله بمثابة الشدائد فى الجهاد .

كما يستشعر ما يمل به عليه الحج من شعور المساواة والأخوة مع جميع المسلمين من جميع أنحاء العالم مهما اختلفت ألوانهم وجنسياتهم وأراؤهم وهمومهم .

وعليه بعد ذلك أن يشاركهم الرأى والنصح والعون والمشورة والفرح والأمل ، حتى يتحقق بما وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأنهم ( كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . ) أخرجه البخارى ومسلم

ويقول ( استنزّلوا الرزق بالصدقة ) البيهقي

وسنت الشريعة صلاة الاستسقاء

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء . ) أخرجه الطبراني .

ويقول الله تعالى ( ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور . )

ويقول سبحانه وتعالى ( وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا )

وأخيرا فكيف لا تكون العبادة وقاية من البلاء وهي وحدها التي تحفظ النعمة - بالشكر - من أن تكون نعمة وطغيانا ، وتحول المصيبة - بالصبر - لتصبح ثوابا ونعيما ؟!

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( عجا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له . )

(٩)

## أثر العبادة فى لقاء الموت

من المكابرة والمغالطة معا أن يشيع المرء بوجهه عن ذكر الموت ، فالموت هو أشد الحقائق وضوحا فى وجود الإنسان .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ) متفق عليه .

ويصنف العلماء الناس فى ذكر الموت إلى اصناف أربعة :

منهمك فى الدنيا : لا يذكر الموت ، وإن ذكره فللتأسف على دنياه وللاشتغال بعمته ، وهذا لا يزيد ذكر الموت إلا بعدا عن الله .

وثائب مبتدئ : يكثر من ذكر الموت ويخشاه ليتمكن من تمام الإستعداد للقاء مولاه ، وهو كمن يتأخر عن لقاء الحبيب مشغلا بالاستعداد له على خير وجه يلقاه به . وهذا لا ينطبق عليه أنه يكره الموت . وفى هذا جاء الحديث : أنهم قالوا يارسول الله : كئنا نكره الموت . قال : ليس ذلك بكراهة ، ولكن المؤمن إذا احتضر جاءه البشير من الله تعالى بما يرجع إليه من الخير ، فليس شئ أحب إليه من لقاء الله تعالى فأحب الله لقاءه . ( ذكره السمرقندى فى تنبيه الغافلين .

وعارف واصل : فإنه يذكر الموت ويستبطنه لأنه موعد لقاء حبيبه ، وقد ورد عن أبى الدرداء ( أحب الموت اشتياقا الى ربى ) .

ومفوض : صار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء إليه أنحبها إلى مولاه .

ويذكر العلماء أنه يجتمع على الانسان أثناء الموت أمور ثلاثة :-

١- شدة النزاع ، وهذه للجميع ، ومنهم أولياء الله وأحباؤه ، وقد كان رسول الله



صلى الله عليه وسلم يقول عندما حضرته الوفاة ( اللهم هَوِّنْ عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ . ) متفق عليه .

## ٢- مشاهدة ملك الموت .

وهذه يفترق فيها حال المؤمن الطائع ، من حال الكافر ، والعاصي .

وهنا يظهر للعبادة دور هام هو أخطر أدوارها على الإطلاق فيما يمس حياة الفرد

يقول الله تعالى ( إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . )

واقرا الآية مرة أخرى وتأمل طويلا قوله تعالى ( ثم استقاموا . ) وقد ورد أنهم يقولون للملائكة من أنتم ؟ فما رأينا أحسن وجوها ، ولا أطيب ريحا منكم . فيقولون : نحن أولياؤكم . حفظكم الذين كنا نكتب أعمالكم فى الحياة الدنيا . ونحن أولياؤكم فى الآخرة .

إذن فهو التحضير الطويل بالعبادة للحظة قادمة ، تظهر فيها ثمرة العبادة حقا ..

أما حال العصاة فالقرآن يتحدثهم أن يتمنوه ، وهم بالبداية لا يقبلون هذا التحدى ، مع يقينهم بأن اللحظة قادمة . لماذا ؟ ( ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليم بالظالمين . ) ( ١٩ )

ماذا أعد الكفار والعصاة للقاء موعد ليس عندهم أكد منه ؟

لا شيء إلا الإشاحة والهروب ، ولات حين مهرب .

يقول الله تعالى ( فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ، ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ) ٢٧ - ٢٨ محمد .

٣- مشاهدة موضعه من الجنة ، أو موضعه من النار . ذلك أن المؤمن وقد حضرته الوفاة عرضت عليه الجنة فإذا نظر إليها عرف أنه كان فى السجن ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم ( الدنيا سجن المؤمن . ) .

فما بالك بإنسان هو فى لقاء الموت يشعر بشعور الانعتاق من السجن ؟؟

تلك حقا أخطر لحظات الوجود بالنسبة للإنسان .

وتلك حقا أحلى ثمرات العبادة وأكثرها بكورا .

أما الكافر فإذا حضرته الوفاة عرضت عليه النار فإذا نظر إليها عرف أنه كان فى الجنة ( الدنيا جنة الكافر ) .

فما بالك بإنسان يلقى أخطر لحظات وجوده ثم يملؤه شعور الحرمان من الجنة أبدا ؟!

أرأيت ماتعده العبادات لأخطر اللحظات ؟ .

وهو إعداد حقا طويل .

أنه أشبه بالتدريب الجسدى الذى يمارسه الرياضيون فيستغرق منهم شهرا وسنوات لكى يستثمروه فيما بعد فى موقف لا يستغرق دقائق .

هنا يحدث ما يسمى اليوم " برمجة " برمجة الجهاز العصبى بحيث يقوم بالرد المطلوب منه بالسرعة التى يطلبها الموقف . فمن فرط فى هذا التدريب ، ثم تورط فى الموقف فشل تماما فى مواجهته .

وهذا مثال تقريبي لمواجهة الموت ، مع الفارق الهائل بين الموقفين : بين الهزل والجد ، بين التفاهة والخطورة ، بين البعد عن الله ، وبين القرب من الله .

إن مواجهة الموت وهى مصحوبة بشدة لامزيد عليها تحتاج منا بالضرورة إلى استعداد لاندخر فيه وسعا ، لكى ندخل تحت ظل الله فى يوم لا ظل إلا ظله .

لابد من الاستعداد بدوام العبادة والذكر للمولى عز وجل .

ومن هنا كانت العبادة " فضلا " مربودا بفائدته على العابد ، وكانت إعدادا له للتعرض لرحمة الله وفيض إحسانه فى لحظات الموت .

( ١٠ )

## الفوز في الآخرة والنجاة من النار

هنا نصل الى باب الخلود .

وهنا تسكت الألسنة .

وهنا تبطل المحاولات .

وهنا يتعطل العمل .

هنا يتضاؤل القلم .

ويشمخ الزاد . زاد العبادات .

( إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحدهم غيرهم . ) متفق عليه

( ظل المؤمن يوم القيامة صدقته . ) رواه احمد

( الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . ) متفق عليه .

و .... يستحى القلم أن يمارس " عبُّه " في هذا المقام .

وهو مقام لا يحتاج إلى بيان .

مسك الختام فيه : وراثته الفردوس بنسب " العبادة " .

وتلك هي الكلمة الأخيرة عن العبادة .

( قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . )

وانا لله وانا إليه راجعون .

وصدق الله العظيم ..

## هوامش الفصل الثالث / ص ١٠٠

١- بشرط أخرى تتعلق بالمباح والمستحب والسنة والواجب والفرض .. الخ لامحل لتفصيلها هنا .

٢- من حديث متفق عليه .

٣- رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

٤- من حديث متفق عليه .

٥- من حديث متفق عليه .

٦- من حديث متفق عليه .

٧- من حديث لمسلم .

٨- من حديث متفق عليه .

٩- من حديث متفق عليه .

١٠- من حديث لمسلم .

١١- من حديث لمسلم .

١٢- من حديث لمسلم .

١٣- كالسابق .

١٤- انظر كتابه مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية .

١٥- مشكلات فى طريق الحياه الاسلاميه ص ١٧ .

١٦- أنظر كتاب " روح الاسلام " لسيد أمير على ص ٢٢ ح ٢ .

١٧- حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ص ٩٨ - ٩٩ .

١٨- المتفهبون المكتبرون .

١٩- اقرأ كتاب " نهاية عمالقة " لرشدی فكار لتعرف بماذا واجه الموت جان بول سارتر وأمثاله .

الْمُحَصَّلُ الرَّابِعُ  
الْإِخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ

لِلأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ  
مُحَمَّدِ عِجَاجِ الْخَطِيبِ





## تمهيد : قيام الأخلاق على العقيدة الإسلامية :

(١) إن من أهم ما دعت إليه الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم - التوحيد ومكارم الأخلاق ، وتوجت هذه الرسالات بكمال العبادة والتشريع في خاتمة الرسالات التي رضىها الله تعالى لعباده بصريح قوله عز من قائل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) . فقد كانت المقاصد الأولى من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- التوحيد ونبذ الشرك .

٢- تقويم السلوك على مكارم الأخلاق ، وترك الأخلاق والعبادات الذميمة .

٣- تطهير النفوس وتزكيتها ، وأداء العبادات .

٤- إقامة أحكام الله بين عباد الله على أرض الله سبحانه .

رواضح هذا في قوله سبحانه : لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . (٢) .

في هذه الآية دلالة على المقاصد التي أسلفناها ، ففي تلاوة الآيات عبادة ، وفي التزكية تطهير للنفوس ، وفي تعلم الكتاب الوقوف على الأحكام ومعرفة الواجبات ، والحق والباطل ، وأما الحكمة فقد قال بعض أهل العلم : إنها مكارم الأخلاق ، بدلالة عدة آيات ، ففي سورة الاسراء أسس مكارم الأخلاق من قوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » إلى قوله سبحانه وتعالى : « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ، ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة » (٣) .

وقال سبحانه وتعالى في حق الرسول صلى الله عليه وسلم : « وإنك لعلى خلق عظيم » (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » (٥) فجاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتتم ما بدأته رسالات الأنبياء السابقين في صرح الأخلاق . ومما يؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل

الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ، (٦) ، وبهذا اجتمعت الرسالات السماوية على التوحيد وعلى مكارم الأخلاق .

(٢) والأخلاق في الإسلام قائمة على العقيدة ، التي توجه المسلم في جميع شؤون حياته الخاصة والعامة ، الظاهرة والباطنة ، فتتجلى في سلوك المسلم وصلته برب العالمين ، وطاعته له ، وخشيته وحبه والتزام أوامره ، واجتناب نواهيه ، كما تتجلى بتعامله مع عباد الله مسلمين وغير مسلمين ، ومع خلق الله سبحانه وتعالى : حيوانه ونباته وجماده ، في اليسر والعسر ، والمنشط والمكره ، بما يتفق مع دور المسلم الريادي في الحياة . ومن هنا يتضح لنا أن الأخلاق الإسلامية لا تنحصر في الإطار النظري فحسب بل تأخذ مكانها اللائق في الحياة العملية .

لأن الإسلام دين الحياة ، امتثالاً لقوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » (٧) فكما دعانا عز وجل إلى توحيده وتعظيمه وعبادته دعانا إلى مكارم الأخلاق ونبذ مساوئ الأخلاق ... والاستجابة لكل ما أمرنا به أمر واجب لا بد منه .

(٣) وقيام الأخلاق الإسلامية على العقيدة يكسبها صفة الثبات والاستمرار والبساطة والوضوح (٨) .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النظام الخلقي في الإسلام ليس جزءاً من نظام الإسلام ، كالنظام الاقتصادي أو القضائي ... بل إن النظام الخلقي لحمه الإسلام في جميع أنظمته وميادينه ، من الفرد إلى الأسرة ، فالجوار ثم المجتمع الإسلامي ، فالمجتمع الإنساني ، وعلى مختلف الأصعدة التربوية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وغير ذلك ، لأن الإسلام مبني على مكارم الأخلاق ، لهذا يقول صلى الله عليه وسلم : « الدين حسن الخلق » (٩) . ولو قلت إن الخلق في الإسلام متداخل في جميع أصول الإسلام وفروعه كتداخل شرايين الدم وأوردته وأوعيته الشعرية في جسم الإنسان - لما كنت مغالياً في هذا ، وبيانه فيما يلي :

١- ففي جانب العقيدة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » (١٠) . وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١١) . وقال سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه ( يا رسول الله أخبرني أمراً

في الاسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك . قال : قل أمنت بالله ثم استقم ( ١٢ ) . وفي رواية قل : ( ربي الله ، ثم استقم ) .

٢- وفي جانب العبادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً » ( ١٣ ) .

٣- وفي التعامل قال صلى الله عليه وسلم : « إن من الناس مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه » ( ١٤ ) .

٤- إن الاسلام ينتظم جميع أمور الحياة ، ويتعامل المسلم مع عباد الله جميعاً من خلال عقيدته ، وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « الاسلام حسن الخلق » ( ١٥ ) فطبعي أن يتجلى حسن الخلق في كل شيء في الاسلام ، ويطلع سلوك المسلم بطابعه المتميز ، لينال حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وهو القائل : « إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، الموظون أكتافاً الذين يالفون ويؤلفون » ( ١٦ ) . وهذا سواء في أداء الواجب وتحصيل الحقوق ، فإنها تصان وتنال برفق الاسلام لا بقوة القانون ما دام رقيبه الظاهري قائماً ، فإذا غاب مات تطبيقه ، وتلاشى أثره القانوني في الحقوق والواجبات ، لأن القانون الوضعي لا ينبع من ذات الرعية ، ولا يستند إلى إيمانها وعقيدتها ، وصلة الناس بالقانون صلة ظاهرية فقط ، تنتهي عند الحصول على الحق أو عند أداء الواجب ، بخلاف المعاملات في الاسلام التي تقوم على العقيدة الراسخة في قلب المؤمن ، المتمثلة في تصرفاته وسلوكه ، استجابة لأوامر الله عز وجل ، التي تترك آثارها البعيدة في حياة الإنسان ، وتنتشر ظللالها واسعة كلما سما المسلم بروحه ، وصفا بنفسه وما أبلغ قول الله عز وجل في بيان كيفية تحصيل الدين ( الحقوق ) : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » ( ١٧ ) . وما أبعد دلالات قول الرسول صلى الله عليه وسلم وأرحب ميادينه ، وأوسع آفاقه حين ينقش في قلوب المؤمنين : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى » ( ١٨ ) وفي لفظ : « أحب الله عبداً سمحاً إن باع ، سمحاً إن ابتاع ، سمحاً إن قضى ، سمحاً إن اقتضى » ( ١٩ ) . ما أبلغ هذا ومثله في دلالاته وشموله ، وما أبعد آثاره في حياة المسلمين ، لأن المسلم الواعي يدرك معنى حب الله له ، فيسعى إلى تحقيق هذا بكل ما أوتي من قوة .

٥- حتى إن تعامل المسلم مع من يكره يجب أن يكون مستقيماً وبالحق ، امتثالاً لقوله عز وجل : « ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (٢٠)

٦- والأخلاق الإسلامية بيئة متميزة في حياة المسلم ، تنتظم جميع أحواله وأمواله ، وتصرفاته وسلوكه ، لا يتوقف انتظامها وقيامها على رقيب خارجي، إن أفل نجمه اندثرت وتلاشت ، بل هي نابعة من أعماق العقيدة والإيمان ، والوازع الديني ناظمها وضابطها ، وواضح هذا في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » (٢١) والبر جامع لأنواع الخير ، والخير أحد دعائم الأخلاق والفضيلة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون - وفي رواية بضع وسبعون - شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » (٢٢) ، ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار » (٢٣) .

٧- وتتسع دائرة الأخلاق الإسلامية فتتجاوز الفرد إلى الأسرة كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » (٢٤) ، وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه بالخير لا من باب التفاخر ، بل من باب التربية بالقوة ، وما أعظم نتائج هذه الطريقة وأعظم أثارها ، ويزداد ميدان الأخلاق الإسلامية اتساعاً كما في قوله سبحانه : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً » (٢٥) ويزداد ميدان الأخلاق الإسلامية اتساعاً وعمقاً كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » (٢٦) . والأخ عام يتناول كل مسلم .

ويمتد سلطان الأخلاق الإسلامية ، ووجوب التخلق بها في التعامل مع جميع الناس كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت وأتبع الهدى الحسنة تمحها ، وخالف الناس بخلق حسن » (٢٧) . والناس لفظ عام يتناول الكبير والصغير والمسلم وغير المسلم .

بل إن الله عز وجل أمر المسلمين بأن يلتزموا بالأخلاق الإسلامية في كل أحوالهم ،

ومع جميع مخلوقات الله سبحانه ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وَلْيُحْدِثْ أَعْدَكُمْ شَفْرَتَهُ وَلِيَرْحَ ذَبِيحَتَهُ » (٢٨) إنها ذروة مكارم الأخلاق التي يجب أن يبلغها المسلمون في جميع أمور دينهم ، ليكونوا من أولياء الله سبحانه ، فيحسنوا بهذا تبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، يعيشون بالإسلام وللإسلام قلباً وقالباً، ظاهراً وباطناً .

ومن هنا ندرك لِمَ كان حسنُ الخلق مرضاة لله وسبباً لدخول الجنة ، كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أكثر ما يدخل الجنة ؟ قال : تقوى الله وحسن الخلق » (٢٩) .

وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كثيراً ما كان يدعو فيقول : « اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة ، وحسن الخلق والرضا بالقدر » (٣٠) . كما كان يقول صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله ، اللهم كما حسنتَ خلقي فحسن خلقي » (٣١) .

## المبحث الأول : النموذج الواقعي للأخلاق الإسلامية ( أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ) :

( ١ ) عرفنا مما سبق أن الأخلاق الإسلامية قائمة على العقيدة ، وأن الإسلام حسن الخلق ، وإن خير من يجلي لنا هذه الأخلاق ويبينها من الناحية النظرية والتطبيقية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن أجمع ما يبين لنا الأخلاق الإسلامية في حيز الواقع وميدان الحياة العملية سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن تلك الأخلاق متمثلة في سلوكه عليه الصلاة والسلام ، وهو قدوتنا في كل شيء . عملاً بقوله عز من قائل : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ( ٣٢ ) .

( ٢ ) ومن هنا ندرك اهتمام الأمة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم كان السلف الصالح يعلمون أبناءهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعلمونهم السور من القرآن الكريم ، ليزدادوا حباً له ، وتمسكاً بسنته ، وليحسنوا تمثل تلك الأخلاق الرفيعة ، والآداب الجمية ، فيتخلقوا بها ، ويتأدبوا بأدابه ، ومن ثم يحسنون التأنسي به .

( ٣ ) وحق لنا جميعاً أن نسلك هذا المسلك التربوي ، لأنه صلى الله عليه وسلم قدوتنا ، لم يعرف التاريخ شخصية عظيمة مثل شخصيته صلى الله عليه وسلم ، وقد حفلت كتب السيرة النبوية بأخبار خلقه صلى الله عليه وسلم وأدابه من عهد الرواة الأول ( ٣٣ ) ، وأوائل المصنفين كمحمد بن اسحاق ( - ١٥١ هـ ) ، ومحمد ابن عمر الواقدي ( - ٢٠٧ هـ ) ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ( - ٢٣٠ هـ ) وغيرهم كثير ( ٣٤ ) . إلى جانب ما ضمته كتب الصحاح والسنن في أبواب السير والمغازي ، والبر والصلة والآداب من أخبار خلقه صلى الله عليه وسلم وأدبه ...

وقد أفرد بعض العلماء مصنفات خاصة في شماته صلى الله عليه وسلم كالإمام أبي عيسى الترمذي ( ٢٠٩ - ٢٧٩ هـ ) في كتابه ( الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية ) ، والحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر الأصفهاني المعروف بأبي الشيخ في كتابه ( أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأدابه ) ، والقاضي عياض بن موسى

البحصبي ( ٤٧٩ - ٥٤٤ هـ ) في كتابه القيم الجامع ( الشفا بتعريف حقوق المصطفى ) ، وغيرهم مما لا يتسع المقام لذكرهم (٣٥) .

٤ ) ومن المناسب في هذا المقام أن نعرض لقبس من أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فنعرض لها جملة بإيجاز ، ثم نفصل القول في بعض خلاله وأدابه إن شاء الله . لأن ما بسطته المصنفات الكبيرة لا يمكن أن يعتصر في هذا المقام ، وبخاصة أن أخلاقه صلى الله عليه وسلم وأدابه أوسع من أن يحاط بها . قال القاضي عياض رحمه الله : « إذا كانت خصال الكمال والجمال ما ذكرناه ، ووجدنا الواحد منا يُشرفُ بواحدة منها أو باثنين إن اتفقت له في كل عصر ، إما من نسب أو جمال أو قوة ، أو علم ، أو حلم ، أو شجاعة ، أو سماعة ، حتى يعظم قدره ، ويضرب باسمه الأمثال ، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرٌ (٣٦) وعظمة ، وهو منذ عصور خوالٍ رَمِمَ بوال (٣٧) ، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ، ولا يعبر عنه مقال ، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال ... ( ٣٨ ) . ( .. ) فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم معتد ، تنقطع دون نقاده الأدلاء ، وبحر علم خصائصه زاهر لا تكدّره الأدلاء... (٣٩) .

وقال القاضي عياض : ( وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة ، والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها ، وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها ، فضلاً عما فوقه ، وأثنى الشرع على جميعها ، وأمر بها ، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ، ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة (٤٠) ، وهي المسماة بحسن الخلق ..... فجميعها قد كانت خلق نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها ، والاعتدال إلى غايتها ، حتى أثنى الله بذلك عليه فقال تعالى : « وإنك لعلی خلق عظيم » (٤١) .

١- قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن ، يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه (٤٢) . وقال صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٤٣) ، وقال أنس : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ..) (٤٤) .

٢- بعد أن ذكر الغزالي رحمه الله حديث السيدة عائشة رضي الله عنها : « كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن » . قال : وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » (٤٥) وقوله « إن الله يأمر

بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ويبهني عن الفحشاء والمنكر والبغى » (٤٦٢) ، وقوله « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » (٤٧) ... وقوله « والكاملين الفيض والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » (٤٨) .... ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ، فأنزل الله تعالى « ليس لك من الأمر شيء » (٤٩) تأديباً له على ذلك . وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق ، فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق ... ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم » (٥٠) ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه .. كيف أعطى ثم أثنى ؟ فهو الذي زين بالخلق الكريم ثم أضاف ذلك إليه فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم » ، ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفاسفها (٥١) .

٣- قال علي رضي الله عنه يا عجباً لرجل مسلم يجيبه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة . فقال له رجل : أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم وما هو خير منه (٥٢) : لما أتني بسباياطي وقتت جارية (٥٣) في السبي فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب ، فإني بنت سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويضعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الضائي . فقال صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، وإن الله يحب مكارم الأخلاق » فقام أبو بردة بن دينار فقال : يا رسول الله ! الله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال : (والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق) (٥٤) .

٤- وأن لنا أن نذكر جملة أخلاقه صلى الله عليه وسلم بإيجاز ، ثم نفصل القول في بعضها ، أخرج الترمذي عن زيد بن ثابت قال : ( كنت جاره فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلي فكتبت له ، فكنّا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا .. ) (٥٥) وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : « خدمت



رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ، وما قال لي لشيء صنعت لم صنعت ، ولا لشيء تركته لم تركته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً ، وما لامست خزاً ، ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تشمعت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي صلى الله عليه وسلم (٥٦) .

٥- ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزى بالسينة السينة ، ولكن يعفو ويصفح ، وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا ضرب خادماً ولا امرأة . وما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ولا انتصر لها ، ما لم تنتهك حرمة من محارم الله ، فإن انتهكت حرمة من محارم الله كان من أشدهم في ذلك غضباً (٥٧)

وما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن أثماً ، فإن كان أثماً كان أبعد الناس منه (٥٨) .

٦- وكان لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه (٥٩) . ( كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح (٦٠) ، يتفافل عما لا يشتهي ، ولا يؤيس منه راجيه ، ولا يخيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والاكثار (٦١) ، وما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث ، كان لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسافته ، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم (٦٢) ، ويقول : إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فآرّفوه (٦٣) ، ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ (٦٤) ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز (٦٥) (فيقطعه بنهي أو قيام ) (٦٦) .

٧- كان كريماً لا يدخر شيئاً لغد ، وما سئل شيئاً قط فقال : لا ، وإن لم يكن عنده ما يعطي السائل أمره أن يبتاع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا جاءه شيء قضاؤه (٦٧) . لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، وإن فضل شيء ، ولم يجد من يعطيه وفاجأه

الليل لم يَأوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه (٦٨) .

كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويكافئ عليها ، فقد أتته الربيع بنت مَعُوذ بن عفراء بطبق فيه رطب وقتاء فقبله وأعطاهما ملء كفه حلياً وذهباً (٦٩٠) . قالت السيدة عائشة رضي الله عنها « كان يقبل الهدية ويثيب عليها » (٧٠١) .

٨- كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس ، وأشجعهم وأعدلهم ، وأعف الناس ، لم تمسّ يده قط يد امرأة لا يملك رقبها ، أو نكاحها أو تكون ذات محرم (٧١) .

وكان أشد الناس حياءً ، لا يثبت بصره في وجه أحد ، كالغزاة في خدرها بل أشد حياء ، وكان إذا كره شيئاً عرف في وجهه (٧٢) .

٩- وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويخدم في مهنة أهله - قالت السيدة عائشة رضي الله عنها كما يعمل أحدكم في بيته - ويقطع اللحم معهن (٧٣) .

١٠- كان متواضعاً يجيب دعوة العبد والحر : لا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين . يجيب الوليمة ، ويعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويمشي وحده بين أعوانه (٧٤) .

١١- وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع . ومرة يأكل ما حضر ، ولا يرد ما وجد ، ولا يتودع من مطعم حلال ، وإن وجد تمرأ دون خبز أكله ، لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية ، حتى لقي الله تعالى إثارة على نفسه ، لا فقراً ولا بخلأ (٧٥) .

١٢- يلبس ما تيسر له من الثياب مما أباح الله ، وكان يتجمل للوفود وللجمع والأعياد ، ومجامع الناس ، كان حسن المظهر ، بهي الطلعة . يجب أن يظهر أثر نعمة الله علي عباده (٧٦) . عن أبي الأخوص عن أبيه رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب دون ، فقال : ألك مال ؟ قلت : نعم قال : من أي المال ؟ قلت : من كل المال قد أعطاني الله تعالى . قال : « فإذا أتاك الله تعالى مالاً فليز أثر نعمة الله عليك وكرامته » (٧٧) . وهو القائل : « إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رجالكم ، وأصلحوا لباسكم ، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس ، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » .

١٣- يركب ما تيسر له من الدواب ، ويردف خلفه عبده أو غيره ، كما كان يمشي كأنما ينحط من صيب (٧٨) . يجالس الفقراء ، ويؤاكل المساكين ، ويكرم أهل الفضل

في أخلاقهم ، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم (٧٩) ، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، لا يجفو أحداً ، يقبل معذرة المعتذر ، يمزح ولا يقول إلا حقاً وكان ضحكه تبسماً (٨٠) .

١٤- وأما مجلسه صلى الله عليه وسلم ، فكان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يلزم مكاناً مخصوصاً في غير بيته ، وينهى عن هذا ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبه ، حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه فيه ، مَنْ جالسه أو قامه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه (٨١) .

( من سألَه حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى ) (٨٢، ٨٣) ، ( مجلسه مجلس حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤذّن فيه الحرم ، ولا تنشئ فلتاته ، يتعاطون فيه بالتقوى متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب ) .

١٥- كان يتفقد أصحابه ، ( ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدلاً الأمر ... لا يفضلُ مخافة أن يغفلوا أو يملوا ، لكل حال عنده عتاد ، ولا يقصد عن الحق ، ولا يجارزه إلى غيره . الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحةً ؛ وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مراساةً وموازاةً ) (٨٤) وغير هذا من خلقه وأدابه الكثير . صلى الله عليه وسلم .

٥) بعد هذا العرض الموجز لجمل أخلاق صلى الله عليه وسلم نفصل القول في بعضها :

#### أ- الحلم والصبر والعفو :

اشتهر الرسول صلى الله عليه وسلم بسعة صدره وهدونه ، واحتماله الأذى المادي والمعنوي والصبر عليه في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل ، كما اشتهر بعفوه عن يسيء مع القدرة على الاقتصاص منه . ويتجلى لنا بعض هذا فيما أسوق إليكم فيما يأتي :

١- لقد بذل الرسول صلى الله عليه وسلم جهده في تبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، فلم يدع وسيلة للدعوة إلا استفاد منها ، ولا سبيلاً إلا سلكها ، ولا فرصة سانحة إلا شق طريقه إليها ، ولا مناسبة إلا كان له نصيب فيها ، فلم يذر قريباً إلا عرض الإسلام عليه ، ولا بعيداً إلا شد الرحال إليه ، يدنو البعيد بهيمته ، وتذلل الصعاب بعزيمته ، وينوب ما يكره بصبره ، يحدوه الأمل فيجد بالعمل ، لا يكل ولا يمل ، فلا يثنيه تجهم قريب ولا صدود بعيد ، ونشب بينه وبين المشركين العداء بين الحق والباطل بمختلف وسائله وألوانه .. لم يثنه كل هذا عن عزمته ، والمضي في سبيله ، فعرض نفسه على القبائل ، واجتمع بوفودها في المواسم ، ودعاهم إلى الإسلام في السراء والضراء ، في الشدة والرخاء ، مع قسوتهم عليه ، والمكر به ، ومقاطعتهم في شعب أبي طالب ، حتى اضطر فيما بعد لأن يهاجر أصحابه إلى الحبشة .. وألجئ إلى الخروج من مكة إلى الطائف ... ولقي من سفهائها ما لقي ، فكان ابتهاله إلى الله عز وجل : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت ربي ورب المستضعفين ، إلى من تكلمي ؟! إلى قريب يتهمني أم إلى عدو ملكته أمري ... اللهم إن لم يكن بك سخط علي فلست أبالي .. ) ونزل أمين الوحي يقول له : « إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك » فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » (٨٥) . مع كل هذا لم يدخر وسعاً ، ولم يأل جهداً - بما حباه الله تعالى من حلم وصبر وعزيمة - حتى عز الإسلام وأهله وقامت دولته ، وقويت شوكته ، وخفقت رايته ، وسطعت أنواره ، تبدد ظلام الجهل والباطل ، وقهر العبودية لغير الله عز وجل .

٢- لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم ، وشجَّ وجهه ، يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديداً ، وقالوا : لو دعوت عليهم ! فقال : إني لم أبعث لعناً ، ولكني بعثت داعياً ورحمة . « اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

قال القاضي عياض : انظر في هذا القول من جماع الفضل ، ودرجات الاحسان وحسن الخلق ، وكرم النفس ، وغاية الصبر والحلم ، إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ، ثم أشفق عليهم ورحمهم ، ودعا وشفع لهم ، فقال : اغفر أو اهد ، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله : ( لقومي ) ، ثم اعتذر عنهم بجهلهم ، فقال : ( فإنهم لا يعلمون ) ( ٨٦ ) .

٣- بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً تحت شجرة - في إحدى غزواته

- بعيداً عن إخوانه من الصحابة ، تصدى له غُورثُ بن الحارث وفاجأه بسيفه المصلت عند رأسه يريد أن يفتك به وقال : من يمنك مني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله . فارتعد غورثُ وسقط السيف من يده ، فأنزله الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال : من يمنك مني ؟ قال : كن خير أخذ ، فتركه وعفا عنه . فجاء إلى قومه فقال : جنتكم من عند خير الناس ( ٨٧ ) .

٤- قال أنس بن مالك رضي الله عنه : ( وكنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه بُردٌ غليظ الحاشية ، فجبذه الأعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ، ثم قال : يا محمد ، احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك ، فإنك لا تحمل لي من مالك ومال أبيك . فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : المال مال الله ، وأنا عبده ، ثم قال : ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي . قال : لا . قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافئ بالسينة السينة . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير ، وعلى الآخر تمر ) ( ٨٨ ) .

٥- جاء زيد بن سَعْنَةَ - أحد أخبار اليهود - قبل إسلامه النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ديناً له عليه ، فجبذ ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منكبيه ، وأخذ بمجامع ثيابه ، وأغلظ له ، ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مُطل ، فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول ، والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : \* أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي . ثم قال : لقد بقي من أجله ثلاث ، وأمر عمر يقضيه ماله ، ويزيده عشرين صاعاً لما رُوعه ( ٨٩ ) ، فكان سبب إسلامه ( ٩٠ ) .

٦- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن ثمانين - من المشركين - نزلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، من جبل التنعيم عند صلاة الصبح يريدون أن يقتلوه ، فأنزلوا ، فاعتقهم النبي صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله عز وجل : \* وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً \* ( ٩١ ) .

٧- ومعلوم ما كان من أبي سفيان قبل إسلامه من تحريض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم ومشاركته في دفع الأحزاب يوم الخندق إلى المدينة ، وما كان من زوجه هند وتحريضها ( وحشي ) على قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ،

وتمثيلها به وبغيره من شهداء أحد رضي الله عنهم أجمعين ، فلما سبق أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد كل ما سبق عفا عنه ولاطفه وقال له : ( ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟! فقال : بئني أنت وأمي ! ما أحلك وأوصلك وأكرمك ؟ ) ( ٩٢ ) .

٨- ونختتم هذه الفقرة بما قاله القاضي عياض رحمه الله : ( والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند القدرة أكثر من أن تأتي عليه ، وحسبنا ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين : من صبره على مقاساة قريش ، وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم ، وحكمه فيهم ، وهم لا يشكون في استئصال شافتهم ، وإبادة خضرانهم ، فما زاد على أن عفا وصفح . وقال : ما تقولون أنني فاعلٌ بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . فقال : أقول كما قال أخي يوسف : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ( ٩٣ ) . اذهبوا فانتم الطلقاء ) ( ٩٤ ) .

ب - شفقتة ورحمته صلى الله عليه وسلم وحسن معاملته :

قال عز وجل : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ( ٩٥ ) .

١- طلب أعرابي من الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فأعطاه ، ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : لا . ولا أجملت ( ٩٦ ) . فغضب المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله ، وأرسل إليه وزاده شيئاً ، ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إنك قلت ما قلت ، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال : نعم . فلما كان الغد أو العشي جاء ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه ، فزعم أنه رضي ، أؤكدك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً . فقال صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيروها إلا نفوراً ، فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي ، فإني أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها ، فأخذ لها من قمام الأرض ( ٩٧ ) فردها حتى جاءت واستناخت ، وشد عليها رحلها ، واستوى عليها ، وإنني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتتموه دخل النار » ( ٩٨ ) .

٢- ومن رحمته وشفقته صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تمسروا » وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه « وأذا غضب أحدكم فليسكت » (١٩٩) .

٣- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر » (١٠٠) .

٤- بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه وعنده الأقرع بن حابس ، أقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من لا يرحم لا يُرحم » (١٠١) . وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه : « أو أملك أن كان الله عز وجل نزع من قلبك الرحمة » (١٠٢) ؟

٥- عن أنس رضي الله عنه قال : « كنا إذا نزلنا منزلاً لا نُسَبِّحُ حتى نُحِلُّ الرجال » (١٠٣) وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمرِ كله » (١٠٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بغيراً وفيه صعوبةٌ ، فجعلت تردده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليك بالرفق » (١٠٥) . وعنها أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزعُ من شيء إلا شانه » (١٠٦) . ومن شفقته صلى الله عليه وسلم بأمته ( تخفيفه وتسهيله عليهم ، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم ، كقوله : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء ، وخبر صلاة الليل (١٠٧) ، ونهيهم عن الوصال ، وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته ، ورغبته لربه أن يجعل سبباً ولعنه لهم رحمةً بهم (١٠٨) ، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ) (١٠٩) . وكان الناس في المدينة إذا رأوا أول الثمر جأؤا به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيدعو لهم بالبركة ، ثم ينادي أصغر وليد يراه في المجلس فيعطيه ذلك الثمر (١١٠) . رحمة به وشفقة عليه ، لأن الصغار تتعلق نفوسهم بمثل ذلك وتشتهيه . ومن هذا دعوته صلى الله عليه وسلم إلى رحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، وإعطاء العالم حقه من الاحترام والتقدير ، ووصيته بالنساء خيراً وغير هذا مما يدل على رحمته ووفرة شفقته وحسن معاملته (١١١) .

٧- أخرج الامام مسلم في حديث طويل عن عمران بن حصين أنهم كانوا في سفر .. فأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم في ركب بين يديه يطلبون الماء قال عمران : ( وقد عطشنا عطشاً شديداً ، فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين . فقلنا لها : أين الماء ؟ قالت : أيها أيها . لا ماء لكم . قلنا : فكم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت مسيرة يوم وليلة . قلنا انطلقى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها ، فاستقبلنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسألها فأخبرته مثل الذي أخبرتنا ، وأخبرته أنها موتمة ، لها صبيان أيتام ، فامر براوتها ، فأنحت فمج في العزلاوين العليأوين ... فشرينا ونحن أربعون رجلاً عطاش حتى رويناً . وملأنا كل قربة معنا وإداوة... وهي تكاد تنضرج من الماء ( يعني المزادتين ) . ثم قال : هاتوا ما كان عندكم . فجمعنا لها من كسر وتمر ، وصر لها صرة . فقال لها : « اذهبي فاطعمي هذا عيالك . واعلمي أنا لم نرزأ من مائك » فلما أتت أهلها قالت : لقد لقيت أسحر البشر ، أو إنه لنبي كما زعم ، كان من أمره ذيت وذيت . فهدى الله ذاك الصرم بتك المرأة . فأسلمت وأسلموا ) ( ١١٢ ، ١١٣ ) .

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ( بعث النبي صلى الله عليه وسلم قبل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي خير يا محمد ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت . فتركه حتى كان الغد ، ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك : إن تنعم على شاكرك . فتركه حتى كان بعد الغد ، فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي ما قلت لك . فقال : أطلقوا ثمامة ، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمد رسول الله . يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين إلي . والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي . وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره النبي صلى الله عليه وسلم . وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة ، قال له قائل : صبرت ( ١١٤ ) ؟ قال : لا والله



ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا والله لا يأتيكم من اليمامة رجة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم » (١١٥) .

كان ثمانية أحد زعماء نجد من رؤوس بني حنيفة ، وقد أسره المسلمون وربطوه في المسجد كما رأيت ، فرأى من حسن معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما حمله على الاسلام . فكان عوناً للمسلمين ، وقوة لهم . وكانت هذه القصة قبل فتح مكة وقد اعتمر ثمانية رضي الله عنه ، ثم رجع إلى بلاده ، وأمر قومه أن يمنعوا الميرة عن أهل مكة ، فشكا أهل مكة إلى النبي ذلك ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمانية يشفع فيهم عنده ليميرهم ، فكان لهم ذلك . في هذا الخبر من الدروس والعبر التي يمكن أن يستفيد منها المسلمون عامة ، والدعاة خاصة ما لا يحصى ، فإن الدعوة إلى الله عز وجل « بالحكمة والموعظة الحسنة » وتمثل الدعاة لدعوتهم في جميع أحوالهم هو سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم . فنعم الأسوة ، ونعم القدوة .

٩- ومما يدل على شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته ورحمته بها أنه أدرج دعوته لها ليوم القيامة . قال صلى الله عليه وسلم : « إن لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته فاستجيب له . وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » (١١٦)

١٠- ونختتم هذه الفقرة بما يدل على شفقة ورحمته ، وحسن معاملته للناس جميعاً بل لأعدائه مما ورد في وصاياه لأمراء الجيوش . عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله تعالى ، قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تَغْلُوا ، ولا تغدروا ، ولا تُمَكُّوا ، ولا تقتلوا وليداً . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال . ( أو خلال ) ، فإيتهم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم : ادعهم إلى الاسلام . فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ..... فإن هم أبوا فسلمهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ... » (١١٧) .

وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انطلقوا باسم الله ، وبالله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا طفلاً ، ولا صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا ، وضمو غنائمكم ، وأصلحوا ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » (١١٨) .

ج - محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة فريدة في المشاركة الجماعية والتشجيع ( وتنمية روح الفريق ) :

١- كان صلى الله عليه وسلم يشارك إخوانه في كل شيء فبنى معهم مسجد قباء أول مسجد أسس على التقوى ، وكان يحمل معهم الحجارة والتراب .

٢- وترى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب مع أصحابه ، ولقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول :

والله لولا أنت ما أهدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكيناً علينا إن الأولى قد أبوا علينا  
وربما قال :

إن الملائكة قد أبوا علينا (١١٩) إذا أرادوا فتنة أبينا (١٢٠)

٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين كانوا يقولون يوم الخندق :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً  
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

اللهم إن الخير خير الآخرة فافقر للانصار والمهاجرة (١٢١)

٤- عن عبد الله بن مسعود قال : كنا في غزوة بدر كل ثلاثة منا على بعير ، وكان علي وأبو لبابة - رضي الله عنهما - زميلَي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كانت عقبة (١٢٢) النبي صلى الله عليه وسلم ، قالا : اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى على المشي مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » . (١٢٣)

٥- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على نفرٍ من أسلم ينتقلون (١٢٤) . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً . ارموا وأنا مع بني فلان » قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارموا فأننا معكم كحكم » (١٢٥) .

## د- حكمته صلى الله عليه وسلم وحسن توجيهه ورعايته :

١- كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب حضوره بما يدركون ، فيفهم البديري الجاني بما يناسب جفاه وقسوته ، ويفهم الحضري بما يلائم حياته وبيئته ، كما كان يراعي تفارق المدارك ، وانتباه أصحابه ، وقدرهم الفطرية والمكتسبة ، فتكفي منه الإشارة إلى الأملعي الذكي ، واللحمة العابرة إلى الحافظ المجيد ، يعالج الأمور بالحكمة ، وينصح بالموعظة الحسنة . وبهذا ملك قلوب الناس بحكمته وحسن رعايته وتوجيهه ، من هذا أن رجلاً من بني فزارة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، وأنا أنكرته ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل لك من إبل ؟ قال : نعم . قال : فما ألوانها ؟ قال : حُمْرٌ . قال : هل لك فيها من أريق ؟ قال : إن فيها لورقاً . قال : فأنى أتاما ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق . قال : وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » (١٢٦) .

كانت الوسيلة الوحيدة لا قناعه بصحة ما أنكره - أن يقيس ذلك الذي استهجنه واستغربه على ما اعتاده من حياته العملية وبيئته . إن هذا الذي أنكر ولده لسواده ، يتهم أهله ضمناً بالفاحشة ... وإن مثل هذا يفقد الثقة بين الزوجين ، ويوهن العلاقات بينهما ، وكثيراً ما تتقوض الأسر بمثل هذه الأسباب ... فبحكمته صلى الله عليه وسلم بدد شكوك الرجل ، وطيب خاطره ، وأقنعه بأسلوب حكيم يجمع بين الجانب العقلي والتجربي مما خبره الناس من حياتهم العملية ، فولد لدى الرجل قناعة ذاتية لا تذر للريب أدنى شبهة في النفس .

٢- وكان صلى الله عليه وسلم يلج إلى أعماق النفوس إذ كان يخاطب الأحاسيس والعواطف ، كما كان يخاطب العقول ويحرك المشاعر الإنسانية ويهزها ، كما كان يوقظ النفوس من غفواتها ، ويعالج الأمور بحكمة وأناة ، فيضع البلمس الشافي حيث ينبغي أن يوضع . من هذا أن فتى من قريش أتى الرسول صلى الله عليه وسلم في مجلسه فقال : يا رسول الله ائذن لي في الزنا ، فأقبل القوم وزجروه ، فقالوا : مه مه .... فقال : أدنه . فدنا منه قريباً ، فقال : أتحب لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال : أفتحب لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم - ثم ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته وعمته وخالته ، وفي كل ذلك يقول الفتى مقالته : « لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك » . وبعد هذا وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليه وقال : «

اللهم اغفر ذنبه ، وطره قلبه ، وحضن فرجه» . قال الراوي : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء (١٢٧) .

ما أبلغ هذا الأسلوب وما أروع فقد أدرك الفتى أثر الزنى في المجتمع ، وأنه يتنافى مع المروءة ، وأن الناس جميعاً لا يرضونه لأنفسهم وأهليهم ، كما لا يرضاه هو لنزوه ، - وهو واحد من هؤلاء الناس فلم يشذ عنهم ويخرج عليهم - مما حمله على الاقتناع بالاقلاع عنه ، والتراجع عن طلبه ، وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس .

٢- أسوق إليك هذا الخبر لتقف على حسن توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى عظيم رعايته وعنايته بجميع أبناء الأمة كباراً وصغاراً ، وكيف كان يحسن توجيه الطاقات ، وتصعيد الميول ، تاركاً لك استخراج ما يدل عليه هذا الخبر ، الذي تحول فيه شاب عابث من عبثه ولهوه ليكون مؤذن البيت العتيق .

عن أبي محنورة رضي الله عنه (١٢٨) قال : ( خرجت في نفر (١٢٩) وكنا في بعض طريق حنين ... فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ، فاذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متكبكون ، فصرخنا نحكيه ، ونستهزئ به ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه ، فقال : أيكم الذي سمعتُ صوته قد ارتفع ؟ فأشار القوم كلهم إلي - وصدقوا - فأرسل كلهم وجبسني ، وقال : قم فاذن ، فقمعت ولا شيء أكره إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا مما أمرني به ، فقمعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتقى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم التاذنين هو بنفسه ، قال : « قل الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله » .

ثم دعاني حين قضيت التاذنين ، فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ، ثم وضع يده على ناصية أبي محنورة (١٣٠) ، ثم أمرها على وجهه ، ثم بين ثدييه ، ثم على كبده ، حتى بلغت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم سررة أبي محنورة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بارك الله فيك وبارك عليك » قال أبو محنورة : ( يا رسول الله مرني بالتاذنين بمكة ، فقال : « قد أمرتُ به » . وذهب كل شيء كان لرسول الله من كراهة ، وعاد ذلك كله محبةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدمت علي عتاب بن أسيد عامل رسول الله فاذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم . ( ١٣١ ) ما أحوجنا اليوم إلى رعاية أبنائنا وشبابنا ، وتوجيه طاقاتهم وملء فراغ أوقاتهم بما يعود عليهم وعلى الأمة بالخير العميم ، من خلال منهج تربوي ينهل من منهج الرسول الكريم !! .

هـ - شجاعته صلى الله عليه وسلم ونجدته :

قال القاضي عياض : ( وأما الشجاعة والنجدة ، فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل ، والنجدة : ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمدها فعلها دون خوف . وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يُجهلُ ، قد حضرَ المواقفَ الصعبة ، وقرَّ الكماة والأبطال عنه غيرَ مرَّة ، وهو ثابتٌ لا يبرح ، ومقبلٌ لا يدبر ولا يتزحزح . وما شجاعٌ إلا وقد أحصيت له فرَّةٌ ، وحفظت عنه جولة ( ١٣٢ ) سواء ..... عن شعبة عن أبي اسحاق - السبيعي - سمع البراء وسأله رجُلٌ : أفررتُم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لكنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر .... رأيتُه على بقلته البيضاء وأبو سفيان أخذ بلجامها ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبي لا كذب ... ) ( ١٣٣ ) .

وقال عبد الله بن عمر : ما رأيتُ أشجع ولا أنجد ، ولا أجود ، ولا أرضى ( ١٣٤ ) ولا أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال علي رضي الله عنه : ( إنا كنا إذا حمى البأسُ واحمرَّتِ الحديق ( ١٣٥ ) اتقينا برسول الله ، فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه ، ولقد رأيتني يوم بدرٍ ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً ) ( ١٣٦ ) .

وقيل كان الشجاعُ هو الذي يَقْرُبُ منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه ( ١٣٧ ) . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ( كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم ، قد سبق الناس إلى الصوت ( ١٣٨ ) . وهو يقول : لَمْ تَرَاعُوا لَمْ تَرَاعُوا ( ١٣٩ ) . وهو على فرسٍ لأبي طلحة ، عُرِي ، ما عليه سرجٌ . في عنقه سيف . فقال ( ١٤٠ ) : لقد وجدتهُ بحراً أو إنسه لبحراً . ) ( ١٤١ ) .

وقال عمران بن حصين : ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب (١٤٢١) . ويؤكد هذا ما كان منه صلى الله عليه وسلم يوم بدر إذ قال : « لا يقدّم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » (١٤٣) .

وقع عبد الله بن أبي بن خلف يوم بدر أسيراً لدى المسلمين ، فافتداه أبوه أبي ، وكان فيما قاله للرسول صلى الله عليه وسلم آنذاك : عندي فرس أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلك إن شاء الله . ومضت الأيام وكانت غزوة أحد ، وإذا بأبي بن خلف يقول : أين محمد لا نجوت إن نجا . فلما رآه أبي شدّ على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا ، أي خلواطريقه ، وتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، فانتفض بها انتفاضةً تطايروا عنه تطاير الشُّعراء (١٤٤) عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم ، فطعنه في عنقه طعنة تدادأ منها عن فرسه مراراً (١٤٥) . فرجع أبي إلى قريش يقول : قتلني محمد . وهم يقولون : لا بأس بك . فقال : لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم . أليس قد قال : أنا أقتلك ، والله لو بصق علي لقتلني ، فمات بسرف في قولهم إلى مكة (١٤٦) .

وحسبنا في هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدتُ خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجنون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني . والذي نفس محمد بيده لوددتُ أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (١٤٧) .

و - بعد أن وقفنا على مجمل موجز لخلق الرسول صلى الله عليه وسلم وأدابه ، وعرفنا بعض أخلاقه تفصيلاً لا بد من الإشارة إلى أهمية اتباعه ، والتأسي به ، فإذا كان العلم بالتعلم فإن الأخلاق بالتخلق . قال القاضي عياض : ( وقد نجد غيرهم - أي غير الأنبياء - يطبع على بعض هذه الأخلاق دون جميعها ، ويولد عليها ، فيسهل عليه اكتسابُ تمامها عنايةً من الله تعالى ، كما نشاهدُ من خلقه بعض الصبيان على حسن السميت ، أو الشهامة ، أو صدق اللسان ، أو السماحة ، وكما نجد بعضهم على ضدّها ، فبالاكتساب يكمل ناقصها ، وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معومها ، ويعتدل منحرفها ، وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها (١٤٨) ، وكل ميسر لما خلق له ) (١٤٩) .

قال ابن قدامة المقدسي : ( اعلم أن الخلق الحسن صفة الأنبياء والصديقين ، وأن الأخلاق السيئة سموم قاتلة ، تنخرط بصاحبها في سلك الشيطان ... واعلم أن هذا الاعتدال : تارة يحصل بكمال الفطرة منحة من الخالق ، فكم من صبي يخلق صادقاً سخياً حليماً ، وتارة يحصل بالاكْتِسَاب ، وذلك بالرياضة ، وهي حمل النفس على الأعمال الجالبة للخلق المطلوب ، فمن أراد تحصيل خلق الجود ، فليتكلف فعل الجواد من البذل ليصير ذلك طبعاً له . وكذلك من أراد التواضع تكلف أفعال المتواضعين . وكذلك جميع الأخلاق المحمودة فإن للعادة أثراً في ذلك . كما أن من أراد أن يكون كاتباً تعاطى فعل الكتابة .... وكما أن تعاطي أسباب الفضائل يؤثر في النفس ويغير طبعها ، فكذا مساكنة الكسل أيضاً يصير عادة فيحرم بسببه كل خير . وقد تكتسب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الخير ، فإن الطبع لص يسرق الخير والشر . ) ( ١٥٠ )

فإذا كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب أعيننا ، وكانت خلقه وأدابه منار سبيلنا أحسننا التأسى به إن شاء الله ، والتخلق بأخلاقه .

**المبحث الثاني :** الأخلاق الإسلامية تقوم على مجموعة من الأوامر والنواهي التي تتضمنها الشريعة الإسلامية .

وهذه هي مصادر الإلزام الأخلاقي الأصلية في الإسلام . يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله : ( يستند أي مذهب أخلاقي جدير بهذا الاسم - في نهاية الأمر - على فكرة الإلزام ، فهو القاعدة الأساسية والمدار ، والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي ، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاته ، وفناء ماهيتها ، ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية ، وإذا عدت المسؤولية ، فلا يمكن أن تعود العدالة ، وحينئذ تنفشى الفوضى ، ويفسد النظام ، وتعم الهمجية ، لا في مجال الواقع فحسب ، بل في مجال القانون أيضاً ، وطبقاً لما يسمى بالبناء الأخلاقي .... ومن ناحية أخرى كيف نتصور قاعدة أخلاقية بدون الزام ) ( ١٥١ ) . وهذا الإلزام في الأخلاق الإسلامية مسلم به لأنها تقوم على العقيدة كما أسلفنا .

ومصادر الأخلاق في الإسلام أربعة :

#### ١- القرآن الكريم :

فكما أنه مصدر للأحكام الشرعية فهو مصدر لمكارم الأخلاق ، حيث يبين الخير والشر ، ويبين الفضيلة والرذيلة ، والسبل التي تفضي إلى كل منهما ، كما يبين العواقب المترتبة على ذلك . وورد فيه من أصول الأخلاق والفضائل والتعاليم الخلقية ، والوصايا الحكيمة الخير الكثير . من هذا قوله عز وجل : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » ( ١٥٢ ) إلى قوله عز وجل : « ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » ( ١٥٣ ) . فقد تضمنت كثيراً من الأوامر والنواهي ، تتناول الالتزام بمحاسن الأخلاق ، وتنتهي عن مساوئها ، وتبين آثارها ... تتناول الجوانب الأخلاقية صريحة ومباشرة ، ومثل هذا يقال فيما ورد في سورة لقمان من قوله عز وجل : « وإن قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . » ( ١٥٤ ) . إلى قوله سبحانه وتعالى : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ( ١٥٥ ) .



ومن هذا ما ورد في سورة الحجرات « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجرٌ عظيم » (١٥٦) . فيها تأديب مباشر من رب العالمين لعباده المؤمنين ، وتعليل قوي يثبت جانب الالتزام الأخلاقي . وفي الآية الثانية تأديب وتربية بالإيحاء . يقوي جانب الالتزام بهذه الأخلاق . ومثل هذا يقال في بقية آيات سورة الحجرات التي تناولت النواحي الأخلاقية من قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ... » (١٥٧) إلى قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أوجب أحذركم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله ، إن الله توابٌ رحيم » (١٥٨) .. وتأتي الآية « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » (١٥٩) تقريراً وتعليلاً لكل ما سبق . وبياناً لأكرم الخلق عند الله ، لتدفع بالمؤمنين إلى الالتزام بالأخلاق الحميدة . ولن نجد على الإطلاق أقوى من هذا الالتزام المبني على العقيدة . وهناك آيات كثيرة تتناول الأخلاق الحميدة وتنهي عن الأخلاق السيئة تصريحاً وتلميحاً ، بأساليب متعددة تترك أثارها في الجانب الوجداني والسلوكي عند المسلم .

## ٢- السنة النبوية

وهي كل ما ثبت عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير ، وقد أجمع العلماء على وجوب العمل بها . وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الأخلاق والآداب والفضائل أحاديث كثيرة جداً ، وقد أفرد المصنفون الأوائل في مصنفاتهم كتباً خاصة في هذا الموضوع تحت عنوان ( الأدب ) و ( البر والصلة ) و ( الترغيب في محاسن الأخلاق ) و ( الترهيب من مساوئ الأخلاق ) . ونحو هذا ، ومنهم من أفرد مصنفات خاصة بالأخلاق وتهذيب النفوس ، وقد أشرنا إلى هذا في مطلع المبحث الأول .

ومما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخلاق ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى

الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجلُ يكذبُ ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (١٦٠) .

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنانِ دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه » (١٦١) .

واسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في التوجيه الأخلاقي متنوع ، تارة على سبيل الأمر والنهي ، وأخرى على سبيل الإخبار ، وحيناً على سبيل النناء .. بما أوتي من روعة البيان ، وحسن الخطاب ، وجوامع الكلم . من هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مال ، وما زادَ الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً ، وما تواضَعَ أحدٌ لله إلا رفعه الله » (١٦٢) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم وفدُ عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحباً بالقوم غير خزايا ولا الندامى . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلمُ والأناة » (١٦٣) . ومن هذا بيانه صلى الله عليه وسلم لفضائل بعض أصحابه ، وشناؤه عليهم ، بما لا يخشى عليهم ، وإذا أمنت فتنتهم في مثل هذا المدح ... كقوله صلى الله عليه وسلم : « نعم عبد الله خالد بن الوليد سيفٌ من سيوف الله . » (١٦٤) . وقوله في حمزة رضي الله عنه : « حمزة أسد الله وأسدُ رسوله » (١٦٥) . وقوله صلى الله عليه وسلم « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة » (١٦٦) ونحو هذا مما ذكره في الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (١٦٧) .

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش ، أحناء على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » (١٦٨) .

وما أبلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن يسعون منكم بسط الوجه وحسنُ الخلق » (١٦٩) .

## ٢- الإجماع :

القرآن الكريم والسنة الشريفة هما المصدران الأصليان الرئيسيان في الأحكام الشرعية ، وفي مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب كما أسلفنا . ومع هذا فما لم يرد فيه نص في القرآن أو السنة فالسبيل إلى معرفة حكمه هو الإجماع . وهو اتفاق علماء

الأمة على حكم شرعي ، لم يرد فيه نص في القرآن أو السنة . فنورد الإجماع هو ( حسم مشكلة جديدة ذات طابع أخلاقي أو فقهي ، أو عبادي ، دون أن يكون من شأنه أن ينظر في مسائل الحياة التطبيقية ، أو في مسائل الدين النظرية ) ( ١٧٠ ) .

وللإجماع شروطه المبسطة في كتب أصول الفقه . ومما يستدل به على الإجماع قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُؤَلِّهِ ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » ( ١٧١ ) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ( ١٧٢ ) . وما ثبت عن عبد الله بن مسعود : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح » ( ١٧٣ ) .

#### ٤- القياس :

وهو معروف في مصادر التشريع ، فكل قضية ذات طابع أخلاقي أو فقهي ، مما لم يرد فيها نص من القرآن أو السنة ، ولم يرد فيها إجماع تقاسُ على أصلٍ وتلحق به لجامع بينهما في علة الحكم . والقياس وشروطه وما يلحق بها مبسطة أحكامها في كتب أصول الفقه أيضاً .

وإذا عرفنا أن هذه المصادر مردها كلها إلى الله عز وجل تاکد لنا أن النظام الأخلاقي في الإسلام مصدره من عند الله وحده ، ( فالله سبحانه وحده إذن المشرع ، وليس الآخرون سوى مقررین لأمره ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ) ( ١٧٤ ) .

## المبحث الثالث : خصائص الأخلاق الإسلامية :

تتصف الأخلاق الإسلامية بالبساطة والوضوح والثبات ، وبأنها موافقة للعقل والفطرة عامة شاملة .

### ١- البساطة :

من البَسْطِ وهو النشر ، والبَسْطُ السَّعْهُ ، ونشر الشيء ضدُّ طيه . وأمر بسيط أي لا غموض فيه ولا تعقيد . فالأخلاق الإسلامية قائمة على العقيدة ، والعقيدة قائمة على التوحيد ، والتوحيد بسيط لا تعقيد فيه ، فطبعي أن تعكس صفة العقيدة هذه على ما ينبثق منها أو يقوم عليها من مكارم الأخلاق ، وأداب السلوك . فكل مسلم يستطيع أن يتخلق بالأخلاق الإسلامية في جميع أحواله فلا يحتاج إلى وسيط أو دليل ، فدليله كتاب الله وسنة رسوله ، وأسوته النبي صلى الله عليه وسلم . فماذا يحتاج المسلم لتطبيق قوله صلى الله عليه وسلم : « قل أمنت بالله ثم استقم » إلى أكثر من العزيمة والاعتدال في سلوكه ، من غير إلتواء أو انحراف مما يقتضي التعقيد ، ومثل هذا يقال في تنفيذ قوله صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، لا يحتاج الأمر إلى رقيب خارجي أو مساعد . وكل ما في الأمر مراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، وهذه منوطة باليقظة الدائمة والعزيمة الماضية .

وخلاصة القول أن البساطة في الأخلاق الإسلامية هي البعد عن التكلف والتعقيد . فيكفي المسلم التخلق بما في قوله عز وجل : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » (١٧٥) - ترك تكلف التكبر والغلظة في القول والعمل ، والتزام اللين والرفقة بالوالدين والدعاء لهما ..... وما أيسر هذا وأبسطه .

### ٢- الوضوح :

من خصائص الأخلاق الإسلامية أنها واضحة بيّنة ، تدور بين الأمر والنهي ، أي بين الفعل والترك ، فالنصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تناولت الجوانب الأخلاقية جلية واضحة ، لا لبس فيها ولا خفاء ولا غموض ، يدرك دلالاتها من أوتي بسطة في العلم ومن لم يزت . فمن لا يدرك دلالة قوله عز من قائل « ولا تقربوا الزنا . إنه كان فاحشة وساء سبيلاً » (١٧٦) ؟ ! يبقى الحد الأدنى من دلالاته واضحاً للجميع ، مع

التفاوت بين طرفي أو جانبي هذا الادراك لمفهوم الزنا الواسع والضيق . ومع هذا لا يختلف اثنان في كونه فحشاً وطريقاً سيئاً مرتولاً ، لا بد من اجتنابه ، والبعد عن كل ما يفضي إليه . وبالتالي لا يمكن أن يقع فيه اختلاف بين محرم ومحلل .

### ٣- الثبات :

ومن خصائص الأخلاق الإسلامية الثبات وعدم التغيير والتبديل ، لأنها قائمة على العقيدة الراسخة الثابتة ، فالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والسخاء من مكارم الأخلاق ، التي جاء بها الأنبياء والرسل ، من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يتطور مفهوم واحد منها ولا يتبدل باختلاف الزمان أو المكان ، والأحوال والأطوار . فيبقى الصدق ما طابق الواقع ، والكذب ما خالفه ، من غابر الاسلام إلى يومنا هذا ، وفي شرق الدنيا وغربها ، بالنسبة للأمير والحقير ، والغني والفقير ، والغضبان والحليم ، والجبان والشجاع .

### ٤- موافقة للعقل :

لقد أحل الاسلام العقل الإنساني محله اللائق ، ودعا للنظر والتفكير والاعتبار ... فطبعي أن تكون الأخلاق الإسلامية موافقة للعقول السليمة ، ليس فيها ما يناقضها ؛ فما من عاقل ينتهي به تفكيره إلى مدح البخل وذم الجود ، أو النيل من الأمين والثناء على الخائن ... أو انتقاص الحليم ، وتشجيع الأرعن والاشادة به . وهذا لا يعني أن العقل قيم على الدين بل ينصاع إليه ويوافقه .

### ٥- موافقة للفطرة :

الإسلام دين الفطرة . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .... » (١٧٧) يولد الناس وفي فطرتهم وجبلتهم الاستعداد لمعرفة الله ، والاقرار به ، طيبوا النشأة ، صفاء النفوس ، هذه حال كل مولود ، بعيداً عن أي انحراف ، ولكن أبويه هما اللذان يؤثران فيه ، فيخرجانه من دين الفطرة ، ومن العقيدة السليمة إلى غيرها من الأديان ، أو المعتقدات الفاسدة ، كما ترون البهائم تولد كاملة الخلقة ، تامة

الأعضاء ، إنما يَرِدُ عليها التبديل والتغيير بفعل أصحابها الذين يجدعون أنوفها ، أو يقطعون أذانها ، فيشوهون فطرتها التي خلقت عليها(١٧٨).

والأخلاق الإسلامية من الدين ، فلا بد أنها متصفة بصفاته ، فهي متفقة مع الفطرة الإنسانية السليمة . فالفطرة السليمة تميل إلى مكارم الأخلاق ، وتكره سيئها وتمجه ، فالأخلاق السليمة منسجمة مع الفطرة موافقة لها ، ليس فيها ما يعارضها ، فإذا انحرفت الفطرة لعوامل خارجية انسلخت عن مكارم الأخلاق ، وانزلقت في متهات سيئها . (١٧٩)

## ٦- إنها عامة شاملة :

سبق أن بينت أن التعاليم الأخلاقية مبنوثة في جميع جوانب الاسلام وأن نظام الأخلاق ليس نظاماً جزئياً من نظام الاسلام ، بل هو حلقته في جميع ظواهره وبواطنه ، والنظام الأخلاقي من الاسلام بمنزلة عروق الدم من الجسد ، متداخلة في جميع أنسجته ، تداخل التوجيهات الأخلاقية في جميع أحكامه . ومع كل هذا بوسعنا أن نحددها من حيث التطبيق ، في الميادين الآتية :

١- الأخلاق الشخصية ( الفردية ) . وهي التي تنتظم سيرة الفرد وسلوكه .

٢- الأخلاق الأسرية . وهي التي تنتظم شؤون الأسرة .

٣- الأخلاق الاجتماعية . وهي التي تكسو التصرفات بين أبناء المجتمع ، وتنظمها من الناحية الأخلاقية .

٤- أخلاق الرعاية وما ينتظم أمور الحكم والرعية . أي أخلاق الدولة .

٥- أخلاق دينية : تنتظم الواجبات نحو الله عز وجل وتحليها ، وترتقي بالمسلم إلى أعلى درجات الفضيلة في هذا المضمار .

وتفصيل هذا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ، وفي أمهات الكتب الإسلامية قديمها وحديثها ، التي عرضت لهذا الموضوع (١٨٠) .

## المبحث الرابع : تصحيح بعض المفاهيم الأخلاقية الخاطئة

أكثر العلماء الذين تناولوا البحث في الفكر والثقافة متفقون على أن العقيدة من أكبر دعائم الثقافة ومقوماتها ، ومن أبرز مكوناتها ، إلى جانب المقومات الأخرى من عبادة وأخلاق وعادات وتقاليد ..... وما يلحق هذا .. كما أنهم متفقون على أن للثقافة مدلولها السلوكي ، وأثرها الواضح في حياة الإنسان ، وأن المجتمع مرآة ثقافة الأمة ، وأن تباين المجتمعات في سلوكها هو ثمرة تباينها في ثقافتها ، وأن هذا التباين يخف ويتوارى بمقدار ما تتقارب ثقافات الأمم (١٨١) .

ومهما يكن الأمر فإنه كلما سعت العقيدة ، وصحت ، واعتمدت على قيم شاملة عامة ، كلما سما سلوك الإنسان واستقام أمره في الحياة ، واتسعت آفاقه على مستوى المثل العليا التي يسعى إلى تحقيقها ، والعمل من أجلها ، وكلما التزم الإنسان بعقيدته وتمسكها حسنت أخلاقه واستقام سلوكه ؛ والشخصية السوية هي التي لا يناقض قولها فعلها ، ولا يخالف سلوكها معتقدها ، بل تكون العقيدة ناظم جميع تصرفاتها الخاصة والعامة ، الظاهرة والباطنة في جميع ميادين الحياة .

ولا خلاف في أن ما نزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الشرائع السماوية ، التي رفعها الله تعالى لعباده وبها أكمل ما تنزل به على رسله وأنبيائه ، مصداقاً لقوله عز وجل : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١٨٢) ، وأنه هو الإسلام المقصود في قوله عز وجل : « إن الدين عند الله الإسلام » (١٨٣) ، وفي قوله تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (١٨٤) . وقد بلغ أوج الكمال في عقيدته وشريعته وعباداته وأخلاقه وأدابه ، فمن الواجب أن يكون المسلمون في حياتهم وسلوكهم على مستوى هذا الكمال لما يدينون به . غير أن الجهل بالدين أحياناً ، أو ضعف الدين في النفوس أحياناً أخرى ، وغلبة الميل والأموء على أصحابها ... تارة أو الانحراف في فهم بعض أمور الدين .. إلى جوانب عوامل أخرى قعد بكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام عن الحد الأدنى الذي يجب أن يتحلى به المسلم من مكارم الأخلاق ، بل انتهت بعض المفاهيم الأخلاقية الخاطئة بأصحابها إلى مخالفة ما أمر الله به ... « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (١٨٥) . لذا كان لا بد لنا من هذا

المبحث ، لنجلي بعض المفاهيم الخاطئة ونصحها ، مما انتشر في بعض الأوساط الإسلامية ، عن قصد أو عن غير قصد . وفي نظرنا أن هذا من أهم الواجبات التي تقتضي صلاح المجتمع وإصلاحه ، والأخذ بيده للتخلص من بعض الأمراض الاجتماعية ، التي أرهقت الأمة الإسلامية إلى جانب أسباب أخرى قعدت بها عن مكانة الريادة والقيادة التي يجب أن تتسمها - بما أهلها لها هذا الدين العظيم - من أجل قيادة الإنسانية إلى شاطئ الأمن والسلام . ولليكم أهم هذه المفاهيم بإيجاز إن شاء الله .

### أولاً - الهمز واللمز والغيبة :

حرص الاسلام على سلامة المسلم من كل الآفات المادية والأدبية ، المتصلة بجوارحه ، فحرم الغيبة ، قال عز من قائل : « ... ولا يفتب بعضكم بعضاً ، أوجب أحداكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله توابٌ رحيم » (١٨٦) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام ! دمه وعرضه وماله » (١٨٧) . ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة الغيبة إذ قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أ رأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » (١٨٨) . وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الغيبة وَهَبَ منها ، وبين جزاء من يقع فيه : فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ( ليلة أُسريَّ بنبي الله صلى الله عليه وسلم ، ونظر في النار ، فإذا قومٌ ياكلون الجيف . قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس .. ) (١٨٩) . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما عُرِجَ بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم » (١٩٠) . ولا شك في حرمة الغيبة . عن عائشة رضي الله عنها قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم : قال : فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » (١٩١) .

والهمز واللمز مما يؤذي المؤمنين أيضاً ، والهماز بالقول ، واللاماز بالفعل ، يزدري الناس ويتنقصهم . قال ابن عباس في معنى قوله تعالى « هُمَزَةٌ لُمُزَةٌ ، طعانٌ معيابٌ ،



ومنهم من قال : الهمزة واللمزة : لسانه وعينه : والهمزة باليد والعين ، واللمزة باللسان . وقيل الطعن في الغير خفية بالإشارة باللسان أو العين ، وقد يطلق على كل عيب للغير (١٩٢) . فكل ما فيه انتقاص للمسلم بالإشارة أو القول أو الكتابة ليس من أخلاق المسلمين . وآثاره الاجتماعية وخيمة ، لما يفضي إليه من انتقاص المسلمين وإيغار الصدور وتفريق الكلمة ، وإفساد المجتمع ، بتفكيك عرا الأخوة والتضامن وإثارة البغضاء ... واتباع انبيول والأهواء . ومرتكب هذه الأمور عاقبته النار يوم القيامة . فلا يغتر بظاهر ما يؤديه من عباداته فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلسُ فينا من لا درهم له ، ولا متاع ، فقال : المفلسُ من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة ، وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » (١٩٣) .

إن الهمز واللمز والغيبة مما ابتليت به بعض الأوساط الإسلامية ، وقد يكثر في مجالس النساء ، والشباب ، وهو أقل منه في مجالس الرجال ، وكلما أخذت الثقافة الإسلامية محلها من النفوس خفت هذه الظاهرة بل انعدمت .

ومن أهم الأسباب الباعثة على الغيبة والهمز واللمز : الجهل بتعاليم الاسلام ، أو ضعف الاسلام في النفوس ، واتباع انبيول والهوى ، وموافقة الأقران ومجاملة الجلساء فيما يخوضون فيه من أعراض الناس ، ويستحي بعض السامعين إذا أنكر عليهم أن يستقلوه أو ينفروا منه ، ويسكت عنهم مجاملة لهم ... وقد يكون الباعث الحسد ، وحب الظهور أو الترويح عن النفس ... وغير هذا (١٩٤) .

والسبيل للخلاص من هذا أن ينظر المغتاب في عيب نفسه قبل أن ينظر في عيب غيره (١٩٥) ، ويستحضر زجر الله تعالى لمثل هذه الخصال ، وترهيبه منها . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وإن سمع غيبة في مجلس عليه النصيح بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإن لم يستطع لسبب ما فلا يجامل المغتابين ، وإن استطاع أن ينسحب من المجلس - من غير أن يفضي انسحابه إلى مفسدة - انسحب ، ولا بد لمن يستطيع أن يذب عن أخيه من أن يقوم بذلك ، امتثالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ ذُبْ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعقنه من النار » (١٩٦) وإحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل في حالة البهتان

فإن لم يفعل المستمع للغيبة شيئاً من هذا فهو شريك فيها ، فإن فعل شيئاً مما أسلفت نجا من إثم سماعها .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن العلماء أخرجوا من الغيبة ستة أصناف ، لو ذكر إنسان بما فيه مما يكره لا تكون غيبة ، على أن يكون الغرض صحيحاً في الشرع، ولا يمكن التوصل إليه إلا بذكر ما يكره وهي :

١ - رفع الظلم : للمظلوم أن يذكر الظالم لمن يستطيع أن يرفع عنه ظلمه كالإمام أو القاضي أو المحكم .

٢ - الاستعانة على تغيير المنكر . ورد الظالم عن ظلمه ، والعاصي عن معصيته .

٣ - الاستفتاء لدى من هو أهل للفتوى ، فيجوز للمستفتي أن يذكر غيره بما يكره ليعرف سبيل خلاصه . والأولى التعريض وإن كان التعيين مباحاً فلو قال : (شريكي يفعل كذا وكذا فما سبيل خلاصي ) وجاز لو قال ( شريك يفعل مع شريكه ....) فهو أولى .

٤ - تحذير المسلمين ، كأن تعرف سوء أمانة في إنسان يرغب أن يعمل لدى من لا يعرفه بها . فلك أن تحذر رب العمل ... أو كتردد صالح على فاسق يخشى على الأول منه فلنا أن نخدر الصالح منه .

٥ - أن يكون معروفاً بلقب كالأعرج والأعمى ، فلا إثم على من يذكره به ، وإن وجد عن هذا معدلاً أولى .

٦ - ذكر المجاهر بمعصيته التي جاهر فيها ليس من الغيبة (١٩٦) .

ثانياً - النميمة والمداينة :

النميمة من نَمَ ينمُ فهو نَمَام ، وتطلق النميمة على نقل حديث أو فعل لافساد ذات البين ، أو للتحريش بين الناس ، وهي الحالقة ، عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى . قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة (١٩٧) . » لا أقول : تحلق الشعر ولكن أقول تحلق الدين » (١٩٨) . وقد نهى الإسلام عن النميمة في عدة آيات وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاء النمام فقال : « لا

يخل الجنة نعام » (١٩٩) . وفي رواية « قتات » كما أن النعام يعذبُ في قبره ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرُّ بقبرين يعذبان ، فقال : « إنهما يُعَذَّبَان .....أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة .. » (٢٠٠) وعنه صلى الله عليه وسلم : « خيارُ العباد الذين إذا رُؤوا ذُكر الله ، وشرارُ عبادِ الله المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت » (٢٠١) ، وفي رواية « المفسدون بين الأحبة » (٢٠٢) ، يفعل بعضهم هذا ظناً منهم أنهم يحسنون صنعاُ ليحذروا رؤساعهم أو أصدقائهم ممن ينقلون قوله أو فعله ، ولم يدروا أنهم يفسدون ذات البين وقد يفعله ليشفي غيظه من خصمين له أو من أحدهما .

والمداينة : المواربة والمصانعة ، وتقصد بها هنا ذا الوجهين وذا اللسانين ، الذي يأتي إنساناً فيوافقه على ما يقول ، أو يعده أنه سينصره أو يعينه .. ونحو هذا ويأتي خصم ذاك فيوافقه على ما يقول وأنه محقٌ في خصومته مع ذاك ، يقول لكل واحدٍ ما يرضيه ويرثي عليه في وجهه ويزمه عند خصمه . ظناً منه أنه يطيب خاطر كل منهما . وأن هذا من باب المسايرة والمجاملة ... ولم يدرك أنه من شرِّ الناس كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجبن الناسَ معادنٌ ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا ، وتجبن خيار الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهة ، وتجبن شرَّ الناسِ ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » (٢٠٣) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة ، وله وجهان من نار » (٢٠٤) ، لأن ما يفعله إنما هو من باب الرياء والنفاق ، ليحظى بمكانة لدى من قيل في حضرته ، أو لينال وجهاً عنده أو يداً ، ولم يدرك ما ستكون مكانته عند الله عز وجل يوم القيامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيباً » (٢٠٥) .

فإن في مسلك ذي الوجهين من الكذب والنفاق والتفجير ما لا يليق بمن أعزه الله تعالى بالاسلام .

وأما من اضطر إلى مداراة ذي شأن أو سلطة أو نفوذ أو بسبب اكراه جاز له من هذا أقل ما يدفع عنه السوء ، والأولى له الصمت وعدم الموافقة على الباطل بالقول أو الفعل ، أو الإشارة كهز رأس ونحو هذا . لأن دفع المفساد مقدم على جلب المنافع ، والضرورات تبيح المحظورات ، والضرورات تقدر بقدرها ، وإن لم يستطع أن ينكر الباطل بلسانه ، فلينكره بقلبه (٢٠٦) ، ولا يصدر عنه ما يشعر بتأييد الباطل من قول أو

فعل ، وبخاصة إذا كان ممن يقتدى به ومن أهل العلم . فمن ابتلي ببعض هذا لضرورة ( وخاف إن لم يشن فهو مغرور ، فإن اتقاء الشر جائز . قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إنا لنكشر - أي نبتسم - في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم . وقالت عائشة رضي الله عنها : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائذنوا له ، فبش رجل العشيبة هو » ثم لما دخل الآن له القول ، فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألتت له القول ؟ فقال: يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقساء شره » ( ٢٠٧ ) .

وكما ازداد الوعي الديني ، وقوي التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله زالت هذه الأمراض من المجتمع وتلاشت .

### ثالثاً - خيانة الأمانة :

من جملة ما دعا الإسلام إليه في ميدان التربية الخلقية - أداء الأمانة والوفاء بالعهد ، والتزام الصدق ... وهي دعوة واضحة في كتاب الله عز وجل ، وفيما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قوله عز من قائل : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا احكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعماً يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً » ( ٢٠٨ ) ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ( ٢٠٩ ) . وأثنى سبحانه وتعالى على المؤمنين القائمين بحق الأمانة فقال سبحانه « قد أفلح المؤمنون » إلى أن قال : « .... والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » ( ٢١٠ ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا الأمانة إذا انتتمتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » ( ٢١١ ) . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ( ٢١٢ ) . وقال صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من التفاق حتى يدعها : إذا اتعن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » ( ٢١٣ ) .

وإذا أدركنا معنى الأمانة في قوله عز وجل : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً

جهولاً ، (٢١٤) أنه القيام بمسؤولية التكليف ، جملة وتفصيلاً - أدركنا الفهم الخاطيء الذي ساد بين كثير من المسلمين حين قيدوا الأمانة فقط في حفظ الودائع وردّها ، وخصصوا مفهومها العام بها ... وتساهلوا فيما وراء المعنى الخاص من أمور المسؤولية .. ولا أدل على هذا - مما جاء في حديث ابن مسعود في بيان وخيم عاقبة سوء الأمانة ، وبيان شمولها وعمومها . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة قال : يؤتى العبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله ، فيقال : أد أمانتك ، فيقول : أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا ، فيقال : انطلقوا به إلى أمه الهاوية ، فينطلق به إلى الهاوية ، وتمثل له أمانته كهيتها يوم دفعت إليه ، فيراها فيعرفها ، فيهوى في أثرها حتى يدركها ، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت قدمه ، فهو يهوى في أثرها أبد الأبد ، ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشياء عددها (٢١٥) ، وأشد ذلك الودائع ، قال زاذان : فأنيت البراء بن عازب فقلت : ألا ترى إلى ما قال أخوك عبد الله بن مسعود ؟ قال صدق : أما سمعت الله يقول : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » (٢١٦) ومما يزيد المعنى العام للأمانة قول بعضهم في تفسير الآية السابقة (أي أن التكليف أمر عظيم حقه) (٢١٧) والتكليف عام .

فلو عرضنا واقعنا على حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه (٢١٨) ، مما يجري في حياتنا العملية اليومية في كثير من المؤسسات العامة والخاصة ، وما يحدث في الأسواق التجارية والصناعية ، وفي الأراضي الزراعية والميادين الإدارية والتربوية والتعليمية ... وفي كثير من الأمور المتعلقة بالحياة المعاشية ، وما يخالفها من تقصير أو غش أو تدليس أو تجاوز مغل ، أو أهمال مضر ، أو إساءة للآخرين - لعرفنا أثر الفهم الخاطيء لضيق مدلول الأمانة ... ولأدركنا المنافع الكثيرة التي تلج منها أسباب تعود أمتنا عما يجب أن تكون عليه . وسبيلنا الوحيد لعلاج مثل هذه الظاهرة الخطيرة - مزيد من الوعي لأحكام الاسلام وأخلاقه وأدابه ، ومزيد من الحزم وتحمل المسؤولية .

بعد أن عرفنا مصادر الالتزام الأخلاقي . وأهم قواعد مكارم الأخلاق في الاسلام وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوسعنا أن نقف - إن شاء الله - على كثير من المفاهيم الأخلاقية الخاطئة (٢١٩) ، ونسهم في تقويمها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونسعى لبناء صرح أمتنا بالتزامنا بما أمر الله عز وجل ، لتكون دلالة حالتنا أقوى من مقالنا . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (٢٢٠) .

## هوامش الفصل الرابع

- (١) سورة المائدة : بعض الآية
- (٢) آل عمران : ١٦٤
- (٣) انظر الآيات ٢٣-٣٩ من سورة الاسراء وقابل هذا بالآيات (١٢-١٩) من سورة لقمان .
- (٤) القلم : ٤
- (٥) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفروض ١٠٤ .
- (٦) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : جمع الفوائد ٣٩٩ ح٢ .
- (٧) الأنفال : ٢٤ .
- (٨) سنن أبي داود في المبحث الثالث إن شاء الله .
- (٩) الاحياء ح ٣ ص ٥٠ قال العراقي أخرجه المروزي مرسلأ ، وورد « الاسلام حسن الخلق » أخرجه الديلمي عن أبي سعيد . الجامع الكبير ح ١ ص ٣٩٣ .
- (١٠) وتتمة الحديث ( وخياركم خياركم لنسائهم ) أخرجه الترمذي وأحمد وابن حبان والبيهقي ، وقال الترمذي حسن صحيح . الجامع الكبير ص ١٤١ ح ١ وتحفة الأحوزي ص ٣٢٥ ح ٤ .
- (١١) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي ، وأبو داود الطيالسي وأحمد والدارمي وابن ماجه جمع الفوائد ح ١ ص ١٧ . والجامع الكبير ص ٩١٨ ح ١ .
- (١٢) أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه والدارمي واللفظ لأحمد مسند الامام أحمد ح ٣ ص ١٣٤ وانظر صحيح سلم ح ١ ص ٦٥ .
- (١٣) أخرجه الترمذي وابن ماجه . عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي ح ٩ ص ٢٤٩ ، وسنن ابن ماجه ح ٢ ص ١٣١٤ .

(٢٦) أخرجه مسلم قبسات من هدي النبوة ص ٨٦.

(٢٧) أخرجه الترمذي انظر قبسات من هدي النبوة ص ٨٦ حديث ٢ .

(٢٨) أخرجه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٠٦ ح ١٣ . وفيض القدير ص ٢٤٥ ح ٢ . وانظر كتابنا الموجز في حديث الأحكام ص ٤٣٣ .

(٢٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجة والترمذي . الأدب المفرد ص ١١٠ حديث (٢٩٤) .

(٣٠) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ١١٥ .

(٣١) أخرجه الامام أحمد عن السيدة عائشة ومن حديث ابن مسعود والحديث صحيح انظر الأذكار ص ٢٦٠ .

(٣٢) الأحزاب : ٢١ .

(٣٣) كعروة بن الزبير بن العوام ( - ٩٤ هـ ) ، ويذكر أنه من أقدم من دون السيرة النبوية ، وأبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ( - ١٠٥ هـ ) روهب بن منبه (٣٤- ١١٤ هـ) وشرحبيل بن سعد (نحو ٢٤- ١٢٣ هـ) وابن شهاب الزهري (٤٠- ١٢٤ هـ) ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو والأنصاري (٦٥- ١٢٥ هـ) ، وموسى بن عقبة الحنظلي ( - ١٤١ هـ ) ، ومعمربن راشد ( - ١٥٠ هـ ) .

(٣٤) مثل أبي محمد عبد الملك بن هشام ( - ٢١٨ هـ ) وهو أتقن من روي السيرة عن ابن اسحاق وتعد سيرته من أقدم وأجمع ما دون في السيرة طبعت في أربعة أجزاء عدة مرات ، والامام الطبري (٢٢٤- ٣١٠ هـ) حيث جمع تاريخه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والامام المحدث عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ( - ٥٨١ هـ ) الذي شرح سيرة ابن هشام في كتابه ( الروض الأنف ) . وانظر كتابنا لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص ٢٢٨ - ٢٣٤ .

(٣٥) طبعت هذه الكتب مراراً . وانظر ما جاء في كتاب الاحياء للامام الغزالي في كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة ص ٣٢٨ - ٣٥٢ ح ٢ .

(٣٦) أثره بضم الهمزة ويجوز فتحها وكسرها وسكون الاء ويجوز فتحها بمعنى ماثرة ومكرمة أي استأثر بها دون غيره .

(٣٧) رمم جمع رمة ما يبلي من العظام أو أجزاء البدن . بوال جمع بالية .

(٣٨) الشفاء ح ١ ص ٧٩ .

(٣٩) المرجع السابق ح ٢ ص ١٩٨ .

(٤٠) ورد في الحديث : السمت الحسن والتؤدة ، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة المصدر السابق عن الموطأ (٩٥٤) أي أن هذه الخصال من شمائل النبوة .

(٤١) القلم : ٤ .

(٤٢) أخرجه مسلم .

(٤٣) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ص ١٠٤ . وأخرجه مالك في الموطأ . قال ابن عبد البر هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره انظر نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ح ١ ص ٤٨٢ والشفاء ص ١٣٦ .

(٤٤) انظر نسيم الرياض ص ٤٨٢ والشفاء ص ١٢٦ والحديث رواه الشيخان . وقارن بالاحياء ح ٢ ص ٣٢٩ . وانظر كتابنا قبسات من هدي النبوة ص ١٠٩ .

(٤٥) الأعراف : ١٩٩ .

(٤٦) النحل : ٩٠ .

(٤٧) لقمان : ١٧ .

(٤٨) آل عمران : ١٣٤ .

(٤٩) آل عمران : ١٢٨ . وقد أخرج هذا الخبر الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه ، كما أخرجه الإمام مسلم . انظر مختصر تفسير ابن كثير ح ١ ص ٣١٧ ، وانظر الشفا ح ١ ص ١٣٧



(١٣) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي . صحيح البخاري ح ٩ ص ٢١٠ وصحيح مسلم ح ٤ ص ٢٠٧٦ ، وانظر الترغيب والترهيب ح ٢ ص ٤٤٣ وما بعدها .

(١٤) أخرجه ابن ماجة . انظر كتابنا قبسات من هدى النبوة ص ٨٧ .

(١٥) أخرجه الديلمي عن أبي سعيد . الجامع الكبير ح ١ ص ٢٩٣ .

(١٦) رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود ح ٤ ص ٣٧٥ . الموطؤون جمع موطاً وهو من فيه لين ورفق وسهولة . والاكثاف جمع كنف وهو الجانب والناحية أي من يلين جانبه لغيره ويرفق به .

(١٧) البقرة : ٢٨٠ .

(١٨) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ح ٣ ص ١٢١ كتاب البيوع ( باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ) .

(١٩) أخرجه الإمام مالك عن محمد بن المنكدر موطاً مالك طبقة الشعب ص ٤٢٥ حديث (١٠٠) .

(٢٠) المائدة : ٨ .

(٢١) أخرجه البخاري في الأدب المفروض ١١١ ومسلم والترمذي انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٦٣ ، وقبسات من هدى النبوة ص ١٠٩

(٢٢) أخرجه الستة إلا الامام مالكا انظر جمع الفوائد ح ١ ص ١٦ : والأدب المفرد ص ٢٠٩ .

(٢٣) رواه ابن حبان وأحمد ورجال رجال الصحيح والترمذي وقال حسن صحيح . جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٦٤ .

(٢٤) أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجة عن ابن عباس . انظر كتابنا الموجز في أحاديث الأحكام ٧٢ .

(٢٥) ٣٦ : النساء . قرن عز وجل الاحسان - وهو من أرفع مكارم الأخلاق وأبرز

٥٠) القلم : ٤ قال القاضي عياض : ( ثم أثنى عليه بما منحه من هباته ، وهداياه إليه ، وأكد ذلك تنميماً للتمجيد بحرفي التأكيد ، فقال « وإنا على خلق عظيم » ... ثم عطف بعد مدحه على ذم عبده ، وذكر سوء خلقه ، وعداً معاييه متولياً ذلك بفضلته ، ومنتصراً لنيبته ، فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه ، بقوله ( فلا تطع المكذبين ... ) الآيات ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتعام شقائه ، وخاتمة بواره بقوله : « سنسمه على الخراطوم » فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ، وردده تعالى على عبده أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده ) . الشفاء ح ١ ص ٥٤-٥٥ .

٥١) أخرج ابن حبان في روضة العقلاء : « إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها » كما أخرجه الطبراني والخرائطي والحاكم وابن عساكر عن طلحة بن عبد الله ابن كريب ، والطبراني نحوه عن فاطمة بنت الحسن عن أبيها رضي الله عنهم . الجامع الكبير ح ١ ص ١٨٢ ، كما أخرج الحديث المذكور البيهقي من حديث سهل بن سعد متصلاً ، ومن رواية طلحة مرسلاً ورجالهما ثقات . المغني عن حمل الأسفار في الأسفار على هامش الأحياء ح ٢ ص ٢٣٠ .

٥٢) يريد أنه سمعه وسمع ما هو خير وأجمع منه .

٥٣) الجارية : الفتاة في مقتبل العمر أطلق عليها جارية لأنها تجري في حاجات أهلها . ولكن ورد في السيرة أنها ( امرأة جزلة ) أي حسنة الرأي فلعلها كذلك وهي فتاة ولا تعارض بين الوصفين .

٥٤) أحياء علوم الدين ح ٢ ص ٢٣٠ . شواهد الحديث الأخير متعددة ومنها أنه سئل صلى الله عليه وسلم : ما أكثر ما يدخل الجنة ؟ قال : تقوى الله وحسن الخلق . والحديث صحيح . وقد سبق تخريجه قبل صفحات وقد كان لابنة حاتم الطائي هذه أثر كبير في عودة أخيها عدي بن حاتم إلى المدينة وإعلان إسلامه انظر سيرة ابن هشام ٥٧٩/٤ والسيرة النبوية لابن كثير ح ٤ ص ١٢١ .

٥٥) الشرائع المحمدية ص ١٨٢ .

٥٦) المرجع السابق ١٨٣ - ١٨٤ والأدب المفرد ١٠٥ .

٥٧) انظر الشرائع ص ١٨٥ و١٨٦ والشفاء ح ١ ص ١٢٧ وقبسات من هدي النبوة ١٢ .

٥٨) أخرجه البخاري انظر المراجع السابقة وقبسات من هدي النبوة ص ١٢ .

٥٩) انظر الشمائل المحمدية ص ١٨٤ . والشفاء ح ١ ص ١٥٣ .

٦٠) من الشح وهو البخل .

٦١) المراء : الجدال . والاكثار : استعظام النفس في الجلوس وغيره .

٦٢) كان الصحابة يتمنون أن يجيء الغريباء إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ليستفيدوا من أسئلتهم ، لأنهم كانوا يجلون الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتهيئون أن يسألوه ، وبعبارة أخرى كانوا يسمعون لمجيء الغريب إلى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتفعوا بما يسمعون من سؤال وجواب أو بيان مسألة ، أو فتوى في قضية .

٦٣) أي أعينوه على طلبته .

٦٤) أي مقتصد في المدح لا يتجاوز الحقيقة .

٦٥) من جاوز الحد إذا تعداه ، أي لا يقطع على أحد حديثه إلا إذا تجاوز الحق.

٦٦) الشمائل المحمدية ص ١٨٧ - ١٨٩ رواه الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما . وانظر الشفاء ص ١٥٨ ح ١ .

٦٧) المرجع السابق ص ١٨٩ - ١٩١

٦٨) احياء علوم الدين ح ٢ ص ٣٣١ وانظر المغنى عن حمل الاسفار في الاسفار على هامشة وقارن بالشفاء ح ١ ص ١٢٣ .

٦٩) انظر الشمائل المحمدية ص ١٩١ .

٧٠) المرجع السابق ١٩٢ .

٧١) انظر احياء علوم الدين ح ٢ ص ٣٣١ ، ومختصر تفسير ابن كثير ح ٣ ص ٤٨٧ والشمائل المحمدية ص ١٢٠ .

٧٢) انظر احياء علوم الدين ح ٢ ص ٣٣١ والشمائل المحمدية ص ١٩٢ والأدب المفرد ٢٠٩ والشفاء ح ١ ص ١٥٣ .

(٧٣) انظر الاحياء ح ٢ ص ٢٣١ ، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن عمل الرسول صلى الله عليه وسلم في بيته قالت : « وكان بشراً من البشر : يغلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه » . الشامل ص ١٨١ وأخرجه الترمذي في سننه . والبخاري في الأدب المفرد .

(٧٤) انظر احياء علوم الدين ح ٢ ص ٢٣٢ والشفأ ح ١ ص ١١٢ و ١١٣ و ١٥٧ وانظر الشامل ص ٧٦ وما بعدها وص ٨١ وما بعدها .

(٧٥) انظر احياء علوم الدين ح ٢ ص ٢٣٣ والشامل المحمدية ص ٣٢ .

(٧٦) أخرجه النسائي . قبسات من هدي النبوة ص ١٠١

(٧٧) أخرجه أبو داود قبسات من هدي النبوة ص ١٠٢ .

(٧٨) الصبب المنحدر : أي يمشي نشيطاً غير متأقل الخطأ . أخر الترمذي في الشامل ص ٦٠ .

(٧٩) انظر احياء علوم الدين ح ٢ ص ٢٣٣ .

(٨٠) انظر احياء علوم الدين ح ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ وانظر الشامل المحمدية ص ١١٥ . والشفأ ح ١ ص ١٦٤ .

(٨١) قارمه أي قام مع قيامه لعرض حاجته .. وصابره أي صبر عليه فلا ينصرف عنه صلى الله عليه وسلم حتى ينصرف عنه جليسه أو صاحب الحاجة ، تطيباً لقلبه ، ورأفة به ، وهذا من كريم خلقه صلى الله عليه وسلم وحسن أدبه . بخلاف ما يصدر اليوم عن بعضهم من اعراض عن الجليس أو تشاغل عنه ونحو ذلك مما يجرح قلب ذي الحاجة أو يسيء إليه . ولو أدرك بعض المخطئين حقيقة خلقه صلى الله عليه وسلم ، ووعوا دلالة قوله تعالى « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » وقوله صلى الله عليه وسلم « وابتسامتك في وجه أخيك صدقة » وقوله : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسمعهم منكم حسن الخلق » لأحسنوا صنفاً لأنفسهم ولغيرهم . وانظر ما سبق في الشفا ح ١ / ٢٠٥

(٨٢) و (٨٣) الشفا ح ١ ص ٢٠٦ . تؤنن تذكر سوء ، والحرم ما لا يحل . ولا تتنى فتتانه أي لا تبوح في مجلسه حتى يذكر .

(٨٤) المرجع السابق ح ٢ ص ٢٠٥ .

(٨٥) حفلت كتب السيرة بأخباره صلى الله عليه وسلم إذ مكث ثلاثة وعشرين عاماً يدعو إلى الله عز وجل وعرض له ما لا يحصى . انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٠ و ٣١٧ و ٣٥٠ و ٣٥٤ و ٤٢٥ ح ٢ ، ومختصر تفسير ابن كثير ص ٦٨٩ ح ٣ ، وجمع الفوائد ص ٦٥ ح ٢ وكتابنا الاعلام في صدر الاسلام .

(٨٦) الشفا ح ١ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٨٧) وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم في قيلولة . انظر الشفا ح ١ ص ١٣٩ .

(٨٨) المرجع السابق ح ١ ص ١٤٠ . وانظر فتح الباري ح ١٣ ص ١١٨ - ١١٩ .

(٨٩) روعه : أخافه .

(٩٠) الشفا ح ١ ص ١٤١ .

(٩١) انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٢٦٣ . أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود . وانظر الشفا ١٤٣ . والآية هي ٢٤ من سورة الفتح . وقارن بصحيح مسلم ص ١٤٤٢ ح ٣ .

(٩٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ح ١ ص ١٤٣ .

(٩٣) سورة يوسف : ٩٢ . والتثريب اللوم والتوبيخ .

(٩٤) الشفا ح ١ ص ١٤٢ .

(٩٥) الأنبياء : ١٠٧ .

(٩٦) أجمل : أي فعل فعلاً جميلاً محموداً .

(٩٧) القمامة الكناسة والمقصود هنا بعض ما ترعاه الدواب من الأرض .

(٩٨) الشفا ح ١ ص ١٦٠ - ١٦١ ، وانظر نسيم الرياض ح ٢ ص ٧٥ - ٧٨ وقال رواه البزار وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن حبان في صحيحه ، وابن الجوزي في الوفا .

(٩٩) أخرجه الشيخان قبسات من هدي النبوة ص ١٢ وانظر جمع الفوائد ص ٣٨٦

ح ٢ .

(١٠٠) أخرجه أبو داود والترمذي جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٨٧ .

(١٠١) متفق عليه . قبسات من هدي النبوة ص ٩٥ .

(١٠٢) الأدب المفرد ص ٤٨ .

(١٠٣) لا نسبح أي لا نصلي نافلة ، أي مع حرصهم على النوافل لا يقدمونها على حط الرجال وراحة الدواب أخرج الحديث أبو داود بإسناد على شرط الامام مسلم .  
قبسات من هدي النبوة ص ٩٨ .

(١٠٤) متفق عليه المرجع السابق ص ٩٧ .

(١٠٥) تردده أي تمشي به وتعود لتذلل صعوبته الحديث أخرجه مسلم . الشفا ص ١٦٤ ح ١ .

(١٠٦) أخرجه مسلم . قبسات من هدي النبوة ص ٩٧ .

(١٠٧) إذ قال لهم صلى الله عليه وسلم : « خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا » .  
الشفا ح ١ ص ١٦٢ .

(١٠٨) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أيما رجل سببت أولعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهراً ، وقربةً تقربه بها إليك يوم القيامة » أخرجه مسلم .  
الشفا ح ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(١٠٩) المرجع السابق ح ١ ص ١٦٢ .

(١١٠) مختصر الشمائل ص ٢٠١ .

(١١١) انظر منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه من كتابنا السنة قبل التدوين ، وكتابنا الموجز في حديث الأحكام . ونظام الاسرة في الاسلام : مبحث مكانة المرأة في الاسلام

(١١٢) بيان معنى غريب الكلمات : سادلة أي مدلية ومرسلة .  
المزاده أكبر من القرية . والمزادتان حمل بغير . أيهاه أيهاه بمعنى هيهات هيهات . أي البعد عن المطلوب واليأس منه .

لم نملكها من أمرها شيئاً : أي لم نخلها وشأنها حتى تملك أمرها .  
موتته : أي ذات أبتام . الراوية : الجمل الذي يحمل الماء .

مج في العزلاوين : المج زرق الماء بالغم . العزلاء : مثقب المزاذه الذي يفرغ منه الماء  
ويطلق على قمها الأعلى .

تنضرج : أي تنشق وتتمزق من شدة اضطراب الماء فيها . زيت وذيت بمعنى كيت  
وكيت .

الصُرْم : بكسر الصاد وسكون الراء أبيات مجتمعة .

١١٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

١١٤) صبوت وصبأت خرجت عن دينك .

١١٥) فتح الباري ج ٩ ص ١٤٩ - ١٥٠ . وقوله إن تقتلني تقتل ذا دم : أي صاحب  
دم ، لدمه موقع يشتفي قاتله بقتله ، ويدرك ثأره لرياسته وعظمته . ويحتمل أن يكون  
عليه دم مطلوب به فلا لوم عليك في قتله . ومعنى قوله : إن تنعم تنعم على شاكر : أي  
إن تفك اسري يكن موضع شكري .

١١٦) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وابن خزيمة وأبو عوان وابن حبان عن جابر  
بن عبد الله . الجامع الكبير ج ١ ص ٢٥٧ .

١١٧) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . صحيح مسلم بشرح  
النوي ص ٢٧ - ٤٠ ج ١٢ ، وسنن أبي داود ص ٥١ - ٥٢ ج ٣ .

١١٨) سنن أبي داود ص ٥٢ - ٥٣ ج ٣ .

١١٩) ( إن الملائكة أبوا علينا ) الملائكة : مهموز ومقصود : أشرف القوم وقيل الرجال  
ليس فيهم نساء ، وأبوا علينا : أي امتنعوا من اجابتنا للإسلام .

١٢٠) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ص ١٤٣٠ حديث ١٢٥ ج ٣ .

١٢١) صحيح مسلم ص ١٤٣٢ حديث ١٣٠ ج ٣ .

١٢٢) عقبة النبي صلى الله عليه وسلم : أي نوبته في المشي .

١٢٣) أخرجه الإمام أحمد والحديث صحيح . مسند الإمام أحمد حديث ٤٠٠٩ ص  
٤٤ ج ٦ .

(١٢٤) قوله من أسلم أي من بني اسلم القبيلة المشهورة . ويتنزلون : أي يترامون بالسهم ، وانتضل القوم وتناضلوا : أي رموا للسبق . وناضله إذا راماه .. ونضل فلان فلاناً إذا غلبه . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري مادة ( نضل ) .

(١٢٥) أخرجه البخاري وأحمد . فتح الباري ص ٤٣١ - ٤٣٢ ح ٦ ، ونيل الأوطار ص ٨٧ ح ٨ .

(١٢٦) انظر صحيح مسلم ص ١١٣٧ من الحديثين ١٨ و ٢٠ ح ٢ . والأورق الذي فيه سواد ليس بصاف والمراد بنزعه : رده . والعرق الأصل من النسب . أي لعله الأسود رجع إلى أحد أصوله .

(١٢٧) انظر مجمع الزوائد ص ١٢٩ ح ١ .

(١٢٨) أبو محنوره - بفتح الميم وسكون الحاء وضم الذال - قيل اسمه سمرة بن معين وقيل أوس . كان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلم عام الفتح ، وأقام بمكة إلى أن مات يؤذن بها للصلاة ، وكان حسن الصوت ، توفي سنة تسع وخمسين من الهجرة .

(١٢٩) كان هو وتسعة من أهل مكة . انظر سبل السلام ح ١ ص ١٢٠ . وكان فتى في مطلع شبابه حين سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١٣٠) أخرج عبد الرزاق أن أبا محنوره كان لا يجزُّ ناصيته ولا يفرقها لأن النبي صلى الله عليه وسلم مسح عليها .

(١٣١) أخرجه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة ، والفظللإمام أحمد . انظر تفسير ابن كثير ح ١ ص ٥٢٩ - ٥٣٠ وصحيح مسلم ص ٢٨٧ ح ١ حديث ٢٧٩ . ومثل هذه الأخبار كثيرة انظر محاضراتنا ( التربية الإسلامية أهدافها ورسالتها طرق تدريسها ) .

(١٣٢) الجولة : المرة من الجولان . أو الانكشاف والزوال عن الموقف .

(١٣٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ح ١ ص ١٤٧-١٤٩ .



(١٣٤) أرض : أكثر رضا .

(١٣٥) الحدق : جمع حدقة وهي حدقة العين ، والمراد احمرار العين من شدة القتال.

(١٣٦) الشفا حد ١ ص ١٥٠ .

(١٣٧) المرجع السابق .

(١٣٨) فزع أهل المدينة ذات ليلة إذ سمعوا صوتاً فخافوا أن يداهمهم عدوهم بفتة فينقض عليهم . وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم كان قد سبقهم إلى موضع الصوت فاستكشف الخبر فلم يجد ما يخاف منهم ، فرجع يسكنهم .

(١٣٩) قوله ولم تراعوا ، يقال لتسكين الروح تائيساً للمخاطب ورفقا به .

(١٤٠) القائل أنس رضي الله عنه .

(١٤١) فتح الباري حد ١٣ ص ١٦٥ وانظر الشفا حد ١ ص ١٥١ .

(١٤٢) المرجع السابق حد ١ ص ١٥١ .

(١٤٣) أخرجه مسلم . انظر قبسات من هدي النبوة ص ٥٠ .

(١٤٤) الشعراء بفتح الشين وسكون العين ذبابة لها إبرة ، ووردت الشعاريير وهي جمع شعراء . فحين أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث قام بها قومة سريعة فتفرقوا من حوله فارس مسرعين كما تتطاير الشعاريير عن ظهر البعير إذا انتفض بقوة . كناية عن اقدامه صلى الله عليه وسلم على خصمه بجرأة وعزيمة أوقعت الرعب في قلوب أعدائه .

(١٤٥) تدأداً : أي تدحرج وسقط ، أو تقلب عن فرسه وتدحرج عنه .

(١٤٦) قوله لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم كناية عن قوة طمئنته صلى الله عليه وسلم . وشرف جبل قرب مكة . انظر الشفا حد ١ ص ١٥١ - ١٥٢ .

(١٤٧) رواه مسلم وروى البخاري بعض قبسات من هدي النبوة ص ٤٩ .

(١٤٨) أي في الصفات الحميدة .

١٥٠) مختصر منهاج القاصدين ص ١٥١ - ١٥٣ . والمقصود من مكارم الأخلاق كما قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور ( حصولُ الدربة بالتدرج على ملاحظة الوصايا والادراكات بالفضائل ملاحظة مستمرة في كل الأعمال والأحوال والأكوان ، حتى يحصل في تلك الدرجة إلفُ بها ، وجفاء لأضدادها . بحيث إذا عرضت للمتخلق بها شهوةٌ وميلٌ إلى فعل أضدادها لم يطارعه إلفه القديم بتلك . وجفاؤه القديم أضدادها على إتيان تلك الأضداد . وعسر عليه إتيانها ، فترك شهوته العارضة بشهوته المتأصلة ، وذلك حكم المحبة ... فإذا بلغت الأمة إلى غاية حلبة مكارم الأخلاق علا جمهورها ، وسادت تلك المكارم في معظم تعاريفها زكت نفوسها ، وأثمرت غروسها، وزال موحشها ، وبدا ما يؤنسها ، فحينئذ يسود فيها الأمن ، وتنصرف عقولها إلى الأعمال النافعة ، وتسهل الإلفة بين جماعاتها ، فتكون عاقبة ذلك كله تعقلاً ، ورفاهيةً وانصافاً من الأنفس ، فينتظم المعاش ، ولم يُخَفُ تلاش ) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص ١٢٤ - ١٢٥ . وهذا ما فعله الإسلام في العرب وغيرهم حين تمثله ، والتزموا بكل ما جاء فيه حسنت أحوالهم ، واجتمعت كلمتهم ، واستقامت أمورهم ، وكان أمرهم كله خيراً ، وجهوا ركب الإنسانية إلى السعادة والخير ثمانية قرون أو يزيد . وما أصدق قول الشاعر :

إنما الأمم الأخلاقُ ما بقيت      فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
فبالأخلاق الفاضلة تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، ويتم استقراره النفسي وطمأنينته في كل جوانب الحياة . وقد اتفق علماء الأخلاق على أن الأخلاق تؤدي إلى السعادة .. انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ص ٥٦ وما بعدها .

(١٥١) دستور الأخلاق في القرآن ص ٢١ .

(١٥٢) الاسراء : ٢٣ و ٢٤ .

(١٥٣) الاسراء : ٢٧ . ثم يأتي قوله : بجانته وتعالى : • كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً • الاسراء : ٣٨ ترهيباً من الوقوع في شيء من ذميم الأخلاق .

(١٥٤) سورة لقمان : ١٣ .

(١٥٥) سورة لقمان : ١٩ .

(١٥٦) الحجرات : الآية ٢ و ٣ .

(١٥٧) الحجرات : ١١ .

(١٥٨ و ١٥٩) الحجرات : ١٢ و ١٣ وانظر محاضراتنا ( لمع من التفسير ) .

(١٦٠) متفق عليه واللفظ لمسلم . وأخرجه أحمد ومالك وأبو داود والترمذي وابن ماجة . صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٦٠ ح ١٦ ، وفتح الباري ص ١٢١ ح ١٢ ، موطأ مالك ح ٢ ص ٩٨٩ ، مسند أحمد ح ١ ص ٤٥-٤٦ تحقيق أحمد شاكر ، وتحفة الأحوزي ح ٦ ص ١٠٦ .

(١٦١) أخرجه الشيخان ، واللفظ لمسلم وأخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة ، وعند مالك عن ابن عمر : « إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث » . موطأ مالك ح ٢ ص ٩٨٨ . وانظر صحيح مسلم ح ٤ ص ١٧١٨ . وفتح الباري ص ٣٢٥ ح ١٢ ، وفيض القدير ح ١ ص ٤٣٠ و ٤٣٥ ، وتحفة الأحوزي ح ٨ ص ١١٥ . ونرى أيضاً أن حديث اثنین بلغة لا يعرفها الثالث يندرج تحت هذا الحديث كما لوتهامسا فيما بينهما بلفته .

(١٦٢) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي . صحيح مسلم بشرح النووي ح ١٦ ص ١٤١ ، وفيض القدير ح ٥ ص ٥٠٣ .

(١٦٣) أخرجه مسلم ، وكان لبني عبد القيس وفادتان على رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر فتح الباري ح ٩ ص ١٤٧

(١٦٤) أخرجه الترمذي جمع الفوائد ح ٢ ص ٥٥٤ حديث ٨٨٩٢ .

(١٦٥) أخرجه الطبراني في الكبير المرجع السابق ح ٢ ص ٥٥٩ .

(١٦٦) هذا المشهور على الأكسنة . ولفظه عن أنس رضي الله عنه « إن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » وعن حذيفة في حديث طويل ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا أبا عبيدة ، فلما قام قال صلى الله عليه وسلم : « هذا أمين هذه الأمة » أخرجه الشيخان والترمذي . جمع الفوائد ح ٢ ص ٥٢٩ وانظر ص ٥٢٨ منه .

(١٦٧) انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٥٠٠ - ٥٩٥ .

١٦٨) أخرجه أحمد والشيخان عن أبي هريرة . صحيح مسلم ص ١٩٦ ح ٤ ،  
ومسند أحمد ح ٢ ص ٣١٩ و ٤٤٩ .

١٦٩) أخرجه أبو يعلى وصححه الحاكم ، وأخرجه البزار وأبو نعيم والبيهقي  
والطبراني وحسن السيوطي . انظر بلوغ المرام من سبيل السلام ص ٢١١ حديث ١٦  
ح ٤ . وفيض القدير ص ٥٥٧ ح ٢ .

١٧٠) دستور الأخلاق في القرآن ص ٤٥ ، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن قول  
المؤلف ( أو عبادي ) لا يقصد به العبادات التوقيفية من صيام وحج وصلاة وزكاة ،  
إنما ماله طابع عبادي كالذكر مثلاً يرافقه غيره من وثب وقفز أو ضرب دف .. ونحو  
هذا لأن العبادات توقيفية . ولا اجتهاد فيها .

١٧١) النساء : ١١٥ .

١٧٢) سنن الترمذي ح ٣ ص ٢٠٧ ، وانظر كشف الخفا ح ٢ ص ٢٥٠ ومختصر  
المقاصد الحسنة ص ٢١٤ حديث ١١٧٩ .

١٧٣) كشف الخفا ح ٢ ص ١٨٨ .

١٧٤) دستور الأخلاق في القرآن ص ٥٠ .

١٧٥) الاسراء : ٢٤ .

١٧٦) الاسراء : ٣٢ .

١٧٧) أخرجه أصحاب الكتب الستة والامام أحمد واللفظ للبخاري . فتح الباري ص  
٤٦٤ و ٤٦٥ ح ٣ ، ومسند الإمام أحمد ص ٣٢٩ حديث ٧٦٩٨ ح ١٤ . والآية هي :  
٣٠ من سورة الروم .

١٧٨) انظر كتابنا الوجيز في علوم الحديث ص ٤٣٧ . وانظر دراسات في علم  
الأخلاق للاستاذ الدكتور محمود مزروعة ص ٢٧-٢٩ .

١٧٩) وسبيل الارتقاء بالنفس والالتزام بالأخلاق الحميدة تزكية النفس . يقول  
العلامة محمد الطاهر بن عاشور : « لا يكاد ينتظم أمر الاجتماع كمال انتظامه ، ولا  
ترى الأمة عقدها مأمونا من انفصامه ، ما لم تكن مكارم الأخلاق غالباً على جمهورها ،

وسائدة في معظم تصاريفها وأمورها ، لأن ملاك مكارم الأخلاق هو تزكية النفس الإنسانية ، أعني ارتياص العقل على ادراك الفضائل وتمييزها عن الرذائل الملتبسة بها ، وارتياضه أيضاً على ارادة التحلي بتلك الفضائل وعدم التفريط في شيء منها (..) . اصول النظام الأخلاقي من ١٢٣ - ١٢٤ .

(١٨٠) انظر دستور الأخلاق في القرآن الكريم ص ٦٨٦ - ٧٧٨ ، والأخلاق الاسلامية واسسها ص ١٦٥ وما بعدها .

(١٨١) انظر محاضرتنا الدين وأثره في حياة الإنسان ص ٤ .

(١٨٢) المائدة : ٣ .

(١٨٣) آل عمران : ١٩ .

(١٨٤) آل عمران : ٨٥ .

(١٨٥) الكهف : ١٠٤ . قال العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : ( فالاسلام يفضل ما سواه من الشرائع والدعايات بأنه أقام مبانيه على أساس جميع الفضائل الحقة دون الوهمية ... وبمبانيه الفاضلة وسرعة اعتلائها بالنفوس ، لما أنها حقائق تشهد بها الفطرة السليمة - أصلح العرب الذين كانت دعوتهم بينهم ابتداءً ، فهيأهم إلى المسير بدعوتهم في أنحاء العالم ... فأصبح العرب أمة سياسة وسلطان وتعمير في الأرض ، وغطى تخلقهم بأخلاق الاسلام على ما كان فيهم قبل الاسلام من المساوئ التي لم تخولهم - وما كانت لتخولهم - سياسة الأمم بله سيادتها ، فكان لهم بذلك التفوذ العظيم على الأمم أن صاروا زعماء الأمم التي أدخلوها في الاسلام من فرس وروم وبربر ، وأصبحوا إكليلاً للجامعة الاسلامية ، ودام لهم ذلك ما كانوا دائبين على اقامة تلك الأخلاق الاسلامية الخالصة ، فلما دب إليهم تحريف تلك الفضائل ، واقتنعوا من الاسلام بالصورة الظاهرة ، دب إليهم الإنسلاخ عن تلك الاهلية التي نالوها في الاسلام ... ) اصول النظام الاجتماعي في الاسلام ص ١٢٩-١٣٠ .

(١٨٦) الحجرات : ١٢ .

(١٨٧) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود ومالك من عدة طرق ، انظر قبسات من هدي النبوة ص ٥٨ والترغيب والترهيب ح ٣ ص ٥٠٣ حديث ٢ .

(١٨٨) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي . قبسات من هدي النبوة ص ١١٢ ،  
والترغيب والترهيب ح ٣ ص ٥١٥ . ومعنى ( بهته ) أي افتريت عليه وظلمته . ومنه  
البهتان الإعتداء والظلم .

(١٨٩) و (١٩٠) الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٥١٠ .

(١٩١) رواه أبو يعلى والحديث صحيح . الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٥٠٥ . والآية :  
٥٨ من سورة الأحزاب .

(١٩٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير ح ٣ ص ٦٧٥ . وقارن ب ٥٣٤ .

(١٩٣) رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه . قبسات من هدي  
النبوة ص ٥٦ وانظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٥١٤ حديث ٢٩ .

(١٩٤) انظر احياء علوم الدين ح ٢ ص ١٤٠-١٤٢ ، ومختصر منهاج القاصدين ص  
١٧١ .

(١٩٥) حال هذا كمن يرى القذى في عين غيره ولا يرى الخشبة في عينه . وورد عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » - واسناده  
حسن ، كشف الخفا ح ٢ ص ٤٦ . ولتتمثل قوله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من  
سلم المسلمون من لسانه ويده » . وليحفظ لسانه كما ينبغي لينال وعد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة » أخرجهما  
البخاري .

(١٩٦) رواه الإمام أحمد باسناد حسن وابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم ، الترغيب  
والترهيب ح ٣ ص ٥١٦ - ٥١٧ .

(١٩٧) انظر احياء علوم الدين ح ٣ ص ١٤٥ ، ومختصر منهاج القاصدين ص ١٧٢  
- ١٧٣ . ومما يسقط الغيبة الاستغفار ، والتحلل ممن اغتابه ، ذلك لأن المغتاب تعدى على  
حق الله وحق العبد ، وأما التعدي على حقه سبحانه وتعالى لأن المغتاب خالف أمر الله  
عز وجل ، فلا بد من أن يستغفر الله عز وجل ويتوب عما بدر منه نادماً عما فعل عازماً  
على ألا يعود إلى مثله ثانية . وأما تعديه على حق العبد فذكره إياه بما يكره ، فليتخذ  
اسلوباً مناسباً يتحلل فيه من أخيه بما لا يوغر صدره ، أو يستجر مفسدة . والله تعالى

(١٩٨ و ١٩٩) رواه أبو داود وابن حبان والترمذي وصححه ، قوله : ( تخلق الدين ) أي تضيع أدايه وتضيع ثواب المتخاصمين . الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٥٠٠ .

(٢٠٠ و ٢٠١) رواهما البخاري ومسلم وغيرهما الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٤٩٦ .

(٢٠٢ و ٢٠٣) المرجع السابق ح ٣ ص ٤٩٩ .

(٢٠٤) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود ، الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٦٠٣ وقبسات من هدي النبوة ص ١١٣ ، فهو كالمنافق يظهر لكل طائفة ما يرضيها ، فحاله كذب ونفاق . والمنافق من يظهر خلاف ما يبطن للناس عامة ، وأما هذا فيظهر ما يوافق كلا من الخصمين ، وفي هذا مدخل كبير للفساديين الناس ، والأصل أن تسعى لإصلاح ذات البين لا أن يحرش فهذه مداة محرمة ، ولو أنه وافق الطائفة على ما فيها من خير وذكر ما في الأخرى من صلاح لينمي بين الطائفتين الخير ، ويعتذر لكل طائفة عن تقصيرها ، لفعل خيراً لأنه يسعى لإصلاح ذات البين ، وشتان بين الحالين .

(٢٠٥) رواه الطبراني في معجمه الأوسط ، وأخرج نحوه أبو داود وابن حبان . الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٦٠٣ و ٦٠٤ .

(٢٠٦) أخرجه أبو داود ح ٢ ص ١٩٣ وانظر الشفا ح ١ ص ١٠٣ ، والوجيه نور القدر والمنزلة ، ووجهاء القوم رؤسهم وأعيانهم ونو المنازل الرفيعة فيهم .

(٢٠٧) انظر احياء علوم الدين ح ٣ ص ١٥٣ .

(٢٠٨) المرجع السابق ح ٣ ص ١٥٢ و ١٥٣ ، وانظر مختصر منهاج القاصدين ص ١٧٥ .

(٢٠٩) النساء : ٥٨ .

(٢١٠) الأنفال : ٢٧ .

(٢١١) المؤمنون : ٨ و ١ .

(٢١٢) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه . الترغيب والترهيب ص

٢٥ ح ٢ ، وفيض القدير ص ٥٢٥ ح ١ . والحديث صحيح .

(٢١٣) أخرجه الامام أحمد والبيهقي والطبراني في معجمه الأوسط وابن حبان في صحيحه . الترغيب والترهيب ح ٤ ص ١١ .

(٢١٤) أخرجه البخاري ومسلم . انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ١٠ .

(٢١٥) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب ، وانظر مختصر تفسير ابن كثير ح ٣ ص ١١٧ وما بعدها ، وفتح القدير ح ٤ ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٢١٦) وفي رواية الطبري ذكر من الأمانة ( الحديث ) .

(٢١٧) رواه أحمد والبيهقي موقوفاً ، واسناده جيد ، ورواه الطبري مرفوعاً انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥ ومختصر تفسير ابن كثير ح ٣ ص ١١٨ ، ومثل هذا الحديث لا يقال بالرأي فله حكم المرفوع (١٠) فتح القدير ح ٤ ص ٣٠٩ .

(٢١٨) نلاحظ أن الحديث السابق تناول في الأمانة حقين : حق الله عز وجل الواضح في ذكر الصلاة والوضوء ... وحقوق العباد البينة في ذكر الوزن والكيل .. مما له صلة بالعباد ، فلو أدخل عبد بحق من حقوق الله تعالى فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه .. وسبيله التوبة والاستغفار وتلافى ما قصر فيه من حق الله . وتقصير الإنسان فيما يتعلق بحقوق العباد فيه مخالفتان ، الأولى عدم طاعة الله عز وجل فيما أمره من وفاء الكيل والميزان والوفاء بالعهد فهذا يحتاج إلى توبة نصوح واستغفار ، ومخالفة ثانية تعلقت بالعبد نفسه مما لحقه من بخس وزن أو تقصير في حقه ، أو تفويت فرصة عمل لعدم الاهتمام بحفظ أوراق ... ونحو هذا ، ولا يرفع عنه إثم هذا إلا بتحلله من صاحبه ، أو إبراء ذمته برد ما بخسه من حق أو أنقص من وزن أو التعويض لما دس من عيب أو سبب من أعمال وعلى هذا فقس كثيراً مما يضيع من مسؤوليات : من حيز الاسرة بكل ما فيها إلى أوسع دوائر الحياة في المجتمع .

(٢١٩) كظاهرة عقوق الوالدين في بعض المجتمعات ، والاستعلاء والتكبر والأثرة وإقامة العلاقات بين الأفراد لمجرد المصالح فإن انقضت انقطعت تلك العلاقات بدلاً من أن تقام على حب الله ... الذي كان ينتظم الحياة الإسلامية في مختلف قطاعاتها وميادينها ، فتفسير أمور العباد بما يرضي الله عز وجل من عدل وعدم محاباة



واستقامة سلوك ، وصدق أخوة ، وحسن تناصح .. مما هيا لأمتنا أن تقود مركب  
الإنسانية ما لا يقل عن ستة قرون .

(٢٢٠) التوبة : ١٠٥ .



# الفصل الخامس نظام الحكم في الإسلام

للأستاذ الدكتور  
إبراهيم زيد الكيلاني



والتي تستمد فى الواقع من الجماعة وتخول للحاكم ممارستها لصالح الجماعة وبأمانة منها . (٢)

والدولة بهذا المفهوم تكون حيث تكون الجماعة السياسية قد وصلت الى درجة من التنظيم يجعل لها وجودا مستقلا عن أشخاص الحكام الذين يمارسون السلطة بتفويض من الأمة (٣) .

وقد اتسع المضمون السياسى فى العصور الحديثة فشمّل كل مايتعلّق بفلسفة الحكم وأهدافه فلم يعد النظام السياسى قاصرا على تنظيم الجهاز الحكومى داخل الدولة لتحقيق الأمن فى الداخل ، والحماية من العدوان الخارجى ، بل اتسع النظام الاجتماعى أيضا .

### الدولة فى الانظمة السياسية القديمة :

كان الدمج والاقتران واقعا بين شخص الحاكم وبين السلطة السياسية فى الامبراطورية الرومانية، والامبراطوريات الشرقية القديمة ، وعند الفراعنة فى مصر ، وكانت السلطة تدمج فى شخص الحاكم تبقى بيقائه ، وتنزل بزواله .

وكان احتفاظ الحاكم بالسلطة مرتبطا ارتباطا وثيقا بقوته وقدرته ، ثم ظهرت التفرقة والتمييز بين السلطة السياسية وشخص الحاكم فى القرن السادس عشر الميلادى فى بعض دول أوروبا ، وأصبح الاتجاه الى استمداد السلطة من الجماعة المحكومة نفسها . لامن الشخص الحاكم ، والى اعتبار هذه السلطة شخصية معنوية مستقلة لها صفة الدوام ، واعتبار الحاكم أداة لممارسة هذه السلطة المستمدة من الشعب ، وممثلا للدولة المتمتعة بشخصيتها المستقلة ، والتي يتوالى على ادارة شؤون أشخاص طبيعيين ممثلون لها (٤) .

### الدولة فى الفقه الاسلامى :

تميزت الشريعة الاسلامية ، بالتفرقة بين شخص الحاكم وبين السلطة السياسية ، وقد ظهرت هذه التفرقة فى بحوث الفقهاء المسلمين منذ أكثر من عشرة قرون .

وبهذا سبق الفقه الاسلامى النظريات السياسية الحديثة التى ميزت بين شخص الحاكم وبين السلطة السياسية .

## بسم الله الرحمن الرحيم نظام الحكم فى الاسلام

### تمهيد :

يحسن قبل الحديث عن مفهوم نظام الحكم فى الاسلام أن نمهد له بالتعريف بالدولة فى الاصطلاحين القانونى والفقهى لتعرف موقع نظام الحكم فى دولة الاسلام .

### تعريف الدولة فى القانون :

الدولة هى جماعة من الناس تقيم على وجه النوام فى اقليم معين ، وتقوم فيهم سلطة حاكمة تتولى تنظيم وتدير أمرهم فى الداخل والخارج (١)

١- الشعب : وهذا الركن هو الاول والأساس فى وجود الدولة، اذ لا يتصور وجود دولة بدون جماعة من الناس يتكون منهم المجتمع الذى تتكون منه الدولة .

٢- الاقليم . وهو ركن أساسى من أركان الدولة ، ولا يمكن لدولة أن تقوم بدون أن تكون لها رقعة من الأرض يقيم عليها سكان تلك الدولة ، فيتحقق لهم معنى الاستقرار وتستطيع الدولة أن تمارس عليها صلاحيتها وسلطانها .

٣- السلطة السياسية : ويعتبر هذا الركن الأساسى من أركان الدولة . اذ لا يمكن لدولة أن تقوم الا بعد أن تتكون فيها هيئة سياسية تمارس السلطة على الشعب الذى يسكن هذا الاقليم .

فى كل دولة توجد طبقة المحكومين ، وطبقة الحكام ، والسلطة التى تحقق النظام

والدارس لما كتبه علماء الاسلام من أهل السنة عن وظائف الامام وسلطته يجدهم قد  
وضحوا بجلاء أن الامام فى الاسلام يمارس سلطته نيابة عن الامة باختيارها ، والامة  
هى التى تقيم الحاكم وهى التى تعزله عند خروجه عن حكم الشرع ، وهى التى يرجع  
اليها الحاكم اذا مارغب فى التنحى عن الحكم .

ومن المناسب ذكر بعض النصوص و التى تبين هذا :

يقول الامام المارردى : " ان للامام ان يستعفى الامة من الأمانة " (٥)

ويقول الامام الكاسانى : الخليفة اذا مات أو خلع لانتعزل قضاته وولاته ، لأنهم  
لايعملون بولاية الخليفة ، بل بولاية المسلمين . وانما الخليفة بمنزلة الرسول - أى  
السفير ، عنهم ، ففعله بمنزلة فعل عامة المسلمين ، وينعزل كل منهم بعزل الخليفة له  
لأن العزل فى الحقيقة بعزل العامة " (٦) .

" وولايتهم - أى القضاة - بعد موت الخليفة باقية ، فيبقى الناس على ولايته وهذا  
بخلاف العزل فان الخليفة اذا عزل القاضى أو الوالى ينعزل بعزله ولاينعزل بموته لأنه  
لاينعزل بعزل الخليفة أيضا حقيقة بل بعزل العامة لأن توليته بتولية العامة ، والعامة  
ولوه الاستبدال (٧) .

والدارس لتاريخ الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة يجد أن رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - لم يقم الدولة الاسلامية الا بعد هجرته من مكة الى المدينة حيث تهيأ  
الأقليم أو الأرض والشعب الذى يقيم عليها والذى ارتضى بنظام الاسلام ، وأعطى نبيه  
صلى الله عليه وسلم ولامه ليقوم حكم الله ، ويدبر أمور الجماعة المسلمة من جميع  
نواحيها السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية وكان النبى - صلى الله عليه  
وسلم - الحاكم فى هذا النظام يستمد سلطته من النظام نفسه الذى يبين أن الطاعة  
للشرع ، وأن الرسول هو المبلغ عن الله ، الحاكم بما أراه الله ، فشخصية الرسول  
النبى الحاكم شىء ، والشرعية المبلغه شىء آخر فكان النظام الحاكم للدولة الاسلامية  
والمبادئ التى يجب أن تسير عليها الدولة الاسلامية أسبق وجودا من الدولة ، وكان  
النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مكة يطلب من العرب الاعانة والنصرة لاقامة دولة  
اسلامية وتنفيذ حكم الشرع .

والمتمثل فى مدح الله للأنصار بقوله :

”والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم “ (٨).

يجد أن سبق الانصار للدار والايمان كان يسبقهم الى الدار التى أقامت دولة الايمان والاسلام ولا يعقل أن يكون المدح بأن الانصار سكنوا ارض المدينة قبل المهاجرين ، لأن هذا أمر معروف ليس بموضوع مدح ، ولا يظهر سرّ عطف الايمان على الدار إلا باعتبارهم اتخذوا العقيدة موطناً لهم كما اتخذوا الدار التى أقاموا فيها دولة العقيدة موطناً لهم .

وبعد معرفتنا لأركان الدولة وهى : الشعب ، والاقليم ، والسلطة الحاكمة التى تتولى تنظيم شؤون الشعب وتدير أمرهم من خلال نظام سياسى .

ويمكن تعريفه : بأنه مجموعة القواعد والأجهزة المترابطة التى تنظم الحكم وطريقة ممارسة السلطة الحاكمة للحكم . غير مقتصر على تنظيم الجهاز الحكومى داخل الدولة

بعد هذا يحسن أن نوفى مفهوم نظام الحكم فى الاسلام وأدلة مشروعيته مزيداً من البيان .



## الشورى :

خاطب القرآن الكريم الأمة كلها باقامة شرعه كاملا ليحملها مسؤوليتها باقامة أحكام الله " فناداهما بوصف الانسانية تارة ، وبوصف الايمان تارة ، وخاطبها باطلاق تارة أخرى : " ياأيها الناس " ، ياأيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة ، افعلوا الخير ، اعدلوا (٦٤)

وحتى تقوم الأمة بمسؤولياتها فى اقامة شرع الله قدرا لاسلام أن يكون الحكم شورى بين الناس ، ليختاروا هم بأنفسهم الخليفة نائبا عنهم فى تنفيذ هذه المهمة التى استخلفهم الله فى الأرض للقيام بها وليستطيعوا أن يحاسبوا حكامهم ان قصرُوا ، وليعاونوهم ويقدموا لهم خبراتهم وما يحتاجونه من خدمات لاداء رسالتهم فى اقامة شرع الله ، ونشر دعوته ، ودفع الأخطار عن المجتمع الاسلامى وجلب الخير وأسباب القوة والتقدم له .

ولهذا كان للشورى مكانة عظيمة فى الاسلام يمكن تجليتها بما يلى : -

١- فى القرآن الكريم سورة كاملة اسمها سورة الشورى ، تحدثت عن صفات المؤمنين وأن حياتهم تقوم على الشورى ، وقرنها لأهميتها بأركان الاسلام وكريم أخلاقه قال تعالى : " والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقنهم ينفقون " (٦٥)

٢- وبهذا يتبين أن الشورى فى الاسلام فريضة لا تترك لرغبة أحد واختياره يدل على هذا قوله تعالى : " وشارهم فى الأمر " (٦٦) وهذا الأمر يقتضى الوجوب اذا لم يصرفه صارف الى الذب " (٦٧)

٣- واذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المزيد بالوحى مأمورا باستشارة أصحابه فالشورى فى حق غيره من الحكام والأمراء أوجب .

٤- ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أكثر الناس استشارة لأصحابه . عن ابي هريرة - رضى الله عنه - قال : " مارأيت أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٦٨)

٥- وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستشير أصحابه في السلم والحرب ، ويعدهم ليكونوا الرجال الأحرار الذين يشاركون في شؤون الحكم ويتحملون مسؤولياتهم بعد ذلك وقد شاركوا في صنع القرار . ففي غزوة أحد لما علم النبي - صلى الله عليه وسلم - بنزول قريش قريبا من جبل أحد استشار أصحابه أخرج اليهم أم يقامهم وهو متحصن بالمدينة فان دخلها الأعداء قاتلهم المسلمون على أفواه الأتفة ، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة وأكثرهم من الشباب وأشاروا عليه بالخروج ، وكان هؤلاء هم الأكثرية ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برأيهم ودخل بيته ولبس لأمته وخرج عليهم . (٦٩)

٦- وفي غزوة الخندق لما حاصر المشركون المدينة ، واشتد البلاء على المسلمين أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُخَذَّل عن المسلمين بتفريق كلمة المشركين ، فأرسل إلى قائد غطفان عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف ، وعرض عليهما ثلث ثمار المدينة حتى يرجعا بمن معهما عن المسلمين ، وكتبوا الكتاب على ذلك ، وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعضيه ويقره إلا بعد استشارة أصحابه ، فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ فقال : بل شيء أعصنه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما فقال سعد بن معاذ : " يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله ، وعبادة الأوثان لانعبد الله ، ولا نعرفه ، وهو يطعمون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة إلا قرى أو يبيعا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة والله لانعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أنت وذاك ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا " (٧٠)

" وهذه الحادثة تضع تقليدا دستوريا هاما وهو أن الحاكم يجب عليه ألا يستبد بأمر المسلمين ، وألا يقطع برأى في شأن هام . وألا يعقد معاهدة تلزم المسلمين بأى التزام دون مشورتهم ، وأخذ رأيهم " (٧١)

وفي غزوة بدر يشير الحباب بن المنذر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يغير الوضع الحربى للمسلمين فى بدر ، ويأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برأيه ويغير مكان المسلمين . (٧٢)

وبعد انتصار المسلمين فى بدر يستشير النبى - صلى الله عليه وسلم - أصحابه فى الأسرى ويأخذ برأى الأكثرية التى خالفها عمر ، ويقبل النبى الفداء ، وعندما نزلت الآيات تعاتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقبوله الفداء ، قال : لو نزل العذاب مانجا أحد منه إلا عمر بن الخطاب ، الذى كان يرى قتلهم وعدم مفاداتهم لكسر شوكة المشركين فى أول معركة لهم حاسمة مع المسلمين .

## ضمانات تحقيق الشورى لأهدافها فى المجتمع الاسلامى :-

حتى تحقق الشورى أهدافها لابد أن يتحقق لها نوعان من الضمانات أولهما :-

- ١- ضمانات خلقية فى تربية الأمة على المشاركة فى المصالح العامة ليقدم كل فرد نصيحته ، وببذل جهده فى المشاركة بالخير ، ودفع الأذى ، والارشاد الى ما هو الأنفع ، والأصلح ، وتربية الأمة على هذا الخلق يتم فى المؤسسات التربوية والسياسية ، من المجتمع الصغير ، فى البيت ، الى المدرسة الى المجتمع الكبير ، حتى لا يكون الفرد منعزلاً عن قضايا المجتمع ، وحتى لا يعيش لهوموه الصغيرة ، وينسى هموم أمته ، وأمالها ، لا يعتبر نفسه أهلاً للمشاركة فيها ، وقوام هذا الخلق التجرد عن الهوى وإثارة المصلحة العامة ، وإخلاص النصيح للمسلمين ، والتزهد عن العصبية والأهواء الشخصية .
- ٢- ضمانات قانونية بكفالة الحريات ، وحتى يتمكن كل فرد من تقديم نصحه وإبداء رايه ، وحتى يتمكن أصحاب الرأى والاختصاص والخبرات من إبداء أرائهم فى الامور الاقتصادية والعسكرية والصناعية وما ترسمه الحكومة من قوانين وأنظمة وماتبديه من اقتراحات ، لابد أن يشعر كل مواطن بحصانه تامة وهو يبدى رأيه ، ويحاسب ، وينتقد والضمانات الخلقية والقانونية فى المجتمع الاسلامى تتعاون وتتآزر ، لأنها تجرد الآراء من الهوى ، والمصالح الشخصية ، وتربطها بالصلاة ، والزكاة ، واجتناب الفواحش .

فهى شورى تقصد الى تحقيق ما تهدف اليه الصلاة والزكاة من تطهير للمجتمع الاسلامى من أسباب الضعف والخلل والمعاصى والمنكرات ، وتزكياته بأسباب قوته واستقامته على دين الله ، وممارسة الشورى كالقيام بالصلاة والزكاة . فهى عبادة عظيمة سداها النصيح للمسلمين ، وإقامة دين الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

## كيفية الشورى :

ان الاسلام حين أقر مبدأ الشورى فى ميدان الحكم وألزم به ، ومنع الاستبداد

والتصرف الفردى وحرمة ، ترك للمسلمين تحديد طريقته وأسلوبه توسعه عليهم ومراعاة لاختلاف الأحوال والأزمان فلم تبين النصوص القرآنية كيفية الشورى ، ولم يتحدث العلماء عن طريقة معينة ، ذلك أن ما يصلح لأمة فى زمن معين ، قد لا يصلح فى زمن آخر ، وما يناسب قوما قد لا يناسب آخرين ، وتستطيع الأمة أن تنظم طريقة الشورى محققة مقاصد الاسلام بمنع الاستبداد واشراك الأمة فى شؤون الحكم والمجتمع \* (٧٣)

وبهذا يتم تقييد الحاكم بقيدين : الشريعة ، والشورى ، أى بحكم الله ثم رأى الأمة. (٧٤)

والمتدبر لقوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم ، يجد أن كلمة " أمر " التي وردت في النص تشير الى كافة الأمور ذات الطابع العام ، ومنها بطبيعة الحال الأسلوب الذى تشكل به الحكومة الاسلامية ، يضاف الى ذلك أن الآية " وأمرهم شورى بينهم " لا ترسي فقط قاعدة الشورى كأساس لكل مظاهر الحياة السياسية ، بل تعتبر الشورى جزء لا يتجزأ من انجاز الحكم نفسه \* (٧٥)

### أهل الشورى :

وأهل الشورى هم جمهور المسلمين اذ من الواضح أن لفظ " بينهم " فى قوله تعالى : " وأمرهم شورى بينهم " يشير الى المجتمع كية . (٧٦)

وعلى هذا فان مجلس الشورى لابد أن يكون ممثلاً لأفراد المجتمع الاسلامى جميعهم فى حدود شروط الأهلية المنصوص عليها فى الكتاب والسنة ووضحها علماء فقهاء الاسلام وأعضاء مجلس الشورى الذين تختارهم الأمة المسلمة المتحلية بأخلاق الاسلام ومقاييسه فى الحكم على الرجال ، فى ظل الحرية الكاملة لابد أن يكونوا من أهل رأى السديد ، والنظر البعيد المعروفين بتقواهم وخشيتهم لله وغيرتهم على دينه ، وشجاعتهم فى ابداء الرأى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يمنع انتخاب مجلس للشورى ان يجعل الخليفة لنفسه مستشارين فى الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية ينتفع بأرائهم وخبراتهم . فيتم التكامل والتعاون فى ترجيح الرأى السديد ووضع الخطط الحكيمة لتحقيق مصالح الأمة وأسباب قوتها وعزتها وتقدمها .

( أما تصرف الخليفة أو ولى الأمر للمسلمين بعد انتخابه وبيعته ، فهو مفوض اليه أن

يتصرف بما يراه مصلحة الأمة وحفظا للدين ، ودفاعا عن الحوزة ، وله ان يستشير ويستعين بمن يختارهم من قضاة وأمرأء وقواد عندما يعرض له ما لا يتضح له وجه الحق فيه ) (٧٧)

### تطبيقات الشورى :

لما كان اتفاق جميع الأمة على حاكم ، أو مجلس للشورى عسيرا في الغالب ، تعين أن يكتفى باتفاق جمهور الأمة ورضاها .

وكان الذى يعبر عن اختيار الأمة ورضاها فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين هم هؤلاء الذين اشتهروا حول النبى - صلى الله عليه وسلم - بقوة ايمانهم وبصدقهم وجهادهم وأمانتهم وسداد رأيهم .

فكان حول النبى الكريم شيوخ المهاجرين والأنصار من أصحاب السابقة فى الاسلام والجهاد والنصرة حائزين على رضا النبى الكريم وتقدير الأمة .

وكان رؤساء القبائل ، والعرفاء الذين يمثلون قبائلهم بمقتضى العرف الاجتماعى السائد فى ذلك العصر ممن يرجع اليهم النبى الكريم فى معرفة رأى الناس فى الأمور التى يطلب النبى - صلى الله عليه وسلم - استشارتهم بها .

ففى صحيح البخارى قال رسول الله صلى الله عليه : " انا لاندري من أذن منكم فى ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم ، فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا " (٧٨)

وكذلك كان الخلفاء الراشدون يستشيرون كبار الصحابة المشهود لهم بالسابقة بالايمان والجهاد والعلم والرأى السديد .

كما يرجعون الى رؤساء القبائل وأهل العلم والفلاح والرأى الذين عرفوا بالمصطلح الاسلامى بأهل الحل والعقد ، وعرفت ثقة الأمة بهم بشهرتهم فى جميع الأمة بالامانة وسداد الرأى والنصح بحيث يمثل الجمهور لما يعتقدونه من تسيير شؤونهم ومصالحهم وكانت فى ذلك العصر هذه الطريقة الميسرة لمعرفة معشى الأمة من أهل الرأى والشورى لأن وسائل الاتصال والتفاهم والمراجعة بين أفراد الأمة كانت متعسرة أشد

المسر لتباعد أقطارها وبطء الاتصال البريدي وصعوبته . (٧٩)

أما فى عصرنا هذا ، وقد تيسرت وسائل الاتصال والتفاهم والاعلام فان قيام الامة المسلمة بواجبها فى اختيار ممثليها وقيام علماء الامة ورجال الفكر بواجبهم فى التوعية والتوجيه والتثقيف ، وحصول التفاعل بين الشعب وقادة المفكرين من أصحاب الراى جدير بأن يحقق الأمل المرجو فى اختيار ممثلين للشعب متحلين بصفات أهل الحل والعقد من أمانة ونصح وسداد راى .

## هوامش الفصل الخامس / ص ١٩٢

- ١- محمد كامل ليلة ، النظم السياسية ، ص ٢١ .
- ٢- محمد فاروق النبهان ، نظام الحكم فى الاسلام ، ص ٢٠ - ٢٢ .
- ٣- محمد سلام مذكور ، معالم الدولة الاسلامية ص ٥٧ .
- ٤- د . ثروت بدوى ، النظم السياسية ص ٨٦ .
- د . طعيمة الجرف ، نظرية الدولة والاسس العامة للتنظيم السياسى ص ٥٢ .
- د . فؤاد العطار ، النظم السياسية والقانون الدستورى ، ص ١٤٣ .
- ٥- المازدى ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الاحكام السلطانية ، ص ١٩ - ٢٤ دار الكتب العلمية
- ٦- الكاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني ، بدائع الصنائع ، باب القضاء ص ١٦
- ٧- المرجع السابق ، ص ١٦
- ٨- الحشر / ٩ .

- ٦٤- محمود شلتوت ، من توجيهات الاسلام ٥٢٩ .
- ٦٥- الشورى / ٣٧ ، ٣٨ .
- ٦٦- آل عمران / ١٥٩ .
- ٦٧- الفخر الرازى ، التفسير الكبير ٦٧/٩ .
- ٦٨- الترمذى ج/٤/٢١٤ كتاب الجهاد ، السنن الكبرى للبيهقى ١٠/١٠٩ .
- ٦٩- السيرة النبوية لابن هشام ٥/٦٢ ، وزاد المعاد ٩١/٢ .
- ٧٠- ابن كثير ، السيرة النبوية ٣/٢٠١-٢٠٢ وابن هشام السيرة النبوية ٢/٢٢٣ .

- ٧١- محمود شلتوت ، من توجيهات الاسلام / ٥٣٠
- ٧٢- ابن كثير ، السيرة النبوية ٤٠٢/٢ .
- ٧٣- محمد المبارك ، نظام الاسلام ، الحكم والدولة ص ٣٤ و٣٥ ، محمد فاروق النبهان نظام الحكم في الاسلام ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
- ٧٤- المرجع السابق ص ٣٦ .
- ٧٥- محمد أسد ، منهاج الاسلام في الحكم ص ٨٨ ، ٨٩ .
- ٧٦- المرجع السابق / ٨٩ .
- ٧٧- محمد الطاهر بن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الاسلام ص ٢١٥ .
- ٧٨- صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٩/٩ .



التَّحْصِيلُ السَّادِسُ  
النِّظَامُ الإِقْتِسَادِي فِي الْإِسْلَامِ

لِلأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ  
إِبْرَاهِيمَ زَيْدِ الْكِيلَانِي



## ملكية المال فى الاقتصاد الإسلامى

١- ملكية المال هي محور النشاط الاقتصادى في كل مجتمع ، ولذلك جاء الإسلام بشريعته العادلة لينظم ملكية المال ، ووسائل كسبه ، وأساليب تنميته واستثماره ، كما نظم شؤون المجتمع كلها علي أساس من تعاليمه الخلقية المتصلة بعقيدة المسلم ، وتشريعه الملزم ، وقوة دولته القائمة بحراسة الدين وسياسة الدنيا .

وقد عرف الفقهاء الملكية تعريفات مختلفة . ويمكن القول بأن الملكية هي : اختصاص الانسان بشئ يخوله شرعا الانتفاع والتصرف به ، وحده ابتداءً الأ لمانع . (١١٠)

ومن الأحكام الشرعية المعروفة أن الإسلام أقر للأفراد بحق الملكية الفردية . قال تعالى : " أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون " (١١١)

وقال تعالى : " وسيجنبها الأتقى الذى يؤتي ماله يتزكى " (١١٢)

٢- والنصوص الشرعية الدالة على اقرار مبدأ حق الملكية الفردية لاتفرق بين مال ومال فهي شاملة للتعد والثروة الحيوانية والزراعية والعقار ، وماهو وسيلة انتاج أو وسيلة استهلاك الأ ماحرمت الشريعة تملكه على المسلم كالخمر ولحم الخنزير .

٣- وقد نشأ عن اقرار الإسلام لمبدأ حق الملكية الفردية التزام على الكافة باحترامه وعدم الاعتداء عليه . قال تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " (١١٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " (١١٤)

وفى الحديث الشريف : " لا يحل مال امرئ مسلم الأ بطيب من نفسه " .

وقد قرر الإسلام العقوبات الزاجرة حماية لأموال الناس كعقوبة السرقة ، وقطع الطريق وخيانة الأمانة وغيرها .

سياسة الإسلام لحق التملك :

ولكن الإسلام وقد أقر الملكية الفردية ، لم يجعلها ملكية مطلقة من كل قيد ، بل قيدها

بقيود فرضها صاحب الملك الأصلي وهو الله رب العالمين الذي استخلفنا في هذا المال لنرعى فيه حق النفس ، ومصلحة الجماعة ، بلا ظلم وعدوان ، ليخلص الملكية الفردية من الصفيان الذي يعود على المجتمع كله بالضرر ، وليكون ملك المال في يد أصحابه حقا ذا وظيفة اجتماعية .

وتظهر لنا سياسة الاسلام لحق الملكية في المجتمع الاسلامي من خلال النقاط التالية :-

١- أسباب الملكية الفردية .

٢- قيودها .

٣- واجباتها .

٤- أنواعها .

٥- تدخل الدولة واقامة التوازن بين الفرد والجماعة .

أسباب الملكية الفردية :

يقصد بأسباب الملكية الطرق التي بواسطتها تتحقق :

١- العمل ، البدني أو الذهني ، ويدخل فيه العمل الإداري وغيره اذا كان مشروعاً .

٢- العقود ، ومنها عقود المعاوضات كالبيع والإجارة ، وعقود لامعاوضة فيها كالهبة والعارية .

٣- الزكاة والصدقات والكفارات والنذور .

٤- الخلفيّة وهي : الوسائل التي يخلف من خلالها الانسان غيره دون بذل جهد من عمل أو تجارة ، وهي الميراث والوصية .

٥- ملك المباحات بأن يملك مالم يسبق اليه كأعشاب البراري والحطب ، وأسماك البحار، وذلك بشروطه .

٦- الوقف وهو الانتفاع بالعين المحبوسة علي ملك الله تعالى .

٧- اقطاع الحاكم بعض الأموال العامة كالأرض والعقار اذا كان في ذلك مصلحة المسلمين .

### قيود الملكية الفردية :

لم يترك الاسلام حق الملكية الفردية حقا مطلقا بلا قيد ، ذلك أن اطلاقه من القيوديعني تجمع رؤوس الأموال وثروة الأمة بأيد قليلة ستحكم في حياة الناس ومصالحها كما حصل في النظام الرأسمالي وكذلك فان الغاء حق التملك الفردي ظلم كبير يتنافى مع فطرة الانسان وغيرة التملك التي جبله الله عليه ، ويفقد المجتمع النوافع الفطرية التي تبعث في الناس روح العمل والانتاج ، فكان الاسلام منهجا وسطا في اقرار حق التملك الفردي ، وفي تقييده بقيود تجعله حقا ذا وظيفة اجتماعية فتخلص من سيئات النظامين الرأسمالي والاشتراكي ، فالملكية الفردية حق فردي ، روعيت فيه مصلحة الجماعة وحفظ للانسان كرامته وحريته في أن يمتلك ، وحفظ للمجتمع مصلحته حتى لاتطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة ، ولاتسحق الجماعة أو الحزب الأفراد وتحرمهم من حقوقهم الفطرية المشروعة .

وكان من هذه القيود :

١- تحريم الربا والاحتكار وهما دعامتا النظام الرأسمالي اللتان تؤديان الى تجمع الثروة بأيد قليلة في المجتمع ، تتحكم في مشاريعه الاقتصادية ومصالحة العامة وتتحكم بسياسته لأن الضيقة التي تملك هي التي تحكم وتحكم لمصلحتها ضد بقية الطبقات (١١٥) .

٢- أن يكون احرار الملكية بطريق مشروع وقد حرم الاسلام الوسائل غير المشروعة مثل الاتجار بالخمور والمحرمات والزنا ، كما حرم التملك عن طريق الرشوة والقمار ، واليانصيب واستغلال الوظيفة أو النفوذ في عقد العطاءات باسم الدولة وأخذ السمسرة عليها .

٣- حسن التصرف بالملكية :

ان الاسلام وقد اقر للانسان حق التملك أعلمه بأن الله الذي استخلفه في هذا المال يأمره بأن يتصرف به بالطرق التي تنفع صاحبها وتنفع المجتمع ، فاذا اساء المالك التصرف في ملكيته منع الحاكم هذا الاذى عن الجماعة وحجر على السفية المبذر ،

لقله تعالى : " ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما " (١١٦) . ومن مظاهر سوء التصرف بالملكية اكتناز المال ومنع تداوله في المجتمع وحرمان الناس من الانتفاع به ، ومن مظاهر سوء التصرف بالمال أيضا اهمال الاراضي الزراعية وتعطيلها عن نفع المجتمع .

ولهذا أقر الاسلام مبدأ استعادة الاراضي التي كانت مواتا فأحتجزها المسلم ليستقلها فاهملها ثلاث سنين ولم يستصلحها . (١١٧)

٤- المحافظة على المصلحة العامة وعدم الحاق الاذى بها ، ويشترط في التصرف بالملكية الفردية مراعاة المصلحة العامة وعدم الحاق الضرر والاذى بالمسلمين والقاعدة الشرعية تقول " لا ضرر ولا ضرار " ونص هذا الحديث ينفي الضرر نفيًا تاما فيفيد وجوب منعه مطلقا ، ويفيد أيضا دفعه قبل الوقوع وأخذ اسباب الوقاية منه ، ورفع بعد الوقوع بما يمكن من التدابير التي تزيله وتمنع تكراره (١١٨) . فلا يجوز التجارة بالاسلحة في زمن الفتنة لالحاق الضرر بالمسلمين ، ولا يجوز بيع السلاح للأعداء طمعا في الربح ، ولا يجوز للتجار أن يجمعوا أقوات الناس في زمن الشدة ليرفعوا اسعارها ، ولا يجوز لتجار الاسهم والاوراق المالية أن يعرضوا اقتصاد البلد للخطر عن طريق الصفقات الوهمية ، أو التدخل لرفع الاسعار وتخفيضها ليسيطر بعض أصحاب الاموال على السرق المالي ويتحكموا به .

### واجبات الملكية الفردية :

حمل الاسلام صاحب المال واجبات متعددة في ماله لقله تعالى : " والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم " (١١٩)

والواجبات التي أوجبها الاسلام علي من يملك المال هي (١٢٠) :

١- الانفاق على من تجب نفقتهم عليه كالزوجة والوالدين والاولاد العاجزين عن الكسب والاقارب المحتاجين .

٢- الزكاة وهي فريضة فرضها الله في مال الاغنياء لمن يستحقونها ومن بينهم الفقراء .

ومن خصائص الزكاة وأسسها (١٢١) :

أ- أنها فريضة اجبارية الزامية تجمعها الدولة تمييزا لها عن صدقة التطوع والاحسان .

ب - تؤخذ من رأس المال الفائض عن حاجة الانسان بعد بلوغه النصاب ماعدا الزرع فان زكاته تؤخذ من غلته لا من رأس ماله ، والزكاة ذات أنصبة عادلة لاتنظم الفنى ، ولاتضيع حق الفقير .

ج - فريضة سنوية ، اذ يشترط مرور سنة على الاشياء التي تجب فيها الزكاة كالنقد والمواشى والتجارة . اما الزرع والثمار فيشترط حصول النضج فيها .

د- واجبة في جميع الاموال من حيث المبدأ باستثناء الاشياء المستهلكة كالطعام واللبس والحاجات كثاث المنزل ودر السكن وانوات الحرف والمهن .

٣- حقوق سوى الزكاة :

اذا لم تف الزكاة فان حقوقا سواها تكون واجبة في المال . التزاما بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : "ان في المال حقا سوى الزكاة" (١٢٢) . ولم يحدد الحديث هذه الحقوق بل ترك بابها مفتوحا ، توقعنا للطوارئ وسدا للحاجات العارضة ، كالحروب والمجاعات والكوارث ، وسنزيد هذه النقطة بيانا في حديثنا عن التكافل الاجتماعى .

## بسم الله الرحمن الرحيم التكافل الاجتماعي في الاسلام

ماأقامت أمة مجتمعا علي أسس قوية من التعاون والتكافل والتراحم والعدل  
الآتماسكت حياتها وتمكنت أسباب عزتها ، وماأملت أمة شؤون مجتمعا وأسباب  
وحدته وتماسكه وتعاونه الاً تمكنت منها اسباب الفوضى والقطيعة ، ثم عاجلها الله  
بالحلاك والذل .

ولحكمة شاعها الله تعالى أن يكون الناس مختلفين في المواهب والقدرات ، متفاوتين  
في الغني والفقر ليدرو دولاب المجتمع ، فينتفع الناس بعضهم من بعض ، ويعيش  
بعضهم من بعض ، يعمل له ويستمد رزقه من رزقه . قال تعالى :

” ررفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعض سخريا “ (١٢٣)

ونظرا لاختلاف الناس في المواهب ، والقدرات ، والحاجات ، فلايد أن يكون في  
المجتمع أغنياء وفقراء . واذا ماتمكن خلق الشح في قلوب الناس ، ولم يوجد النظام  
العادل فسلكون العاقبة أن تحل الفوضى والفتن في المجتمع ، وأن تنفجر الأحقاد  
والعداوات في صدور الفقراء على أرباب الأموال .

الاسلام طريق الانقاذ :

جاء الاسلام من أول يوم يعلن مبادئه في الدعوة الى الوحدةانية ومجر الأصنام والى  
انقاذ الفئات المستضعفة في المجتمع من ظلم الأقوياء وقسوتهم ، وفي أول سورة نزلت  
على قلب النبي الكريم ، نزل قوله تعالى : ” كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان  
الى ربك الرجعى “ (١٢٤)

وتواتل السور المكية تذكر بحق الفقير واليتيم والمسكين كما تذكر بتوحيد الله بالعبادة  
وترك عبادة الاصنام قال تعالى : ” أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى لايدع اليتيم  
ولايحض على طعام المسكين “ (١٢٥)



وقال تعالى : " كلا بل لا تكرمون اليقيم ولا تحاضرون على طعام المسكين " (١٢٦)

وربط بين الايمان بالله والتواصى بالصبر والمرحمة ، وبين فك الرقاب واطعام اليقيم والمسكين ، " فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذى مسغبة ، يتيمًا ذا مقربة أو مسكينًا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة " (١٢٧)

وحارب فيهم خلق الشح الذى يمنع من التراحم والبذل ومساعدة الضعيف " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " (١٢٨)

" ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض " (١٢٩)

" واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماهم ويستحلوا محارمهم "

" ولعلك لاتجد أنصرح ولا أقوى من هذا التعبير في تصوير الخطر الاجتماعى الذى ينبعث من الشح بحق الفقير والمصالح العامة للأمة ، والشح من أكبر الآفات التى تضر بالمجتمع الانسانى ، وتقضى على حياة الأمم وصلاح العمران ، فهو يمنع التراحم والتعاون ، ويفرس الحقد ، ويولد ثورة النفوس ، ويرمى بالمجتمعات فى الهوة السحيقة " (١٣٠)

أقام الاسلام مجتمعه على رابطة الأخوة فى العقيدة ومانتفضيه من تراحم وتعاطف وتناصر ، واعتبر المجتمع وحدة متماسكة يصوره حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا أشتكى منه عضو ندأى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر " (١٣١)

وشعار المجتمع الاسلامى قوله تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعنوان " (١٣٢)

وأحاديث النبى الكريم : " والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (١٣٣) ، " والله لا يؤمن من بات شعبان وجاره جانع الى جنبه وهو يعلم " (١٣٤) ، " أيما أهل عرصه أصبح فيهم امرؤ جانعا فقد برئت منهم ذمة الله تعالى " (١٣٥) ، : ابغوني فى

ضعفانكم انما تبصرون وترزقون بضعفانكم \* (١٣٦) .

وقد أقام الاسلام مجتمعه على العدل والاحسان ، فأعطى كل انسان حقه بحسب عمله ، فاذا لم يكفه موده أردف الاسلام العدل بأساس هو التكافل الذي يقتضيه مبدأ الاحسان ، والاحسان في التعبير الاسلامي غير قاصر على الصدقات التطوعية ، وانما يشمل ما يطلبه الاسلام من ابناؤه غير الفريضة لتحقيق اهداف الاسلام ، لازالة كل ما يشوه الحياة الاسلامية من فقر وحاجة ، ولتجميلها بكمالات الاسلام ومبادئه .

ويمكن أن نجمل قواعد التكافل الاجتماعي في الاسلام بما يلي: (١٣٧)

١- التكافل في نطاق الأسرة .

٢- التكافل في نطاق المجتمع والدولة .

التكافل في نطاق الأسرة :

ويشمل هذا التكافل وجوب نفقة الرجل على زوجته وبناته وأبنائه القاصرين ، ويشمل ثانيا النفقة الواجبة بسبب القرابة \* فأوجب الاسلام علي الغني في الأسرة نفقة الفقير العاجز في نظام محكم دقيق ، وقد قال تعالى في باب انفاق الأقارب بعضهم علي بعض : " ليس علي الأعمي حرج ، ولا علي الأعرج حرج ، ولا علي المريض حرج ، ولا علي أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ، أو بيوت آبائكم ، أو بيوت أمهاتكم ، أو بيوت أخوانكم ، أو بيوت أخواتكم ، أو بيوت أعمامكم ، أو بيوت عماتكم ، أو بيوت أخوالكم ، أو بيوت خالاتكم ، أو مملكتكم مفاتحه ، أو صديقكم ، ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ، فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون " . (١٣٨)

يقول الشيخ محمد أبو زهرة .. " فهذا النص يستفاد منه أن الفقير العاجز لعمي أو عرج ، أو مرض ، أو فقر ، لا يجد معه عملا يعمل ، له أن يأكل من عند أقاربه المحارم ، ولعل هذا ما اعتمد عليه المذهب الحنفي في اعتباره أن النفقة الواجبة بين الأقارب ذوى الرحم المحرم ، قد وسع الامام أحمد أكثر من ذلك ، فجعلها علي كل وارث ، فمن يرث الفقير العاجز اذا مات عن مال عليه نفقته اذا عجز ، وقد ثبت ذلك بقوله تعالى في نفقة الولد علي ابيه وأجرة الرضاعة والحضانة . قال تعالى :

” وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس إلا وسعها لاتضار والدة  
بولدها ولامولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ” (١٣٩)

وان مذهب أحمد بن حنبل هو أوسع المذاهب لمن تجب النفقة له من الأقارب الفقراء  
العاجزين والآية وضحت بأنه يجوز الأكل من الصديق وكل من يرتبط بالمؤمن برباط  
الايمان فهو صديق بحكم الخضوع للديان ، وبحكم رابطة الاسم ، كما قال النبي صلى  
الله عليه وسلم : ” المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ” . (١٤٠)

والآية الكريمة في سورة النور أيضا تبين لنا معنى للتكافل أوسع من باب النفقة التي  
قد تفرضها الدولة للقریب الفقير على القریب الغني ، انها تمثل اتساع مفهوم الأسرة  
في الاسلام لتشمل الأقارب المحارم ، وتصور تكافلهم وتراحمهم ، ورفع الحرج عن  
المعوقين كالمريض والأعمى والأعرج ، أن يشاركوا اخوانهم الطعام في بيوتهم والاسلام  
بهذا التكافل الأسرى يخدم هدفين :

١- أولاهما : أواصر المودة والتراحم بين الأقارب ، وإحياء صلات الأرحام وامتدادها  
الفطرى بين الأسر والعشائر في المجتمع لتزداد لبنات المجتمع قوة وتآزرا .

ثانيها : تخفيف العبء عن المجتمع والدولة بحسن الاستفادة من هذا التنظيم  
الطبيعى الممتد بين الأسر في المجتمع بسبب رابطة الزواج والمصاهرة ، والقرية ، وقد  
نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أثر هذا التنظيم الخير علي اقتصاد الأمة  
وتعاونها فقال : ” ان الله ليعمر بالقوم الديار ويشمر لهم الأموال بصلتهم  
أرحامهم ” (١٤١)

” من سره أن يبسط الله له في رزقه وينسأ فى أثره فليصل رحمه ” (١٤٢)

فالتكافل والتراحم حين يسرى بين أفراد الأمة يستنزل عليها رحمة الله ، حين تنتشر  
في المجتمع روح المحبة والبذل والعطاء ، وماتفضي اليه من عمل وتعاون .

وقد سلك الاسلام لتنفيذ هذه الأحكام الشرعية مسلكين :-

الأول : رقابة الله تعالى وخشيته ، وفى القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة  
تأمر بصلة الأرحام وتحذر من قطعها ، وهذا يعنى تحقيق التكافل في نطاق الأسرة

وعلى أوسع نطاق ، وفي مفهوم شامل لا يقتصر على النفقة ، بل يتعداه الى التكافل الأخلاقي الذي يرى فيه القريب نصرة أقاربه عند كل شدة تنزل به ، رحمة ، ونصرة بالمعروف ، يحون عن قلبه أحزان المصائب ، وآلام المرض ، كما يجدهم في السراء تتسع فرحته بمشاركتهم ، ويظهر هذا التكافل الأسرى من ناحية أخرى بمسؤولية أدبية ومعنوية تتحمل فيها العاقلة من العشيرة تعويضات الدية عن ابنها الذي قتل انساناً خطأ .

كما يظهر هذا التكافل بمسؤولية أدبية تقوم فيها العشيرة بأرشاد الضال ، وتذكير الغافل ، وتقويم من انحرف ، لأن سمعة العشيرة الطيبة ، مسؤولية جميع أفرادها ، وقد نبه القرآن الكريم ولاية الأمور في المجتمع الاسلامي الى احياء هذه الروابط الأسرية وتوجيهها لخدمة أهداف الاسلام في تحقيق قوة المجتمع ، ورخائه وأمنه ، قال تعالى : " فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فانصمهم وأعمى أبصارهم " . (١٤٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا يارسول الله ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : ... أن تمنعه عن ظلمه " (١٤٤)

وفي الحديث : " الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطع الله " (١٤٥) .

والأمر بصلة الأرحام الذي يتميز بها المجتمع الاسلامي الصالح ، هو التعبير الإيماني الفطري عن تكافل هذا المجتمع وتعاونه أدبيا وخلقيا واقتصاديا لاستئصال رحمه الله تعالى ، ولتوسع معاني الأسرة في المجتمع ، حتى يصبح المجتمع كله أشبه بأسرة واحدة في تراحمه وتكافله وتعاونه .

### الاسلام يحرم العصبية الجاهلية :

واذا رعي الاسلام رابطة صلة الأرحام لتؤدي هذه الثمرات المباركة في المجتمع ، فإنه في الوقت نفسه ، قد طهر هذه الرابطة من العصبية الجاهلية القائمة على نصرة القريب بالباطل ، وإثارة أسباب النزاع والبغضاء في المجتمع ، فرابطة العقيدة والدين أقوى رابطته ، وحب الله ورسوله أعظم من حب النفس والأهل والعشيرة ، فإذا اعتدى القريب ، وظلم ، كان قريبه أولى الناس بجزره والصد عن ظلمه والرسول صلى الله

عليه وسلم يقول : ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية ،  
وليس منا من قاتل على عصبية ، ذروها فانها منتنة (١٤٦) .

ومن المناسب أن أذكر هنا أن نظام التكافل الأسرى الفطرى الذى اقامه الاسلام  
مكن المجتمع الاسلامي من مقاومة الغزو الأجنبى عندما ضعفت الدولة العباسية في  
آخر عصورها ، وتقطعت البلاد الى امارات ، وتعرضت بلاد المسلمين لغزو التتار من  
الشرق ولغزو الصليبيين من الغرب ، وعجزت الدولة عن القيام بالخدمات الضرورية لبناء  
المجتمع وبقائه ، وشغلت بالقتال ، فقام المسلمون في ظل التكافل الاجتماعى الذى  
يقيم الاسلام بين الأسر والجماعات الى القيام بحقوق الفقراء والضعفاء في المجتمع ،  
والقيام بالخدمات اللازمة لبقاء المجتمع واستمراره .

وفي ظل التكافل هذا يواجه أهلنا في فلسطين المحتلة مخططات التهويد التي  
تستهدف القضاء على شخصيتهم ومقاومتهم .

#### التكافل فى نطاق المجتمع والدولة :

مسئولية الدولة الاسلامية عن كفالة المحتاجين من أفرادها ، سواء اكانوا مسلمين أم  
غير مسلمين تشهد لها الآيات القرآنية والحديث النبوى ، والواقع التاريخي في عهد  
النبي الكريم وخلفائه الراشدين .

فالنبي صلى الله عليه وسلم وهو رأس الدولة الاسلامية يعلن ويقول : " أبغوني في  
ضعفانكم ، انما تنصرون وترزقون بضعفانكم " . (١٤٧) ء

" والانفاق على الفقراء واجب على الدولة بأجماع العلماء ، لقول صلى الله عليه وسلم  
: " من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك عيالا فألتي وعلي " . (١٤٨)

وماكانت هذه الحاديث النبوية إلا ثمرة للتوجيهات القرآنية التي قرنت الايمان برعاية  
الفقراء والمحتاجين وقرنت الكفر والتكذيب بالدين ، بأعمالهم ، قال تعالى : " أرأيت  
الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولايحض على طعام المسكين " (١٤٩)  
ماسلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين " (١٥٠) " وأت ذا  
القريبى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا " (١٥١)

وفي الحديثين المرويين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

١- أن الاشعريين - قبيلة من اليمن - كانوا اذا أجدبوا أو أرملوا - أى افتقروا وأصابهم الجذب والقحط - جمعوا ما عندهم من زاد واقتسموه بينهم بالسوية ، فهم مني ، وأنا منهم .<sup>(١٥٢)</sup>

٢- وفيما رواه الترمذى عن فاطمة بنت قيس قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الزكاة فقال : " ان في المال حقا سوى الزكاة " (١٥٣) ثم تلا قوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب والنبیین ، وأتى المال على حبه نوى القريبى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وأتى الزكاة .. " (١٥٤)

واستشهاد النبي الكريم بالاية من ناحية عطف الزكاة على ماورد فيها من ايتاء المال للأصناف المذكورة .. مما يدل على أن الزكاة غير ماذكر .. والتعبير بايتاء المال على حبه ، فيه اشارة الى أن الباذلين يقدمونه من باب الايثار على أنفسهم ، وهم محتاجون اليه ، وهذا هو التكافل الذى نهى اليه حديث النبي الكريم : " من كان له فضل ظهر ( أى دابة ) فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له ، الى أن عدد من أصناف المال ماعدد ، قال ابو سعيد راوى الحديث - حتى رأينا - أنه لاحق لأحدنا في فضل " (١٥٥)

### فئات التكافل الاجتماعي : (١٥٦)

الدارس للكتاب والسنة والتطبيق التاريخي للحضارة الاسلامية يجد أن الدولة الاسلامية كانت تلتزم بالرعاية للفئات التالية :

الفقراء ، المرضى ، العميان ، المعوقين ، العجزة ، المشردين ، اللقطاء ، اليتامى ، الأسرى .

وقد لخص الدكتور مصطفى السباعي سياسة الاسلام في رعاية هذه الأصناف تحت العناوين التالية :

### ١- قانون التكافل الفردى ، ويشمل :

١- المدين الذى لزمته الديون بسبب التجارة ، أو بعض الخدمات الاجتماعية فان ديونه تسدد من بيت مال المسلمين وهو داخل في قوله تعالى : " والغارمين "

٢ - القاتل خطأً فإن عاقلته وهم أقاربه من عصبتة أو أهل ديوانه أو أهل نقابته ، هم الذين يتحملون الدية .

٣- المنقطع في بلد غير بلده ، ويسمى " ابن السبيل " فيعان حتي يصل الى بلده ، ولو كان فيها غنيا .

٤- قانون الضيافة ، وهي سنة ، وعند بعض العلماء واجبة لليلة واحدة باكرام زائد ، ثم لثلاثة أيام بالحالة المعتادة ، وقد كانت الضيافة في العصور الماضية ضرورة اجتماعية وخاصة في القرى والصحارى تأمينا لهذا الحق الاجتماعي وهو الاكل والمبيت للمسافرين لقوله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام ، وما بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له أن يثوى عنده ( يقيم ) حتى يخرجه " (١٥٧)

٥ - قانون الماعون ، والماعون كل ماينتفع به من شؤون البيت وغيره ، ويستعييره الناس فيما بينهم ، قال تعالى : " فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤنون ويمنعون الماعون " (١٥٨)

٦- قانون الأعفاف قال تعالى : " وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وامانكم " (١٥٩)

وقد قرر الفقهاء أن الزواج واجب على من كان في حاجة اليه ، ويخاف على نفسه الوقوع في الحرام ، ثم ان كان فقيرا لايجد نفقات الزواج وجب علي قريبه الموسر تزويجه - وهذا هو رأى جمهور العلماء .(١٦٠)

٧- قانون الاسعاف ، فاذا جاع انسان او عطش ، أو مرض ، بحيث يشرف على الهلاك على من يعلم بحاله أن يبادر الى انقاذه ، قال صلى الله عليه وسلم : " ماأمن بي من بات شبعان وجاره الى جانبه طار (جائع ) وقال : أى رجل مات ضياعا بين أغنياء ، فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله " (١٦١) قال العلماء : وكذا اذا رأى لقيطا أشرف على الهلاك أو أعمى كاد أن يتردى فى البئر ، وصار هذا كإنجاء الفريق "

ويستفاد من هذه الاحكام مسؤولية الدولة الاسلامية عن وضع نظام الضمان الاجتماعي للتأمينات الصحية وتأمينات العجز عن العمل ، حتى لايهلك أفراد في المجتمع ، والناس عنهم غافلون .

ويمثل هذا الضمان ، يشارك كل مواطن في المجتمع بدفع اشتراكه لسد حاجات الضعفاء في المجتمع وسد نفقات العلاج ، أو الطعام والشراب ، ودفع أسباب الهلاك عنهم .

#### ٨- قانون الطوارئ :

إذا أصبح العدو يهدد سلامة البلاد ، ولم يكن في خزينة الدولة ما يكفي للانفاق على الجيش ورد الخطر عن البلاد ، وجب أن تأخذ الدولة من أموال الناس بقدر ما يدفع به الخطر ، وقد أفتى بذلك العلماء ، (١٦٢) وقد وقع في التاريخ الاسلامي تنفيذ هذا القانون أكثر من مرة في مواجهة غزو التتار لبلاد الشام ، وتمرد الصليبيين .

وكذلك الحكم في الكوارث العامة كالفيضانات ، والزلازل والمجاعة ، وأمثالها فان من واجب الدولة أن تسعف المنكوبين لا بالخيام والدقيق فحسب بل بتمكينهم من الحياة الكريمة التي يستعيدون فيها عافيتهم وقدرتهم على العمل والانتاج .

ومن المناسب أن نذكر هنا أن الدول العربية والاسلامية في مجال التكافل الاجتماعي تعتبر كدولة واحدة مسنولة عن أي قطر يتعرض لأسباب الهلاك في اقتصاده أو من أعداء دينه وجماعته . ولما كان المجاعة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل الى ولاية الامصار ليمسوه بالطعام والأموال ، فأمدوه ووزع الطعام على الناس سواء ، ذلك أن الأمة الاسلامية أمة واحدة والمؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد ، كما بين القرآن العظيم والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

#### ٩- قانون التعويض العائلي :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه فيء قسمه من يومه ، فأعطى الأهل حظين ، وأعطى العزب حظاً واحداً ، فهذا هو مبدأ التعويض للزوجة (١٦٣) وكان عمر يفرض لكل مولود عطاء يزيد الى عطاء أبيه ( مائة درهم ) وكلما نما الولد زاد العطاء وسار على هذه السنة عثمان وعلي وبقية الخلفاء (١٦٤)

وهكذا قرر الاسلام مبدأ التعويض العائلي علي قدر حاجة الرجل وما يلزمه من نفقات .

#### موارد التكافل الاجتماعي :

ان ماتقوم به الدولة من واجبات التكافل الاجتماعي لابد لها من موارد مالية وقد



حددها الاسلام فى نصوصه الاصلية ، وجعل فى خزانة الدولة التى تسمى فى الاسلام - بيت المال - حق الفقير فى كل باب من أبواب موازنتها ، وبيوت المال فى الاسلام أربعة لكل بيت مصارفه وهى :

- ١- بيت مال الزكاة .
- ٢- بيت مال الغنائم .
- ٣- بيت مال الجزية والخراج .
- ٤- بيت مال الضوائع .

وللفقير حق فى كل باب من هذه الابواب ، وفى بعضها له الحق الكامل، وليس لأحد فيه حق سواه . (١٦٥)

١- فبيت مال الزكاة للفقير المحتاج فيه الشطر الاكبر ، فينفق منه على الفقير والمسكين ، ومن انقطع عن ماله وهو فى حاجة الى الايواء والاطعام ، وتسد منه ديون المدنيين الذين عجزوا عن سداد ديونهم ، ولم تكن هذه الديون قد استدينت فى شر ولا اسراف ، وينفق منه كذلك على مطالب الجهاد .

٢- وبيت مال الغنائم ، يصرف منه على متطلبات الجهاد والجند وينفق منه على الفقراء واليتامى والمساكين ، قال تعالى : " واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسها وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير" (١٦٦)

٣- وبيت مال الجزية (١٦٧) ، والخراج (١٦٨) ينفق منه على مرافق العمران ، وعلى الفقراء وخصوصا فقراء أهل الامة ، فان على الدولة أن تخصص لفقرائهم مايسد حاجاتهم ويدفع عوزهم . (١٦٩)

٤- بيت مال الضوائع ، وهو بيت المال الذى يؤول اليه كل مالايعرف له مالك ، ذلك أن المال الذى تثبت عليه الملكية لاتزول عنه ، فاذا مات المالك من غير وارث كان المال لجماعة المسلمين وكذلك كل مالايعرف له مالك يكون مملوكا لبيت المال ، ولايعود مباحا ، وأن هذا القسم من بيوت المال كله للفقراء ، ليس فيه شركة لأحد سواهم ، فممن تقوم الدولة بتقديم الخدمات العلاجية لهم وتدفع الدية فى قتل الخطأ ممن وجبت بسببه منهم ، وتقدم لهم المساعدات لتأمين الطعام والكساء وغيرها من الحاجات.

هذه موارد نظام التكافل الاجتماعي بالاجمال ويحسن أن نفصل بعض الشيء في الزكاة .

### الزكاة والتكافل الاجتماعي :

يحسن في البداية توضيح بعض المصطلحات المعاصرة التي تستعمل للتعبير عن التكافل الذي يتم في المجتمع لكفاية حاجة الفقراء والمصابين، فإذا كان التكافل الاجتماعي شاملا بمعنىا لكل من صور التعاون التي تتم في المجتمع لتقديم العون اللازم لكل محتاج . إلا أن العلماء قد خصصوا في دلالة هذه المصطلحات لتمييز صور التعاون هذه بعضها عن بعض على النحو التالي : (١٧٠)

١- التكافل الاجتماعي : وهو التزام الأفراد بعضهم نحو بعض ، \* ويتمثل فيما يسميه رجال الفقه الاسلامي بحق القرابة ، وحق الماعون ، وحق الضيافة ، وحق الصدقة ، الذي فصلنا الحديث فيه سابقا .

٢- الضمان الاجتماعي : وهو التزام الدولة نحو مواطنيها بكفالة حد الكفاية لا حد الكفاف للمحتاجين في حالات المرض ، والعجز ، اذا لم يكن لهم مورد كاف .

وتطبيق مبدأ الضمان الاجتماعي هو تطبيق مبدأ الزكاة كما وضحها القرآن الكريم والسنة النبوية . (١٧١)

٣- التأمين الاجتماعي ، وتولاه الدولة ، والمؤسسات الخاصة ، وهو يتطلب مساهمة المستفيد باشتراكات يؤديها وتمنح له مزايا التأمين الاجتماعي أيا كان نوعها متى توافرت فيه شروط استحقاقها بغض النظر عن دخله ، وقد أفتى بجوازه بعض العلماء عملا بمبدأ المصلحة المرسلة . (١٧٢)

ومن المناسب أن أذكر هنا أن كثيرا من الدول المعاصرة تطبق نظام الضمان الاجتماعي شاملا لكلا العاملين في المؤسسات العامة والخاصة وأساس هذا النظام اشتراك الزامي تدفعه المؤسسة عن العامل فيها ليستفيد من الضمان حين العجز أو بعد الوفاة . وبهذا يتبين أن الاسلام هو دين التكافل الاجتماعي من حيث التزام الأفراد ، ودين الضمان الاجتماعي من حيث التزام الدولة .

## الزكاة والضمان الاجتماعي :

«لعل من أهم ما جاء به الإسلام في المجال الإقتصادي، مبدأ الضمان الاجتماعي، بمعنى ضمان الحد اللائق لمعيشة كل فرد مما عبر عنه رجال الفقه الاسلامي باصطلاح حد الكفاية "MINIMUM DUSIFISANCE" تمييزاً له عن حد الكفاف "M. VITAL" الذي هو الحد الأدنى للمعيشة» (١٧٣).

ويقضي هذا المبدأ توفير المستوى اللائق للمعيشة للفرد عن طريق العمل المناسب ، فإذا عجز عن ذلك لمرض أو شيخوخة فإن نفقته تكون واجبة في بيت مال المسلمين .

### الزكاة هي مؤسسة الضمان الاجتماعي في الاسلام :

ولم يكتف الاسلام بمجرد الدعوة وإنما وضع التشريع وأقام النظام العادل الذي ينقل هذه الدعوة الى مجال التطبيق والتنفيذ . فشرع الاسلام الزكاة فردية لازمة ، ونقلها من حيز الصدقة الفردية والاحسان التطوعي الى أن تكون فريضة الزامية اجتماعية وقد جاء الامر بها مقرونة بالصلاة في نحو من ثلاثين موضعاً في القرآن الكريم ، وأوجبها في الأموال النقدية وفي عروض التجارة وفي الزرع والثمار أى في كل مال نام أو قابل للنماء اذا بلغ نصاباً .

ومن أعظم أهداف نظام الزكاة في الاسلام ضمان مستوى لائق لمعيشة كل فرد في المجتمع الاسلامي الذي سمّاه الفقهاء " حد الكفاية " أو " حد الغنى " وقد وضع هذا المبدأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : " اذا أعطيتم فأغنوا " (١٧٤) ويقول الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه " ان الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقرائهم " (١٧٥)

ويقول الامام الماوردي في كتابه " الاحكام السلطانية " : " فيدفع الى الفقير والمسكين من الزكاة ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة الى أدنى مراتب الغنى " (١٧٦) ويقول : " تقدير العطاء معتبر بالكفاية " ويقول الامام السرخسي في كتابه المبسوط : " وعلى الامام أن يتقي الله في صرف الأموال الى المصارف ، فلا يدع فقيراً الا أعطاه من الصدقات - أى الزكاة - حتى يغنيه وعياله ، وان احتاج بعض المسلمين وليس في بيت المال من الصدقات شيء أعطى الامام ما يحتاجون اليه من بيت المال " (١٧٧)

وتوضيح كلام السرخسي ، أن بيت مال الزكاة إذا نفذ ، أمر الإمام بإعطاء المحتاجين من الموارد الأخرى كالغنائم والفيء والضرائع ... ذلك أن الاسلام قد وضع من البداية أن مشكلة الفقر في المجتمع لن يحلها الاحسان الفردي ، فعالجها علاجاً جذرياً بوضع التشريع الملزم لحل هذه المشكلة وقيام المجتمع والدولة بتأمين حاجات الفقراء ، بالإضافة الى سياسته الحكيمة التي شرعها للانتاج والتنمية وأعتبر العمل والزراعة والتجارة والصناعة من أعظم العبادات التي يتقرب بها المرء الى ربه ، وأعتبر الحرف والصناعات التي يحتاجها المجتمع من فروض الكفايات .

ذلك أن الاسلام الذي اعتبر المسلمين كالجسد الواحد اخواناً متراحمين ، تأبى عقيدته أن يكون هناك قوم من المسلمين يتضورون جوعاً ، فلا بأس للانسان بالفنى بعد ازالة أسباب الفقر والحاجة ، عملاً بالحديث النبوي الشريف " ليس المؤمن من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم " (١٧٨) وقوله صلى الله عليه وسلم : أيما أهل عرصة - أي حي أو جماعة - أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله " (١٧٩)

وعملاً بالحديث النبوي " لا بأس بالفنى من اتقى " (١٨٠)

وقد وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه سياسة الاسلام الحكيمة بقوله : " اني حريص على ألا أدع حاجة إلا أسدتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجزنا تأسيساً في عيشنا ، حتى نستوى في الكفاف " وقوله " ما من أحد إلا وله في هذا المال حق : الرجل وحاجته . والرجل وبلاده - يعني بحسب جهده وعمله " (١٨١)

المال الذي تجب فيه الزكاة :

يسمى علماء الاقتصاد المال الذي تجب فيه الضرائب وعامها . ولنا أن نستعير هذه التسمية منهم فنسمى المال الذي تجب فيه الزكاة وعاء الزكاة . (١٨٢) والأموال التي ثبتت فيها الزكاة بالسنة النبوية هي :

١- الأنعام وتشمل الأبل والبقر والغنم .

٢- عروض التجارة وهي كل ما يعد للبيع والشراء بقصد الربح .

٣- النقدين ، وهما الذهب ( المثلقال أو الدينار ) والفضة ( الدرهم ) .

٤- الزئدوع والثمار ، وهو ناتج أو دخل الأراضى الزراعية .

٥- الركاى وهو كل ما فى باطن الأرض من معادن سواء كان مركزاً أى مدفوناً فى باطن الأرض بأصل الخلقة ، أو كان كنزاً دفنها القدماء فى الأرض ، وبعبارة أخرى " أموال الزكاة نوعان " (١٨٣) أحدهما ما هو نماء فى نفسه كالحبوب والثمار فهذه تجب الزكاة فىها لوجوده .

والثانى : ما يرصد للنماء كالنقود وعروض التجارة والماشية وهذه لا تجب الزكاة فىها حتى يحول علىه الحال أى سنة قمرية ، ولا تجب الزكاة فى الأموال التى تستخدم فى الحاجات الشخصية كالقوت المدخر للطعام ، والملابس الشخصية والدار الخاصة بالسكن والسيارة الخاصة وما شابهها . (١٨٤)

أموال مستحدثة لم يرد بها نص :

وقد وجدت فى زمننا هذا أموال نتيجة اختراع الآلة الصناعية والتقدم العلمى وما طرأ من تغيير على الحياة الاجتماعية والاقتصادية منها :

١- المصانع - كمصانع السفن والطائرات والسيارات .

٢- الأوراق المالية وهى الأسهم التى تمثل رساميل الشركات المساهمة، كشركات الاسمنت والحديد والادوية وكمصفاة البترول وغيرها .

٣- الثروة المعدنية كالمناجم والبترول ، والثروة البحرية كالأسماك واللؤلؤ .

٤- العقارات المستغلة كالمباني والفنادق والمطاعم .

وقد بحث العلماء فى المؤتمرات الفقهية زكاة هذه الأموال المستجدة وبينوا أنه لما كانت العلة فى فريضة الزكاة فى الأموال هى نماؤها بالفعل كالزراع ، أو نماؤها بالقوة ، أى بالتمكن من النماء كالنقود ، وعروض التجارة ، فإن هذه الأموال من المصانع والعقارات والأسهم ، هى أموال نامية بالفعل أو بالقوة .

بقوله " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها " (١٨٥) " وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " . (١٨٦) فلم يفرق بين مال ومال .

وإذا كانت أدوات الصناعة الأولية ودور السكن وما شابهها لم تفرض فىها الزكاة فى

الازمان السابقة لأنها غير نامية باعتبارها من الحاجات الشخصية المعدة للاستعمال ، فان تطور الآلة الصناعية والحياة الاجتماعية والاقتصادية التي جعلت الناس يشغلون أموالهم وينمونونها بالعقارات المعدة للإيجار وبالأوراق المالية في أسهم الشركات والصناعات هي التي جعلت بعض الفقهاء المعاصرين يبنون حكم الله في زكاة هذه الأموال المستجدة قياسا علي ماورد به النص ، ويلحقونها بفريضة الزكاة.

وقد فصل القول فيه هؤلاء العلماء فقاوسوا زكاة المصانع والعقارات مثلا على زكاة الارض الزراعية باعتبارها مالا ثابتا ناميا . (١٨٧)

### نصاب الزكاة :

وهو حد الاعفاء ، فالذى يونه عفو لايتحقق به يسار ولا تجب فيه زكاة ، فمن ملك النصاب أى قدرا معينا من المال حدده الشارع زائدا عن الحاجة فانه تجب عليه الزكاة ، ومن لم يملك هذا النصاب يعفي من الزكاة ، ويستحقها بقدر مايفي حاجته وكفايته .

وقد ورد في السنة أن نصاب الزكاة مازاد عن خمس من الابل ، أو ثلاثين من البقر ، أو أربعين من الغنم أو عشرين متقالا ذهبيا تزن (٨٥) جراما من الذهب ، أو مائتي درهم من الفضة أو خمسة أوسق (٦٥٠ كغم ) من الحبوب والثمار والحاصلات الزراعية .

وكانت قيمة هذه الانصبه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متساوية ومؤدى ذلك أن نصاب الزكاة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ماكان يكفي معيشة أسرة كاملة لسنة كاملة . والحكمة في اشتراط النصاب على الوجه المتقدم هي أن الزكاة فريضة تؤخذ من الغني لصالح الفقير والمشاركة في مصلحة الاسلام والمسلمين ولامعني أن تؤخذ من شخص مشغول بحاجاته الأصلية أو في حاجة لأن يعان لا أن يعين \* (١٨٨)

\* ومن الجدير بالذكر أن تحديد النصاب بالمعنى المتقدم يكون بعد مراعاة أمور ثلاثة هي :

١- نفقات تحصيل المال من أجور وضرائب ونفقات وصيانة ، ونفقات الأرض الزراعية من أسمدة وغيرها .

٢- اعتبار حد الكفاية أى القدر اللائق لمعيشة الفرد ومن يعولهم ، اذ الاجماع أنه يشترط فى النصاب أن يكون فاضلا عن الحاجات الاصلية . أى حد الكفاية . ذلك أن المشغول بالحاجة الاصلية كالمعسر ، ولا تكون الزكاة إلا عن ظهر غني ، وبهذا الشرط سبق الاسلام بقرون عديدة أحدث ماوصل اليه الفكر الضريبي الحديث من اعفاء الحد الأدنى لمعيشة الفرد ومن يعولهم من الضريبة وان فاقه بأن تناول الاعفاء المستوى اللائق لمعيشة الفرد ومن يعولهم ( وليس الحد الأدنى فحسب ) مما عبر عنه الفقهاء القدماء باصطلاح حد الكفاية أو حد الغنى تمييزا له عن حد الكفاف \* (١٨٩)

٣- شرط الحول ولا بد لتحقيق الزكاة من حولان الحول لأنه مظنة النماء فلا يتيسر لأصحاب الاموال الوقوف على حقيقة أرباحهم إلا في نهاية الحول وتحقيق النماء باعتباره الواقعة المنشئة للزكاة .

أما بالنسبة للدخول الأخرى ، كالزروع ، وإيجار العقارات المستغلة والاسهم ... الخ والتي يتحدد فيها المركز المالي للمكلف عند تحصيلها باعتبار أن هذه الاموال نماء في نفسه متكامل عند اخراج الزكاة ، فإنه لا يشترط فيها الحول (١٩٠) وتستحق الزكاة بالنسبة للزروع عند جنيه وحصاده ، وبالنسبة لما يقاس عليها من عقارات وآلات عند جني أرباحها وقبضها .

### مصارف الزكاة :

مصارف الزكاة هم الأصناف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة : \* انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقات والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم \* (١٩١) . وفيما يلي تفصيلهم :

#### ١و٢ الفقراء والمساكين :

وهم الذين يحتاجون الى الكفاية لا الكفاف ، فيعطون من الزكاة بالقدر الذى يصل بهم الى حد الكفاية ، وقد فرّق العلماء بين الفقراء والمساكين واعتبروا المساكين : الفقراء الذين يسألون تمييزا لهم عن الفقراء المتعففين ، وهم على العموم أسوأ حالا من الفقراء (١٩٢) وقد نقل الدكتور الفنجري عن كتب الحنابلة مايلى : \* الفقراء والمساكين ثلاثة أنواع : نوع يستطيع أن يعمل ويكسب بحيث يكفى نفسه ولكن ينقصه أدوات الصنعة ، أو رأس مال التجارة . أو الأرض وآلات الحرث والسقي كالصانع والتاجر

والزراع ، فأمثال هؤلاء يعطون من الزكاة ، بقدر ما يمكنهم من اكتساب كفاية العمر وعدم الاحتياج الى الزكاة مرة أخرى ، وذلك بشراء ما يلزمه لمزاولة حرفته .

نوع ثان يستطيع أن يعمل ويكفي حاجته ، ولكنه متفرغ للعبادة ، فلا يعطي من الزكاة بخلاف الفقير المتفرغ للعلم اذا تعذر عليه الجمع بين الكسب وطلب العلم ، فإنه يعطي من الزكاة بقدر ما يعينه على أداء مهمته لأن طلبه للعلم فرض كفاية تعود فائدته على مجموع الأمة .

ونوع أخير عاجز عن الكسب كالمريض المقعد ، والشيخ الهرم والأبلة ، والطفل اليتيم ونحوهم فهذا يعطي من الزكاة راتباً دورياً يكفي حاجاته الأصلية حتي يزول سبب العجز .

### ٣- العاملين عليها :

وهم الذين يقومون بجبايتها ، وحفظها ، وتدوينها ، ونحو ذلك ، أو بلغة العصر هم الموظفون الذين يشكون الجهاز الإداري لمؤسسة الزكاة على اختلاف رتبهم وأعمالهم من جباة وكتاب ومحاسبين ومسؤولين وغيرهم .

### ٤- المؤلفة قلوبهم :

وهم الذين يراد كسبهم نحو الاسلام ، أو درء مخاطرهم ، أو كسب نصرتهم ، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين ، سهم المؤلفة قلوبهم بلغة العصر ما تدفعه الدولة من النفقات الخاصة لكسب الأنصار ودرء الأخطار ، ويمكن أن يعتبر هذا المصروف في الدولة الاسلامية مخصصه الدولة للدعوة الاسلامية وتكاليف القلوب عليها ، وكسب الأنصار لها .

### ٥- وفي الرقاب :

وهو القدر من ميزانية الدولة المخصص لتحرير العبيد ، وفداء الأسرى ومحاربة مختلف صور الاستعباد في العصر الحديث. (١٩٣)

ومن مزايا الشريعة الاسلامية أنها شرعت التحرير ولم تشرع الرق ، لأن الرق كان موجوداً قبل الاسلام ، ولم يكن من حكمة التشريع ان يلغيه الاسلام مرة واحدة ، فيعرض المجتمع لانقلاب مفاجئ في حياته الاقتصادية والاجتماعية قد تحدث شروداً



أسوأ من الرق ، فبدأ الاسلام بخطة حكيمة للتحرير والقضاء على الرقيق بالتدريج . بدأت بتجفيف ينابيعه ، وفتح الأبواب لتحريره . وإزالة الظلم الواقع عليه وخصص لتصفيته والغائه جزءا من ميزانية الدولة وهو سهم في الرقاب .

ومن الملاحظ أن آية الزكاة غايرت بين الفئات الأربعة الأولى المذكورين في الآية وهم الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وبين الفئات الأربعة الأخرى ، فقالت في الاصناف الأولى :

” إنما الصدقات للفقراء والمساكين ... فجعلت الزكاة ” لهم ” . وقال في الفئات الأربعة الأخرى ” وفي الرقاب والعاملين ” ، فجعلت ” فيهم ” وهذا للدلالة على أن الأولين يملكون ما يصرف لهم .. أما الآخرون فلا تصرف إلا في المصالح التي تتعلق بالتحرير ورفع العنت ونصرة الاسلام .

### الفارمين :

وهم الذين استغرقتهم الديون لسد حاجاتهم الضرورية أو لكساد تجارتهم أو مصانهم لسبب قاهر ، أو بسبب كوارث ومصائب أودت بأموالهم ، أو لتحملهم نفقات مالية بسبب قيامهم ببعض المصالح العامة كأصلاح ذات البين .

فهؤلاء وأولئك يعطون من الزكاة بقدر ما يقضي ديونهم ، ويعيد إليهم قدرتهم على الاستمرار في عملهم والمشاركة في عملية الانتاج بقوة وثقة .

### القرض الحسن :

وقد ذهب بعض العلماء المعاصرين منهم الشيخ محمد أبو زهرة ، وعبد الوهاب خلاف إلى أن القياس الصحيح والمقاصد العامة للإسلام من الزكاة تجيز أقراض المحتاجين الفارمين على أن ينظم ذلك وينشأ له صندوق خاص ، وبذلك تساهم الزكاة مساهمة عملية في تيسير القرض الحسن والقضاء على الفوائد الربوية (١٩٤)

هذا ومن مزايا الاسلام أنه شرع القرض الحسن ، وبين الثواب العظيم الذي ينتظر من فرج كربة مكروب وهم مدين ، ويسر على معسر ، وأن الله يفرج عنه من كرب يوم القيامة . وفي ظل هذه المعاني الكريمة عاش المسلمون معاني أخوتهم تراحمًا وتعاطفًا ، وكانوا كالأُسرة الواحدة تنزل عليهم رحمة الله بتراحيمهم مصداقًا للحديث الشريف ”

الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء \* (١٩٥)

وإذا كان النظام الربوي قد فتح القروض الربوية للناس ، فإن النظام الاسلامي ينبغي أن يفتح باب القروض الحسنة ، وأن يخصص أرباب الاموال جزءا من أموالهم لهذه القروض الحسنة عن طريق البنوك الاسلامية . وقد قامت بعض البنوك بهذه السنة الحسنة اذ خصصت جزءا من المال للقروض الحسنة للعازمين على الزواج ، وبعض أصحاب الحاجات ، وطلبت من عملائها المودعين دعم هذه القروض ، وأن البنك على استعداد لتنظيم القروض الحسنة لمن يحتاجونها ، واستعادتها من المقترضين اذا وافق المودعون على الأقرض بالمبالغ التي يحدونها .

ان أعظم ما يميز النظام الاسلامي عن النظام الربوي هو قوله تعالى : " يحق الله الربا ويربي الصدقات . والله لا يحب كل كفار أثيم " (١٩٦)

والصدقة شاملة بمعناها لكل عمل خير ومنها القرض الحسن وتفريج كربة المعسر ، فالنظام الرأسمالي يقوم على الربا ، وعدم الاكتراث بهموم المدينين والمعسرين وأصحاب الحاجات والنظام الاسلامي يقوم على الرحمة والمواساة ومد يد العون والاحسان للغارمين والمعسرين ، ومن أصيبوا بتجارته وأموالهم .

ولذلك شرع الله انظار المعسر ، والتسامح معه بعد أن تهدد المرابين بحرب من الله ورسوله قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون " . (١٩٧)

ففي سبيل الله :

الأصل في هذا المصرف هو نفقة الجهاد والمجاهدين في سبيل الله لحماية الدولة الاسلامية أهلها وأرضها ونظامها القائم على الدعوة الى الله وتحرير الناس من الشرك والظلم والاستبداد .

ويتوسع بعض العلماء المعاصرين في مفهوم هذا السهم " في سبيل الله " ليشمل كل

ما تشمله كلمة الجهاد بالكلمة والمال والسلاح والدواء ، نشرًا للدعوة الإسلامية ، وكشفًا لشبهات أعداء الإسلام ، ومحاربة لأساليب المبشرين من أعداء الإسلام ، وتعبئة للامة واعدادها لها فيشمل انشاء المدارس ، والمستشفيات ، واقامة الطرق ، والجسور ، وغير ذلك . من القائلين بهذا الرأي من الفقهاء السابقين الامام الحسن البصري والامام الكاساني ، (١٩٨) ومن الفقهاء المتأخرين السيد رشيد رضا (١٩٩) والشيخ الأزهر السابق الشيخ محمود شلتوت (٢٠٠) والشيخ عبد الوهاب خلاف. (٢٠١)

#### ابن السبيل :

وهو المسافر الذى احتاج أثناء سفره ، بسبب انقطاعه عن بلده ، وبعده عن ماله ، وقد توسع الامام أبو يوسف وأعتبر الانفاق على شق الطرق وتعميدها ، وتوفير المؤن والراحة للمسافرين على الطريق من قبيل سهم ابن السبيل ، ويشمل هذا السهم أبناء المسلمين الذين أخرجوا من دارهم وأموالهم ، من أبناء فلسطين والأفغان وغيرها من البلاد الإسلامية .

## هوامش الفصل السادس

- ١١٠- د. عبد السلام النبائي ، الملكية في الشريعة الاسلامية ، القسم الأول ، ص ١٥٠
- ١١١- يس / ٧١
- ١١٢- الليل / ١٧-١٨
- ١١٣- البقرة / ١٨٨
- ١١٤- رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ج/٢/١٢٩٨/٣٩٣٣
- ١١٥- عبد الله العربي ، الاقتصاد الاسلامي والاقتصاد المعاصر
- ١١٦- النساء / ٤
- ١١٧- محمد المبارك ، نظام الاسلام - الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة / ص ٣ ٧٥ - ٨٠
- ١١٨- د. عبد الله العربي ، الاقتصاد الاسلامي والاقتصاد المعاصر ، المرجع السابق .
- ١١٩- سورة المعارج : آية ٢٤-٢٥
- ١٢٠- محمد مبارك ، نظام الاسلام الاقتصاد مبادئ وقواعد ص ٨١-٨٢ .
- ١٢١- سنن فضل الحديث عنها عند الحديث عن التكافل الاجتماعي .
- ١٢٢- رواه الترمذي في كتاب الزكاة ج/٣/٣٩-٤٠/٦٦٠ وقال : " إسناده ليس بذاك "
- ١٢٣- الزخرف / ٣٢
- ١٢٤- المعلق / ٦-٨
- ١٢٥- الماعين / ١-٣

- ١٢٦- الفجر / ١٧ و ١٨  
 ١٢٧- البلد / ١١ - ١٧ .  
 ١٢٨- الحشر / ٩  
 ١٢٩- آل عمران / ١٨٠  
 ١٣٠- محمود شلتوت من توجيهات الاسلام ٩٩-١٠٥  
 ١٣١-رواه مسلم في كتاب البر ج/١٠/٤٠  
 ١٣٢- المائدة / ٢  
 ١٣٣- رواه البخاري في كتاب المظالم ج/٥/٧٢ ، ومسلم في كتاب البر ج/١٠/٤٠  
 ١٣٤- يأتي ص : ٤٠  
 ١٣٥- رواه الحاكم  
 ١٣٦- رواه الترمذي في كتاب الجهاد ج/٤/٢٠٦/١٧٠٢ وقال : " هذا حديث حسن صحيح "  
 ١٣٧- محمد المبارك ، نظام الاسلام ، الاقتصاد ، ص ١٣٨-١٤٢ .  
 ١٣٨- النور/ ٦١  
 ١٣٩- البقرة / ٢٣٣  
 ١٤٠- محمد أبو زهرة ، الزكاة ، بحث قدم في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية في القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ والحديث رواه مسلم في كتاب البر ج/١٠/٤٠  
 ١٤١- رواه مسلم ، باب صلة الرحم وتحريم قطعها : ج/١٦/١١٤  
 ١٤٢- رواه مسلم باب صلة الرحم وتحريم قطعها بشرح النووي ١١٤/١٦ والبخاري في الادب ج/١٠/٣٤٨ .  
 ١٤٣- محمد / ٢٢-٢٣  
 ١٤٤- رواه البخاري في الاكراه ج/١٢/٢٨٩ ، وفي المظالم ج/٥/٧١ .  
 ١٤٥- رواه البخاري في الادب ج/١٠/٣٥٠ .  
 ١٤٦- رواه مسلم ، باب صلة الرحم وتحريم قطعها بشرح النووي ١١٣/١٦ .  
 ١٤٧- رواه الترمذي في الجهاد ج/٤/٢٠٦/١٧٠٢ وقال : " هذا حديث حسن صحيح "  
 ١٤٨- رواه أحمد ج/٤/١٣١ ، ومسلم في الفرائض ج/٧/٧٥ .  
 ١٤٩- سورة الماعون / ١-٣  
 ١٥٠- المدثر / ٤٢-٤٤ .  
 ١٥١- الاسراء / ٢٦  
 ١٥٢- رواه البخاري في المظالم ج/٥/٩٣ . ومسلم في الصحابة ج/٩/٤٩٧ .  
 ١٥٣- رواه الترمذي في كتاب الزكاة ج/٣/٣٩-٤٠/٦٦٠ وقال : " اسناده ليس بذلك " .  
 ١٥٤- البقرة / ١٧٧ .  
 ١٥٥- رواه مسلم في الضيافة ج/٧/٣٦٢ .

- ١٥٦- مصطفى السباعي ، اشتراكية الاسلام ص ٤٤-٥٤ .
- ١٥٧- رواد البخاري في كتاب الادب ج/١٠ / ٣٧٠ ومسلم في الضيافة ج/٨ / ٣٥٨ ، والترمذي في كتاب صفة القيامة ج/٤ / ٦٥٩ / ٢٥٠ وقال : " هذا حديث صحيح " .
- ١٥٨- الماعين / ٤-٧ .
- ١٥٩- النور / ٣٢ .
- ١٦٠- مصطفى السباعي ، اشتراكية الاسلام ، ص ٤٨ .
- ١٦١- المصدر السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ نقلا عن الاختيار وشرح المختار ١٢٩/٣
- ١٦٢- الامام الغزالي - المستصفى ١/ ٣٠٣ - ٣٠٤ ، والامام الشاطبي ، الاعتصام ، ٢/ ١٠٤
- ١٦٣- ١٦٤- الاموال لابي عبيد / ٢٣٧ .
- ١٦٥- محمد أبو زهرة - الزكاة ، بحث نشر في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية - القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٤٢ .
- ١٦٦- الانتقال / ٤١
- ١٦٧- الجزية . وهي ضريبة الدفاع والا من التي يدفعها رعايا الدولة الاسلامية غير المسلمين .
- ١٦٨- الخراج : وهي اجرة الاراضي التي تعتبر ملكيتها للمسلمين يدفعها المستمر المنتفع بها .
- ١٦٩- محمد أبو زهرة ، المرجع السابق .
- ١٧٠- د. محمد شوقي الفنجري ، الاسلام والضمان الاجتماعي ، الناشر دار ثقيف للنشر والرياض ص ٣٠ - ٣٢ ، ط ٢
- ١٧١- مصطفى أحمد الزرقاء - عقد التأمين في الفقه الاسلامي ومطبوعات اسبوع الفقه الاسلامي في دمشق ١٩٦١ م .
- ١٧٢- المرجع السابق .
- ١٧٣- د. محمد شوقي الفنجري ، الاسلام والضمان الاجتماعي ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٤ ، والاسلام والشبكة الاقتصادية للمؤلف نفسه ص ٢٨ و ٢٩ .
- ١٧٤- ابن حزم ، المحلى ، طبعة دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ٦٠ / ٢٢١ ، طبعة ١٩٦٨ م .
- ١٧٥- المرجع السابق
- ١٧٦- المارودي ، الاحكام السلطانية ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر / ١٩٦٦ م ، ص ١٢٢
- ١٧٧- السرخسي ، الميسوط ، دار السعادة . ١٣٨٧ هـ ، ٣ / ١٨
- ١٧٨- أخرجه الطبراني والبيهقي .
- ١٧٩- أخرجه الامام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک .
- ١٨٠- أخرجه الحاكم في المستدرک .
- ١٨١- ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، المطبعة التجارية الكبرى ، بيروت ، تاريخ ، ص ١٠١ وما بعدها .
- ١٨٢- محمد أبو زهرة - الزكاة في الاسلام - مطبوعات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية ١٩٦٥ م ، ص ١٥٠ ، وانظر د. محمد شوقي الفنجري ، الاسلام والضمان الاجتماعي ، ص ٥٨ .
- ١٨٣ و ١٨٤- محمد سلام مذكور ، معالم الدولة الاسلامية ص ٤١٧ و ٤١٨ ، نقلا عن العبدري .

- ١٨٥- التوبة / ١٠٣ .
- ١٨٦- المعارج / ٢٤-٢٥ .
- ١٨٧- يوسف القرضاوي ، فقه الزكاة ، محمد أبو زهرة - الزكاة - مطبوعات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية .
- ١٨٨- د. محمد شوقي الفنجري ، الإسلام والضمان الاجتماعي ط ٢ ، ص ٦٠ و ٦١ .
- ١٨٩- المرجع السابق ، ص ٦٣ و ٦٤ .
- ١٩٠- المرجع السابق ، ص ٦٥ .
- ١٩١- التوبة / ٦٠ .
- ١٩٢- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ١١١ وما بعدها ، د. محمد شوقي الفنجري الإسلام والضمان الاجتماعي ص ٧٤ و ٧٥ .
- ١٩٣- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٤٦ .
- ١٩٤- حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية المنعقدة في دمشق سنة ١٩٥٢ م ، مطبوعات جامعة الدول العربية عن تلك الحلقة ص ٢٠٤ .
- ١٩٥- رواء الترمذي في كتاب البر والصلة ج/٤ - ٣٢٣ / ٣٢٤ / ١٩٢٤ وقال " هذا حديث حسن صحيح " .
- ١٩٦- البقرة / ٢٧٦ .
- ١٩٧- البقرة ٢٧٨ - ٢٨٠ .
- ١٩٨- ابن قدامة ، المغني ، ١٦٧/٢ .
- ١٩٩- محمد رشيد رضا ، تفسيره المنار لآية الزكاة ١٠/٥٨٥ .
- ٢٠٠- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧ .
- ٢٠١- عبد الروباب خلاف السياسة الشرعية ، ص ١٣٥ .

- ١٨٥- التوبة / ١٠٣ .
- ١٨٦- المعارج / ٢٤-٢٥
- ١٩٠- يوسف القرضاوي ، فقه الزكاة ، محمد أبو زهرة - الزكاة - مطبوعات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية .
- ١٨٧- د. محمد شوقي الفنجري ، الإسلام والضمان الاجتماعي ط ٢ ، ص ٦٠ و ٦١
- ١٨٨- المرجع السابق ، ص ٦٣ و ٦٤ .
- ١٨٩- المرجع السابق ، ص ٦٥ .
- ١٩٠- التوبة / ٦٠ .
- ١٩١- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ١١١ وما بعدها ، د. محمد شوقي الفنجري الإسلام والضمان الاجتماعي ص ٧٤ و ٧٥ .
- ١٩٢- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٤٦ .
- ١٩٤- حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية المنعقدة في دمشق سنة ١٩٥٢ م ، مطبوعات جامعة الدول العربية عن تلك الحلقة ص ٢٠٤ .
- ١٩٥- رواء الترمذي في كتاب البر والصلة ج/٤/ ٣٢٣ - ٣٢٤ / ١٩٢٤ وقال " هذا حديث حسن صحيح " .
- ١٩٦- البقرة / ٢٧٦ .
- ١٩٧- البقرة ٢٧٨ - ٢٨٠ .
- ١٩٨- ابن قدامة ، المغني ، ١٦٧/٢ .
- ١٩٩- محمد رشيد رضا ، تفسيره المنار الآية الزكاة ١٠/ ٥٨٥ .
- ٢٠٠- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧ .
- ٢٠١- عبد الوهاب خلاف السياسة الشرعية ، ص ١٣٥





# الفصل السابع

## نظرة الإسلام إلى حقوق الإنسان

للأستاذ الدكتور  
يحيى هاشم حسن فرغل

مراجع البحث :

- (١) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي .
- (٢) ندوة حقوق الانسان بالتعاون مع اليونسكو وجامعة الزقازيق بمصر من ١٤-١٦ ديسمبر ١٩٧٨ .
- (٣) بحث الدكتور زكريا البري بالنسبة .
- (٤) كتاب حقوق الانسان للشيخ محمد الغزالي .
- (٥) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للعقاد .
- (٦) بحوث وكتب المؤلف .



ألا تكون عندئذ وبهذا الاعتبار نتيجة الكسب البشرى ، والمغالبة الانسانية ؟ ؟

نحن نرى انه حتى بهذا الاعتبار فان الامر لا يكون كذلك ، لامرين :-

أولهما : أن جهاد المسلمين الذين انجزوا هذه الحقوق فى مجال التطبيق لم يكن منصرفا اليها ولا موجها نحوها ، وانما كان فى حقيقة الامر منصرفا الى تحقيق اسلامهم لله ، وطاعتهم له ، والحصول على رضاه ، وما يستتبعه هذا الرضا من النجاة فى الدنيا ، والفوز فى الآخرة .

وهذا فرق هائل كالفرق بين ابو بكر الصديق الصحابى الجليل أحد المبشرين بالجنة وبين ميرابو ، أحد زعماء الثورة الفرنسية التى نادت بمبادئ الحرية والاخاء والمساواة . وكانت تتسلى يوميا بقطع رقاب " البشر " على المقصلة فى الميدان العام بباريس ، لكى تبلغ هذه الرقاب أكثر من مائة الف فى بعض الاحصائيات .

وشتان ما بين الحالين ....

الامر الثانى : ان رسوخ هذه الحقوق ومصدر تأثيرها فى نظر المسلم لم يكن قط لانها جاءت كحبات عرق ، تساقط فى التاريخ ، أو قطرات دم بذل فى الصراع ، والا لهان أمرها وانكفأ خبرها ، - مهما يكن احترام المسلم لهذا الدم ، أو لهذا العرق - وانما كان ويكون دائما لأن هذه الحقوق هى كلمة الله ، وارادته ، وعطاؤه وانعامه .

ثانيا : العلاقة بين الحق والواجب فى الاسلام :

كذلك فاننا عندما نتحدث عن حقوق الانسان فى الاسلام فى مجال العلاقات بين البشر بعضهم مع بعض فينبغى أن ندرك أن كل ما هو حق لفرد هو واجب على آخر أو آخرين ..

فحق الرعية يمثل فى الجانب الآخر واجبا على الراعى ، والعكس صحيح ، وحق الزوج يمثل واجبا على الزوجة والعكس صحيح ، وحق الذمى يمثل واجبا على المسلم أو المسلمين والعكس صحيح كذلك . وحق الاجير واجب على صاحب العمل والعكس صحيح أيضا .

وقد يذهب بعض الباحثين الى ان الاختصار على التعبير بكلمة " الواجب " أولى ، لانه

# حقوق الانسان أو واجباته فى الاسلام

## المدخل

أولاً : تبعية الحقوق لمقاصد الشريعة :

لم تأت حقوق الانسان - أو واجباته - فى الاسلام كما جاءت فى غيره ، نتيجة كسب بشرى ، أو صراع تاريخى ، أو غلبة طائفية ، أو ذكاء لعرقية ، ...

ذلك لاننا عندما نتحدث عن هذه الحقوق فى الاسلام فانما نتحدث عنها باعتبارها حقوقاً - أو واجبات - مقررّة من قبل الله تعالى ، كما بلغها عنه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وعندما يكون الامر كذلك فانه لا يكون هناك صراع من الانسان تجاه الله - وحاشاه - للحصول على هذه الحقوق ، مهما يكن شكل هذا الصراع أو مناه .

وانما نكون بازاء عملية " عطاء " عطاء من الله للانسان ، و " انعام " اسبغه الله عليه .

ومن هنا نتعرف على هذه الحقوق عندما نتعرف على هذا العطاء ، أو بعبارة أخرى نتعرف على هذه الحقوق عندما نتعرف على هذا العطاء كما نطقت به شريعة الله .

فالبحث عن هذه الحقوق يعود اساساً الى الشريعة الاسلامية ، وبالتحديد فانه يعود الى هذه الشريعة فى مقاصدها الخمسة الاساسية التى هى حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ العرض ، وحفظ المال (١) .

وقد يقول قائل : هذا صحيح عندما ننظر الى هذه الحقوق كمبادئ مقررّة فى الشريعة ، لكن ماذا يكون الحال اذا نظرنا اليها كوقائع حية فى المجتمع ، ومطبقة فى التاريخ ... ؟

يضمن أداء الحقوق ضرورة ، بينما أن الاختصار على التعبير بكلمة " الحق " قد يضمن المطالبة به ، ولكنه لا يضمن بالضرورة أداءه والحصول عليه .

ومن هنا يقررون أن الكلام عن " حقوق الانسان " بهذا العنوان ليس الا مجارة لطريقة العرض التي جرى عليها الفكر المعاصر بينما التعبير عن الموضوع بالواجب أدق وأقرب الى روح الاسلام .

على أن الأمر جانباً آخر : اذا كنا نتحدث عن هذه الحقوق والواجبات في مجال العلاقة مع الله سبحانه وتعالى فهي من ثم ينتفى منها معنى الحق ، الا أن المراد بهذا الحق هنا نعمة أنعم الله بها على الانسان ، أو حقاً معطى منه ابتداء وليس مستحقاً عليه بوجه الوجه .

ومن هنا فسوف نؤثر في ذكر حقوق الانسان فيما يأتي ان تكون تحت عنوان " النعمة " كلما كان المقام مناسباً لذلك .

# أنواع الحقوق مع ذكر نماذج تطبيقية منها فى تاريخ الاسلام

## نعمة الحرية

الحرية لم تكن من هموم الدعوة الاسلامية وما ذاك الا لأن التحقق بالاسلام يضمن الحرية بالضرورة .

ذلك لان الاسلام يعنى أولا افراد العبودية لله ، ( اياك نعبد ، .. ) وهو من هنا لايسمح باى نوع من أنواع العبودية لغير الله ، سواء كان ذلك لزعيم ، أو شريف ، أو حاكم ، أو فيلسوف أو مذهب ، أو طبيعة ، أو غير ذلك من مخلوقات الله ، وذلك هو أقصى مايطمح اليه الانسان من الحرية .

ولان الاسلام - ثانيا - لايتترك المجال مفتوحا - كما هو الشأن فى غيره - لتشريع يأتى من غير الله أو يتعارض معه ، اذ هو فى هذه الحالة نوع من أنواع العبودية لغير الله ، ومصادرة لحق الانسان فى الحرية ، يقول تعالى عن أهل الكتاب ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ... ) وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم المراد بذلك بأنهم كانوا يحلون لهم ويحرمون .

### نعمة حرية الفكر :

يعطى الاسلام العقل مكانة رفيعة ، ويمتن الله على عباده بنعمة التفكير ، وتحذر الشريعة الاسلامية من اهدار طاقة العقل .

يقول تعالى : " ان شر النواصب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون " .

ويقول تعالى : " افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها ، فانها لاتعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " .

ويقول تعالى : " قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا له مثنى وفرادى ثم تتفكروا ... " .

ولهذا كان العقل مناط التكليف فى الاسلام ، وكان تقليد الآباء والأجداد والزعماء والعادات والتقاليد الاجتماعية بغير تفكير ورجوع الى العقل الذى وهب الله للانسان مصدر خطر عظيم وتهديد بالهلاك .

### نعمة حرية البحث العلمى :

لم يقدم القرآن - أو الاسلام عامة - نظرية علمية معينة للناس يلزمهم بها ويؤاخذهم اذا تجاوزوها . وانما أوصاهم بالنظر والتأمل وتركهم أحرار الفكر فيما يفهمون ويفررون بمنهج علمى صحيح .

يقول تعالى : " ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين " ٢٢ الروم .

ويقول : " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون " ٤٣ العنكبوت .

### نعمة حرية العقيدة :

المقصود بحرية العقيدة هنا اختيار الانسان للعقيدة التى يؤمن بها من غير اجبار من أى مصدر من المصادر غير ذاته وضميره .

يقول تعالى فى عبارة صريحة قاطعة " لا اكراه فى الدين "

والقرآن الكريم ينكر امكان اجبار احد على اعتناق عقيدة معينة وينفى وقوع هذا الاجبار حتى بالنسبة لمن بيده أن يجبر ، فالكه سبحانه وتعالى مالك الملك الذى بيده قلوب البشر وضمائرهم ومصائرهم ضمن للانسان أن يحرره من هذا الجبر المقنور له سبحانه وتعالى .

يقول تعالى : " ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " البقرة ٢٥٦ ، ويقول تعالى : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " ٢٩ سورة الكهف .

ويتفرع على هذه الحرية فى الاسلام أمور ثلاثة :

(١) ضرورة ضمان مصادر المعرفة الصحيحة التى يقوم عليها هذا الاختيار ، ولذلك

فان الله سبحانه وتعالى اذ يمن علينا بهذه الحرية ، يربطها بهذا الضمان مباشرة ، وذلك فى قوله تعالى : " لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ... " ويتحقق هذا الضمان عن طريق التكليف بالدعوة ، والجهاد فى سبيل الله " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم .. " وجهادوا فى سبيل الله حق جهاده هو اجتنابكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج .

(٢) ضرورة تحمل مسئولية هذا الاختيار .

فالاسلام لاجعل هذا الاختيار بين متساويين ، ولكن يقدمه باعتباره اختيارا بين الحق والباطل ، بين الصواب والخطأ ، بين النجاة والهلاك ، ومن هنا يترتب على هذا الاختيار آثاره الخطيرة التى يقبل عليها الانسان بوعى ومسئولية كاملة . ويحاسب عليها حسابا دقيقا أمام الله سبحانه وتعالى " فذكر انما انت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ، الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم " .

(٣) ضرورة تحمل المسئولية الشرعية الدنيوية لهذا الاختيار

فهو منذ الابتداء ان شاء ان يؤمن آمن ، وان شاء أن يكفر كفر.. ولكنه منذ البداية ايضا يكون على علم بان اختياره للايمان - اى الاسلام - يلزمه بمسئوليات شريفة الاسلام ، بما تتضمنه من نظام للحقوق والواجبات ، ونظام للحلال والحرام ، ونظام للثواب والعقاب .

فهو ان سرق تقطع يده ، وان زنى جلد أو رجم ، وان قذف محصنا جلد كذلك ، وان قتل نفسا بغير حق اعدام قصاصا ، وان ارتد عن اسلامه قتل فى حد الردة .

وذلك كله من باب الحرص على صيانة هذه العقيدة التى اختارها هو أو اختارها غيره من قبله ، وصيانة المجتمع الذى يرتكز عليها ، وترتكز عليه ، فلا يدخل فى الاسلام عندئذ من يدخله ابتغاء تدميرها وبث الفوضى فى ربوعه ، وجعل عقيدته هزوا بالدخول والخروج .

" وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلمهم يرجعون " .

كما لا يدخله من يدخله ابتغاء دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، أو امرأه يطلقها .. أو



مال يصيبه أو غير ذلك من أغراض تتنافى مع جدية الاختيار ونقائه .

## نعمة حرية العبادة :

ويدافع الاسلام عن حق الانسان فى العبادة وفقا لما اختاره من عقيدته ، ووفقا لما ارتضاه من مسئولية دينوية ، أو أخروية تترتب على هذا الاختيار .

ويضمن الاسلام هذه الحرية لرعاياه اهل الذمة من غير المسلمين .

لقد جاء فى امان عمر لاهل ايلياء \* انه لاتسكن كناشسهم ولاتهدم ، ولاينقص منها ولا من أموالها ، ولايكرهون على دينهم ولايضار أحد منهم \* .

وحينما دخل الفاروق كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة غادرها ، وصلى خارجها ، ولما سئل فى ذلك قال \* خشيت اذا ماصليت فى الكتيبة يقول المسلمون : هنا صلى عمر ، ثم يتخذونه مسجدا \* .

## نعمة الحرية السياسية :

ويعنى بها ان يكون لكل فرد - بالغ العقل - قادر - فرصة متكافئة مع غيره فى توجيه سياسة الجماعة أو الدولة ، ومراقبة سير الامور بها .

وقد ضمن الاسلام ذلك اذ جعل نظام الحكم قائما على الشورى - حتى بالنسبة لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما لم يأت فيه وحى يقول تعالى : \* وشاورهم فى الامر \* ، ويقول تعالى : \* وأمرهم شورى بينهم \* .

واشترط الاسلام فى الولاية صفات معينة من العلم ، والذكاء ، والخبرة ، والتقوى والهيبة تضمن للمجتمع الامن والاستقرار والقدرة على تحقيق العدل والرقى . ويتم اختياره عن طريق البيعة . ويكون ملزما بالشرعية التى يتساوى جميع المسلمين فى الالتزام بها .

يقول ابو بكر رضى الله عنه فى أول خطبة له بعد تولي الخلافة :

\* ايها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فتابعونى وان صدفت فقومونى ، القوى فيكم ضعيف عندى حتى أخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى حتى أخذ الحق له ، اطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، وان عصيت فلا طاعة لى عليكم \*

ويقول سيدنا علي للخوارج بعد أن بعث اليهم عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع الى صفوف على اربعة آلاف ، وأصر اربعة آلاف على عدم الرجوع ، فارسل اليهم يقول :  
"كونوا حيث شئتم ، وبيننا وبينكم الاتسفكوا دما حراما ولا تقطعوا سبيلا ولا تظلموا  
أحدا ، فان فعلتم نبذت اليكم الحرب "

## نعمة الحصول على العدل :

يقول تعالى : " وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اموالهم " ٤٩ المائدة .

ولا تجريم الا بنص شرعى يقول تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " ١٥  
الاسراء .

والمسئولية فردية " كل امرئ بما كسب رهين " ٢١ الطور .

" ولا تزر وازرة وزدا أخرى " ١٥ الاسراء .

وضمن الاسلام المساواة بين الناس أمام القانون .

وفى ذلك يقول الله تعالى : " ولا يجرمكم شأن قوم على الاتعدلوا ، اعدلوا هو اقرب  
للتقوى " ٨ سورة المائدة .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق  
الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، والله لو ان فاطمة بنت محمد  
سرت لقطع محمد يدها "

وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري يقول " أس بين الناس فى وجهك  
ومجلسك ، وقضائك . حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا يياس ضعيف من عدك "

وتنازع يهودى مع سيدنا علي فى قضية حتى رفع الامر الى عمر رضى الله عنه  
فمثلا امامه فقال عمر لعلى : قف ياأبا الحسن . فظهر الغضب فى وجه على فقال له  
عمر : أكرهت ان نسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء ، فقال على : لا ،  
ولكننى كرهت منك ان عظمتنى فى الخطاب ، ولم تصنع مع خصمى مثل ما صنعته  
معى .

وضمن الاسلام حق الدفاع عن النفس أمام القضاء .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان لصاحب الحق مقالا " رواه الخمسة .  
ويقول للقاضي " اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما  
سمعت من الاول فانه احرى ان يتبين لك القضاء " رواه ابو داود والترمذى بسند  
حسن.

وفى القضاء يتقرر ان البراءة هي الاصل :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " كل امتى معافى الا المجاهرين " رواه الشيخان  
ويحرم الاسلام التعذيب والترويع كالمسلوب فى الحكم بين الناس : روى هشام بن حكيم  
انه مر بالشام على أناس من الانباط ، وقد اقيموا فى الشمس وصب على رؤسهم  
الزيت ، فقال : ما هذا ؟ قيل : يعذبون فى الخراج . فقال هشام : اشهد لسمعت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا " رواه  
مسلم .

ودخل على الامير فحدثه فأمر بهم فحلوا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يحل لمسلم أن يروغ مسلما " رواه ابو داود .  
وقال " لا يشر احدكم الى اخيه بالسلاح فانه لا يدري لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع  
فى حفرة من النار " رواه البخارى .

وقال " لا يقف احدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما ، فان اللعنة تنزل على من حضره  
حين لم يدافعوا عنه " رواه الطبرانى .

نعمة المساواة فى الحقوق المدنية :

ويعنى بها ان يكون للانسان حق التصرف فى اموره الشخصية وعلاقاته الاجتماعية  
والمالية فى حدود القواعد العامة ، وهذا النوع من الحقوق أرسى الاسلام دعائمه وجعل  
لكل انسان - بالغ عاقل - شخصيته المستقلة : يملك ويهب ، يشتري ويبيع ، يتزوج  
ويتنسل ، يقيم ويسافر ، يعمل ويستريح ، ويتصرف بجميع التصرفات التى تحققها  
مصلحته الفردية ، والمصلحة الاجتماعية كما تقرها شريعته التى اختارها سلفا ، بغير  
ان يحول دون ذلك حائل من طبيعة أو لون ، أو جنس أو طبقة أو سلطان .

ويشأوى الناس جميعا امام الشريعة الاسلامية فى الحقيقة الإنسانية ، ولا يفاضلون

يقول تعالى " ياايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تسالون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا " .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وأدم من تراب، ليس لعربى فضل على عجمى ، ولالعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر الا بالتقوى " .

ويقول تعالى " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " .

وقد مر رجل من وجهاء الناس ، أمام مجلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل اصحابه قائلا : ماترون فى هذا ؟ قالوا : رجل من اشراف الناس ، وهو حرى ان خطب أن يزوج ، وان شفع أن يشفع ، وان قال ان يسمع لقوله .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فسألهم : ماترون فى هذا ؟ قالوا : هذا من فقراء المسلمين ، وهو حرى ان خطب الايزوج ، وان شفع الا يشفع ، وان قال الا يسمع لقوله .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " هذا خير من ملء الارض هذا " رواه البخارى . وفى مثل هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " رب اشعث أغبر مدفوع بالبواب لو أقسم على الله لأبره " رواه مسلم .

ويقول صلى الله عليه وسلم " ابغونى فى ضعفانكم فانما تنصرون بضعفانكم " رواه مسلم . وعندما ظهر الاسلام كان المؤذن الاول للرسول صلى الله عليه وسلم بلالا رضى الله عنه " العبد الاسود " وكان صوته هو الذى ينادى جماعة المؤمنين خمس مرات كل يوم للوقوف بين يدى الله تعالى .

ولما فتحت مكة صعد بلال هذا فوق الكعبة المقدسة، ليرفع صوته بشعار الاسلام " الله أكبر الله أكبر أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله " .

وتجادل معه الصحابى المعروف أبو ذر الغفارى رضى الله عنه واشتط به الغضب فقال له " ياابن السوداء " وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فانكره اشد

الانكار ودعا أبا ذر اليه وسأله " اعيرته بأمة ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، ... طف الصاع ، طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ، أو بعمل صالح " رواه البخارى .

فندم أبو ذر وألصق خده بالأرض ، وقال للأسود " قم فطأ على خدى " .

وكان عبادة بن الصامت رضى الله عنه من الصحابة الاجلاء أسود اللون ، وكان رئيس الوفد الذى ارسله عمرو بن العاص لمفاوضة المقوقس ، فضاق به المقوقس لسواده وطلب من الوفد ان يتكلم غيره فاعتذر الوفد عن ذلك ، واصرروا على ان يكون هو المتكلم ، قائلين للمقوقس : -

" هذا افضلنا رأيا وعلمًا وهو سيدنا وخيرنا ، وقد أمره الامير علينا فلانخالف امره " وهكذا ينتصر المسلمون لمبدأ المساواة فى اخرج المواقف التى تقتضى عند غيرهم المساومة والبحث عما ينفع .

وعندما كان عمرو بن العاص واليا على مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما تشاجر ابن له مع احد المصريين ، واغراه سلطان ابيه فضرب الرجل وقال له " انا ابن الاكرمين " فلما أبلغ الرجل شكواه الى عمر قال قولته الشهيرة " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا .. اضرب ابن الاكرمين كما ضربك " وناول السوط فاقتص منه .

وقصة جيلة بن الابهيم معروفة .. فقد كان اميرا ، فى قومه ، ثم دخل فى الاسلام ، وحدث ان كان يطوف بالكعبة ، فزاحمه اعرابى وداس ثوبه ، غير قاصد ، فاستشاط غيظا ولطم الاعرابى على وجهه . ورفع الامر الى عمر بن الخطاب ، فحكم بالقصاص الا أن يعفو الاعرابى ، فاستنكر جيلة ذلك وفر الى أرض الرومان مرتدا عن الاسلام!!!

وكتب عمر بن الخطاب الى ابو موسى الاشعري يقول " قد بلغ أمير المؤمنين انه فشا لك ولاهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلبا .... فاياك يا عبد الله ان تكون مثل البهيمة التى مرت بواد خصب فلم يكن لها هم الا السمن ، وانما حثفتها فى السمن ، واعلم ان للعامل مردا الى الله ، فاذا زاع العامل زاعت رعيته ، وان اشقى الناس من شقيت به رعيته " .

وكتب الى سعد بن ابى وقاص يقول له " بلغنى انك بنيت قصرا اتخذته حصنا  
ويسمى بيت سعد ، وجعلت بيتك وبين الناس بابا ، فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال ،  
لاتجعل على منزلك بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم .. "

وكتب الى عمرو بن العاص يقول له " بلغنى انك تنكى " فى مجلسك فاذا جلست فكن  
كسائر الناس .

## نعمة المساواة فى الحقوق الاقتصادية :

ضمن الاسلام المساواة بين الناس فى حقوق العمل والانتاج وكسب الرزق والتملك ،  
لسد حاجة الفرد ، والاسرة والمجتمع والدولة .

يقول تعالى : " هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه "  
١٥ تبارك .

ويقول تعالى : " الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا ، وانزل من  
السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا ، وارعو انعامكم ان فى ذلك  
لايات لاولى النهى " ٥٣ - ٤٤ طه .

## وضمن الاسلام حق العمل :

يقول تعالى : " ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معاش .. " ١٠ الاعراف

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم " ما اكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل  
يده ، وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده " رواه البخارى .

وقال : " ايما رجل كسب مالا من حلال فأنطعم نفسه أو كساها فمن يونه من خلق  
الله فان له به زكاة " .

وسئل صلى الله عليه وسلم : أى العمل افضل ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع  
مبرور " رواه البيهقى .

وروى عنه ايضا انه قال " ان الله يجب المؤمن المحترف " رواه البيهقى .

## وضمن الاسلام حق حماية الملكية :

يقول تعالى " ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل " ١٨٨ البقرة .

ويقول صلى الله عليه وسلم " من اخذ من الارض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين " رواه البخارى .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال " من قتل دون ماله فهو شهيد "

### نعمة التكافل الاجتماعي :

روى البخارى بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام اربعة فليذهب بخامس أو سادس " .

وروى مسلم بسنده انه صلى الله عليه وسلم قال " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لاحق لاحد منا فى فضل " رواه مسلم .

ويقول تعالى " وأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا " ٢٦ الاسراء ويقول تعالى : " وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " ١٩ الذاريات .

وقد روى المؤرخون ان يحيى بن سعيد قال " بعثنى عمر بن عبد العزيز عاملا على صدقات افريقية ، فاقترضتها وطلبت الفقراء نعطيها ايامهم ، فلم نجد بها فقيرا ولم نجد من يأخذها ، فماذا يصنع بهذه الزكاة ؟ قال : اشتريت بها عبدا فاعتقتهم وجعلت ولاهم للمسلمين ...

### نعمة حق الحياة :

حرص الاسلام اشد الحرص على صيانة حق الحياة وما يتعلق بها بشتى الوجوه .

فهو قد جعل الحياة بناء شاده الله سبحانه وتعالى ، وجعل الاعتداء عليها كبيرة من الكبائر فى حق الله تعالى ، كما جعل الاعتداء على حياة واحدة اعتداء على حياة الناس جميعا .

يقول تعالى " من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا " ٢٣ المائدة .

ومن اجل ذلك شرع القصاص واكد عليه من اجل حماية الحياه ..

وكما جعل للحياة حقوقا فإنه جعل للموت حقوقا ايضا .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لاتسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموه " رواه البخارى ، ويقول صلى الله عليه وسلم " اذا كفن احدكم اخاه فليحسن كفته " رواه مسلم .

وتابع الاسلام حمايته للحياة ، فشرع حماية الحياة الخاصة وما يتعلق بها من اوضاع شخصية أو فردية ، أو اسرية .

لقله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها احدا فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى لكم والله بما تعملون عليم " ٢٧- ٢٨ النور

ويقول تعالى فى موضع آخر " ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات " النور ٥٨ .

ويقول تعالى : " واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم " النور ٥٩ .

وعن ابي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ايما رجل كشف سترا فادخل بصره قبل ان يؤذن له فقد أتى حدا لا يحل له ان يأتيه ، ولو ان رجلا فقا عينه - بسبب ذلك - لهدرت " رواه احمد ،

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاتأثوا البيوت من أبوابها - يعنى مواجهة تجعل القادم يكشف ماأمامه - ولكن انتوها من جوانبها فاستأذنوا فان اذن لكم فادخلوا ... والا فارجعوا " . رواه الطبرانى .

نعمة المحافظة على العرض والسمعة :

يقول تعالى : " لايجب اله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم " ١٤٨ النساء .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع " ان دماكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا " .

ويقول تعالى : " ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا " ١٢ الحجرات .



ونعلم جميعا شدة حرص الاسلام على طهارة العرض ، ونقاء النسل ، حيث شرع عقوبة الزنا ، بالجلد فى حال ، والرجم فى حال آخر ، كما شرع عقوبة القذف وغلظ العقوبة فيها .

### نعمة حق التنقل والاقامة :

اتفق الناس فى العصر الحديث على حدود يضعونها بين الدول وهى امور اعتبارية وضعت لاغراض نظامية وسياسية معينة ، ولكنها فى نظر الاسلام لاتقطع الصلة الجامعة بين ابناء آدم جميعا ، والمسلمين بوجه خاص .

يقول تعالى : " قل يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة وايأى فاعبدون " .

ويقول جل جلاله : " ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة " .

وروى النسائى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال " مات رجل بالمدينة ممن ولد بها ، فصى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال " يا ليت مات بغير مولده " قالوا : ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال " ان الرجل اذا مات بغير مولده . قيس بين مولده الى منقطع اثره فى الجنة " .

ودار الاسلام مفتوحة دائما لطلاب الامن من كل جنس ولون ، وفى هذا جاء قوله تعالى : " وان احد من المشركين استجارك فآجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه " التوبة .

ولايجوز اجبار شخص على ترك موطنه لغير عقوبة شرعية يقول تعالى : " يسألكون عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ، وصدد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام ، واخراج اهله منه اكبر عند الله " البقرة .

### نعمة حق بناء الاسرة :

يقول تعالى : " ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة " ٢١ الروم .

وصان الاسلام هذا الحق بتشريعاته التى اوجبت الزواج ، وضمنت له حقوقه ، من احترام المجتمع ، والرعاية ، والنفقة ، ومايتعلق بالاحوال الشخصية بوجه عام .

## قضية المساواة بين الرجل والمرأة :

ضمن الاسلام المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقيقة الانسانية ، ومايتصل بها فى ميادين الطاعة ، والعمل ، والانتاج ، والتملك ، والتصرف المستقل ، وتولى الوظائف ، والثواب والعقاب ، والمسئولية امام الله .

يقول تعالى : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله " ٧١ التوبة .

ويجعل الاسلام للمرأة استقلالاً شخصياً وذمة منفصلة عن ذمة ابيها وذمة زوجها ، تتصرف كالرجل ، تباع وتشترى ، ترث وتهب وتوصى ، تزرع وتصنع وتتاجر ، الى غير ذلك مما كان أو يكون من أعمال وعقود ومعاملات مالية .

وللمرأة ان تتولى من الوظائف ماتكين مؤهلة له وقادرة عليه ولايعطل وظيفتها الاساسية فى رعاية الزوجة والولد والاسرة .

ولا تعنى هذه المساواة الاصلية الغاء الفروق النفسية والحيوية التى فطر عليها كل من الرجل والمرأة . ولهذا نجد فى هذا المجال مسئوليات تلقى على الرجل تتفق مع فطرته ولا تلقى على المرأة . كالقتال والاعمال الشاقة والولاية العامة ، كما نجد مسئوليات أخرى تلقى على عاتق المرأة تتفق مع فطرتها ولا تلقى على الرجل ، كالحضانة ، وتربية الاولاد ، وتهيئة جو الاسرة الصالح لقيامه من نظام ، وطهارة ، وحسن تدبير .

ويترتب على ذلك امور نجدها فى الزام الرجل بالنفقة على الاسرة دون المرأة ، ومن تفاوت فى انصبه الميراث بالزيادة أو النقصان مما يقتضيه هذا التفاوت فى المسئوليات .

وهى أمور لا تتعارض مع التكافؤ فى الحقيقة الانسانية ، وتتمشى مع الفروق المقصودة أصلاً من خلق الذكر ذكراً ، وخلق الانثى انثى مما لايتسع المجال لشرحه فى هذا النطاق .

مسألة المساواة بين المسلم والذى فى المجتمع الاسلامى :

يتساوى المسلم مع الذى فى الحقوق والواجبات الانسانية ، مع رعاية الفروق التى يقتضيها الاختلاف فى الديانة ولا تتعارض مع انسانية الانسان .

والقاعدة الصريحة فى الاسلام هى قوله صلى الله عليه وسلم " لهم مالنا وعليهم ما علينا " أى لغير المسلمين الذين بيننا وبينهم عهد وميثاق ، وهى قاعدة تلتقى عندها جميع المذاهب الفقهية . وقوله صلى الله عليه وسلم " من اذى ذميا فانا خصمه يوم القيامة ، ومن خاصمته خصمته " (٢)

وقد اوصى عمر رضى الله عنه من بعده بذمة... رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من وراءهم ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم " (٣)

ومن الجدير بالذكر ان الزام الذميين بدفع الجزية لا يقصد به الحط من منزلة غير المسلم ، وانما قصد به تحقيق المساواة بين المسلم وغير المسلم امام الاعباء المالية اذ يدفع احدهما الجزية ، ويدفع الآخر الزكاة .

### قضية الرق فى الاسلام :

لم يأت الاسلام بشريعة الرق ، وانما جاء لتصفيتها ، وتغيير مفهوم ماتقضى الضرورة ببقائه منها . فالحرية هى الاصل ، وهى الفطرة الالهية التى ولد الناس عليه ، وقد كان خير تعبير عن اتجاه الاسلام فى ذلك ما قاله الفاروق عمر " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا " .

وتصفية الاسلام للرق جاءت فى تحريمه الاسترقاق بالدين ، والاسترقاق باللون ، والاسترقاق بالخطف ، والاسترقاق بالتنازل عن الحرية ولو اختيارا ، والاسترقاق ببيع الولد او الزوجة ، مما كان سائدا فى مجتمعات كثيرة ، وبقي الى عهد قريب سائدا فى بلاد اوربية (٤) ومارسه بعض المسلمين فى بعض العصور مخالفين لشريعتهم .

يقول تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى : " ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته ، رجل اعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فاكل ثمنه ، ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه اجره " رواه البخارى .

وفيما عدا ذلك فان الاسلام وجد الرق اسلوبا فى معاملة الاسرى فى الحروب فضيق من نطاقه ، وغير مفهومه فيما كان لابد منه .

ففى اسرى الحرب - وبعد أن يضع الاسلام شريعته لما يجوز وما لايجوز منها (٥) -

يخير القرآن في الاسرى بين أمرين : المن عليهم بنعمة الحرية من غير مقابل ، او المن عليهم بالحرية في مقابل فداء " فاما منا بعد واما فداء..."

وفي غير هذه الاحوال فان الاسلام يجيز مصادرة حرية الاسير من قبيل المعاملة بالمثل . اذ من غير المعقول ان يطلب من الاسلام - او من أى نظام آخر - ان يطلق سراح الاسير الذى يقع بين يديه بينما العدو يمسك بالاسرى المسلمين ، كما لا يطلب منه ان يطلق سراحهم وهو يعلم انهم يعوبون الى حربه ومحاربة القضاء عليه او على المسلمين .

ولكنه بعد ان يصادر حريتهم لا يضعهم في معسكرات الاعتقال كالتى تصنعها جيوش الحرب الحديثة لتهدر آدميتهم فيها ، ويعيشوا معيشة الحيوان ، محرومين من العيش في أسرة ، والتحرك في مجتمع طبيعى .. وانما يضعهم بين ايدي افراد من المسلمين يعيشون بينهم وتحت سيطرتهم معيشة عادية ، كقوله صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء " هم اخوانكم تحت ايديكم . فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل ، وليكسه مما يكتسى ، ولا يكلفه ما يغلبه فان كفه فليغنه " رواه البخارى .

وقال صلى الله عليه وسلم " من قذف مملوكا بريئا مما قال اقيم عليه الحد يوم القيامة الا ان يكون كما قال " رواه البخارى .

وروى عنه ايضا انه قال " من ضرب مملوكه قيد منه يوم القيامة " رواه الطبرانى .

وروى ابو داود ان ابن عمر اعتق مملوكا ، ثم اخذ من الارض عودا أو شيئا ، فقال " مالى فيه من الاجر مايساوى هذا ...سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من لطم مملوكا له أو ضربه فكفارته عتقه " رواه ابو داود ومسلم .

ويقول ابو عزيز بن عمير اخو مصعب بن عمير : " كنت في رهط من الانفار حين اقبلوا بى من بدر فكانوا اذا قدموا غداء أو عشاء خصونى بالخبز وأكثوا التمر لوصية الله اياهم بنا "

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم اعطى أبا الهيثم اسيرا وأوصاه باحسان معاملته فلما اخبر زوجته بذلك قالت له : " لن نستطيع ان ننفذ وصية الرسول الا باعتاقه ، فاعتقه "

وذكر ابن هشام ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر باكرام ثمانية بن أثال الحنفى حين اسر فقال " احسنوا اساره " ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال " اجمعوا ماكان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وامر بناقته الحلوب ان يغدى عليه بها ويراح " .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال " اذا وضع لاحدكم خادمه طعامه ثم جاء به قد ولى حره وديخانه فليقعد معه فلياكل ، فان كان الطعام مشفوها - أى كثرت عليه الشفاء وصار قليلا - فليضع فى يده منه اكلة أو أكلتين " .

وكان عبد الرحمن بن عوف - وهو صحابى من أثرياء المسلمين - اذا مشى بين عبيده لايميز احدا منهم لانه لايتقدمهم ولايلبس الا من لباسهم .

وروى ان أبا مسعود البدرى قال : " كنت اضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى يقول ( واعلم أبا مسعود ... ) فلم افهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يقول ( اعلم أبا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام .. فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال " أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار " .

ويروى ان عمر رضى الله عنه عندما سافر الى بيت المقدس لم تكن له الا ناقة واحدة يتناوب الركوب عليها مع غلامه ، ولم يجد غضاضة فى ان يدخل بيت المقدس ماشيا وغلامه راكب .

وروى ان سلمان الفارسى دخل عليه رجل وهو يعجن فقال له : ياأبا عبد الله ماهذا ؟ قال : بعثنا الخادم فى شغل فكرهنا ان نجعل عليه عملين .

ويتقدم العبد على الحر اذا فضل عليه فى أمر من امور الدنيا أو الدين ، ومن ثم تصح امامته فى الصلاة وتصح امارته ان تحقق له الكفاة للامارة .

وهكذا يتابع الاسلام الموقف حتى يصل بهؤلاء المملوكين الى حالة يندمجون فيها فى المجتمع الاسلامى ضمن حياة انسانية سليمة ، يحصلون فيها على الحرية فى النهاية . فقد جعل الاسلام الحصول على الحرية مصرفا من مصارف الزكاة ، وجعله كفارة يكفر بها المسلم عن اثم ويجبر بها من تقصير ، أو قرابة يتقرب بها الى ربه ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من

ويقول تعالى : " فلاقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة .. "

ويقول : " فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا "

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " عودوا المريض واطعموا الجائع وفكوا العانى "

رواه البخارى .

## مبحث

# المقارنة بين نظرة الاسلام الى حقوق الانسان وبين اعلان هيئة الامم المتحدة

من المعروف ان الجمعية العامة للامم المتحدة اقرت فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ مايسمى "الاعلان العالمى لحقوق الانسان" ودعت فيه الدول الاعضاء الى العمل وترويجه بشتى السبل الممكنة .

وقد اشتمل هذا الاعلان على ثلاثين مادة كان من أهمها النص على انه " يولد جميع الناس احرارا متساوين فى الكرامة والحقوق " وان " لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة فى هذا الاعلان ، دون تمييز بسبب العنصر او اللون او الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأى السياسى ، أو أى رأى آخر ، أو الاصل الوطنى أو الاجتماعى ، أو الثروة أو الميلاد أو أى وضع آخر ، ودون تفرقة بين الرجال والنساء.

كما جاء فى الاعلان النص على انه " لكل فرد الحق فى الحياة والحرية وسلامة شخصيته " وانه " لايجوز استرقاق او استعباد أى شخص وانه " لايعرض أى انسان للتعذيب ولا للعقوبات او المعاملات القاسية او الوحشية او الحاطة بالكرامة " وان " الناس سواسية أمام القانون " وان " لكل فرد حرية التنقل واختيار محل اقامته داخل حدود كل دولة " وان لكل فرد الحق فى ان يلجأ الى بلاد اخرى او يحاول الالتجاء اليها مريبا من الاضطهاد . " وان " لكل شخص حق التملك بمفرده او بالاشتراك مع غيره . " وان " لكل شخص الحق فى حرية التفكير والضمير والدين . " و " حرية الرأى والتعبير .. " و " حق العمل " وامور اخرى اكثر تفصيلا .

وعلىنا هنا ان نقف لنبين اوجه الاتفاق والاختلاف بين هذا الاعلان وبين نظرة الاسلام الى حقوق الانسان كما اوضحناها سابقا .

## أوجه الاتفاق :

لن نقف كثيرا عند أوجه الاتفاق إذ من الواضح ان اعلان هيئة الامم المتحدة لحقوق الانسان وان جاء متأخرا عما قرره الاسلام فى هذا الشأن اربعة عشر قرنا الا انه بوجه عام يتفق مع نظرة الاسلام الى هذه الحقوق فى كثير مما ورد فيها ، بلا لانكون مبالغين فى القول بأن الشريعة الاسلامية واضحة البصمات واضحة التأثير فى اغلب ماورد فى هذا الاعلان . وللقارئ أن يتابع ذلك بنفسه ، ومع ذلك فان الامور التى يقع فيها الخلاف هى من وجهة النظر الاسلامية ، أمور جوهرية لايمكن التساهل فى شأنها

### أولا : أهم هذه الفروق :

انه لضمان جدية هذه الحقوق واحترامها والاذعان لها لابد أن يتوفر لها مانسميه " العقيدة السند " . ونقصد بذلك أن تستند هذه الحقوق على عقيدة ، تؤدى اليها وتشد أزرها ، عقيدة يكون الايمان بها ضمانا للايمان بهذه الحقوق .

ومن الواضح ان هذا الشرط متوفر للحقوق التى يضمنها الاسلام لانها جزء من شريعة الله التى هى جزء من الايمان بالله ورسله وملأئكته وكتبه واليوم الآخر .

فأين هذا من " عقيدة " هيئة الامم المتحدة التى اصدرت هذا الاعلان ؟ أو بعبارة أخرى ماهى عقيدة هيئة الامم المتحدة ؟

إذا اردنا ان نعرفها من الجو الحضارى الذى أقر هذه الحقوق فأننا لانجدها فى الدين ، لان هيئة الامم جزء من النظام العلمانى الذى يسيطر على الحضارة المعاصرة.

فاذا أصررنا على معرفة تلك العقيدة ، فأننا نجدها فيما يسمى " عقيدة التطور " وهى عقيدة تقوم على مبادئ الصراع والانتخاب ، والبقاء للأصلح ، والتغيير المستمر ، وشرعية اباداة الحديث للقديم .. الخ .

فهل تسمح هذه العقيدة بقيام " حقوق الانسان " على اساس ثابت ، يدين له المجتمع؟

ان عقيدة كهذه لايمكن ان تساند حقوق الانسان ، اللهم الا اذا خضعت مفاهيم هذه الحقوق لمفاهيم تلك العقيدة ، فتصبح نظاما قابلا للتغير والتطور والخضوع لارادة



فاذا ألت حقوق الانسان الى هذا الوضع - وهى كذلك الآن - فانها تفقد مقومات وجودها وفعاليتها ، لانها- كما قلنا سابقا - تفقد الثبات من ناحية ، وتفقد " الايمان " الضرورى اللازم لها من ناحية اخرى . يقول مقرر لجنة حقوق الانسان بهيئة الامم المتحدة عام ١٩٥٩ شاكيا من هذا الوضع " ان الازمة الحالية التى تجتازها حقوق الانسان .. مصدرها الحقيقى هو ان الانسان المعاصر لم يعد يؤمن بانه يمتلك تلك الحقوق الطبيعية الخالدة " .

وباختصار فانه لا بد لحقوق الانسان من سند من العقيدة ، أو لا بد لها من " العقيدة السند " وهذا الامر يتحقق لهذه الحقوق كما يقررها الاسلام ، وهو معلوم تمام فى اعلان هيئة الامم المتحدة .

### ثانيا : ومن اهم هذه الفروق

ان حقوق الانسان فى الاسلام ليست كسبا تاريخيا ، ولكنها مجموعة من النعم المعطاة من خالق الانسان .

وينبنى على ذلك : ان هذه الحقوق تتوفر لها شروط اساسية لاستتقيم هذه الحقوق بغيرها ، وهى - اى هذه الشروط - مفتقدة تماما فى الحقوق التى يقررها طائفة من الناس تحت أى ظرف من الظروف .

هذه الشروط هى :

١- ان تقوم على علم تام محيط بالانسان ، علم به فى تكوينه وتطوره ، وظروفه وغاياته القريبة وغاياته العليا .

٢- أن تقوم على الرحمة بالانسان وحبه وتكريمه .

٣- ان تقوم على محض العدل بين الناس دون تحيز .

٤- ان تقوم على احاطة تامة بعلاقة الانسان بالمخلوقات الاخرى مع اثاره وتفضيله على غيره .

هذه الشروط يمكن ضمانها فى حقوق مقررة من الله خالق الانسان والمخلوقات

جميعا ، وهى بالبداية لاضمان لها فى حقوق يقرها طائفة من الناس مهما علا قدرهم  
او اتسع نفوذهم .

### ثالثا : من الفروق الخطيرة

بين نظرة الاسلام لحقوق الانسان ، وبين نظرة هيئة الامم المتحدة ان اعلان هيئة  
الامم المتحدة لم يخل فقط من الاساس الدينى ولكنه حرص على ازالته تماما :-

١- فهو قد جعله فى المادة الثانية عنصرا منكورا شأنه فى ذلك شأن التمييز باللون ،  
أو العنصر أو الجنس ... الخ .

٢- وهو فى المادة الثامنة عشرة نص على " حرية تغيير الدين .." وهذه مسالة  
لانتستيم فى اطلاقها هكذا مع اهم قواعد الشريعة الاسلامية .

٣- وفى المادة السادسة من الاعلان نص على حق التزوج " دون اى قيد من الدين "  
وهنا تأسى المناقضة الصارخة للاسلام .

إذ من المعروف أن الإسلام يقطع بحرمة زواج المسلمة بغير المسلم ، وحرمة زواج  
المسلم بغير المسلمة أو كتابية ، والمرجع فى هذا لايتعلق بقضية الإنسان من حيث هو  
إنسان ، ذلك لأنه من حق أى نظام أن يضع شروطاً للعقود التى يجيزها والتى  
لايجيزها فى التعامل بين الناس ، سواء فى عقد الزواج ، أو غيره من العقود مما  
يحرص فيه على طبيعة النظام الذى يقوم عليه ، ولايضر ذلك بقضية الإنسان شيئا ،  
وإنما يحفظ له نظامه ويكفل له أمنه واستقراره .

إنما يرجع الفرق إلى أن إعلان هيئة الامم المتحدة لايعترف بالدين أساساً فى تنظيم  
أمر من أمور هذه الحياة الدنيا ، فهو يصادر حق الدين ، ويستبعده ابتداء من القضية  
، وفقاً لمفهوم العلمانية الذى يقوم عليه .

وليس من المعقول أن يطلب ذلك إلى الدين ، أو بعبارة أخرى ليس من المعقول أن  
يطلب ذلك إلى الدين الاسلامي ، الذى يقرر حق الدين فى توجيه شئون الدنيا من بداية  
الأمر .

ويتفرع على هذا الفرق أمور أخرى تتعلق بالنفقة وحق الطلاق ، وحق تعدد الزوجات،  
والميراث ، وهى أمور لامجال فيها للإلتقاء بين الشريعة الإسلامية ، وإعلان هيئة الأمم

المتحدة ، لأنها - كما قلنا - ترجع أساساً الى أن إعلان هيئة الأمم المتحدة ، لايعترف للدين بدور في تنظيم هذه الأمور سلباً أو ايجاباً ، فهو إعلان نور فلسفة خاصة ، وعقيدة خاصة ، فليس من حقه أن يصادر على الآخرين أن يكون لهم حق معين فى عقيدة معينة ودين معين ، يلتزمون فيه بشريعة هذا الدين .

## أهم المراجع

- ١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي
- ٢- البداية والنهاية لابن كثير
- ٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للذهبي
- ٤- عيون الأخبار لابن قتيبة
- ٥- الدرر الكامنة لابن حجر
- ٦- الفهرست لابن النديم
- ٧- الفرق من الفرق للبغدادى
- ٨- وفيات الأعيان لابن خلكان
- ٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم
- ١٠- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري آدم متز (جزمان)
- ١١- الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد
- ١٢- فجر الإسلام وضحاها وظهره أحمد أمين
- ١٣- جامع الأصول ابن الأثير الجزري
- ١٤- الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي د/ محمد البهي
- ١٥- سعود المطالع لسعود الطالع عبد الهادي الإبياري
- ١٦- تاريخ العرب فيليب حتى
- ١٧- الإسماعيلية تاريخها وتنظيمها د/ محمد كامل

- ١٨- العصر الجاهلي  
للدكتور شوقي ضيف
- ١٩- كشف الظنون  
للحاجي خليفة
- ٢٠- المدنية الإسلامية  
د/ سعيد عبد الفتاح عاشور
- ٢١- معجم الأدباء  
ياقوت الحموي
- ٢٢- المقدمة  
ابن خلدون
- ٢٣- نشأة المذاهب الكلامية  
للدكتور يحيى هاشم فرغل
- ٢٤- تاريخ الفرق الإسلامية  
للدكتور على مصطفى الفراحي
- ٢٥- المعارف  
لابن قتيبة
- ٢٦- المدارس النحوية  
للدكتور شوقي ضيف

## هوامش الفصل السابع

- ١- ارجع الى مبحث مقاصد الشريعة في هذا الكتاب .
- ٢- انظر الجامع الصغير للسيوطي .
- ٣- انظر كتاب الخراج لابي يوسف ص ١٤٦ .
- ٤- اقرأ رواية توماس هاردي " عمدة كاستربردج " لترى كيف باع البطل الانجليزي زوجته في احد الاسواق ليحصل على ثمنها ويتخفف من منونتها .
- ٥- فهو لا يجيز الحرب بين المسلمين ، وهو لا يجيزها مع غيرهم من المعامدين قبل الاعلان بها وفقا لشروط خاصة ، وهو لا يجيز فيها محاربة الشيوخ والنساء والاطفال .. الخ .

## الفصل الثامن

### (التحديات)

(١)

تمهيد في حقيقة الغزو الفكري والثقافي

للاستاذ الدكتور

يحيى هاشم حسن فرغل





## حقيقة الغزو الثقافي :

الغزو الثقافي بديهية من بدهيات العلاقات بين الدول والشعوب والجماعات المتنافسة بله المتصارعة.

وهو في غالب الأحيان يكون مقدمة للغزو الاستعماري ، أو العسكري أو يكون بديلاً عنه .

والأمة الإسلامية تعرضت للغزو الثقافي منذ التوسع في الفتح الإسلامي، بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وجاء الغزو من الكنيسة كما جاءها من "المجوسية"، و"اليهودية" و"الشعوبية"، ثم من الفلسفة اليونانية.

وفي اعتقادنا أن الغزو الثقافي الذي أحدثته الفلسفة اليونانية للمجتمع الإسلامي كان خطيراً وشديد التأثير في ثقافة الأمة الإسلامية كما صنعها الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن الغزو الثقافي إذا جاء إلى الأمة وهي في حال عنفوانها وقوتها - كما تعرضت له الأمة الإسلامية في الصدر الأول أو القرون الثلاثة الأولى - يحدث أثراً أقل خطراً مما إذا جاءها وهي في حال التفكك والضعف والتدهور والضياع كما هي حال الأمة الإسلامية اليوم.

وإذا كان الغزو الثقافي يأتي إلينا اليوم ونحن في حال أضعف ما يكون بالنسبة للأمة الإسلامية في القرون الأولى ... فإن الأمر الذي لا شك فيه أن هذا الغزو يأتينا اليوم وهو في حال أقوى ما يكون بالنسبة لحالته عندما جاء إلينا في القرون الأولى ..

لقد كان الغزو الثقافي حينذاك يمر من قناة الكتاب، والمناظرة، والمشافهة والتقاليد بطيئة التغير ...

لكنه اليوم يأتينا من خلال ذلك كله، ثم يأتينا أيضاً من خلال الإذاعة والتلفزيون، والسينما والمسرح، والفيديو، والقمر الصناعي والإعلانات .

ثم هو يأتينا من خلال ثغرات خطيرة في بناء الأمة الإقتصادي، والسياسي، والعلمي، والأخلاقي: لا حاجة بنا إلى استقصائها أو بيان أسبابها في هذا المقام.

وهو مع ذلك يتحرك وفق مخططات مدروسة، يعمل فيها : العسكريون والعلماء ،  
والساسة، والاقتصاديين، والمنظرون، والإعلاميون، ورجال المخابرات، ورجال الدين  
إن الغزو الثقافي اليوم يمثل قوة شديدة الخطر لم يبلغها على هذا النحو في حضارة  
سابقة.

والذين لا يدركون هذه الخطورة الاستثنائية - أو يتعمدون إنكارها- يعرضون  
أنفسهم لخطر الإبادة جسدياً، ومعنويةً.

### غزو أم تبادل ثقافي ؟

ومن العجب أن ما قرناه وهو بديهية من البديهيات أو يشبه أن يكون كذلك ... من  
العجب المثير للدهشة والريب أن نجد بعض الكاتبتين ينكرونه..

يتساءل أحدهم (أصبح أن الخصوصية الثقافية لشعب معين قد تتعرض لخطر  
الانهيار إذا هي انفتحت أبوابها لتنفذ منها عوامل خارجية آتية من ثقافات أخرى...  
إنه لو صدق هذا الظن لما عرفت الدنيا شيئاً اسمه "لقاء الثقافات" وماذا يكون هذا  
اللقاء إن لم يكن تأثيراً وتأثراً، يحدث به التبادل بين الثقافات أخذاً وعطاء ...) (١) ؟

إن هؤلاء المنكرين أشبه بطلانغ الغزاة الذين يسبقون الجيوش ... يمهدون لهم  
الطريق، بتخدير الضحية، وتنويمها وإشعارها بالأمن المزيف !!

١- إن صاحبنا يسمى الغزو تبادلاً ثقافياً !! وهو نفسه الذي يدعو إلى "التسلل"  
الثقافي ، عندما يجد ما يسميه "التحجر في عقول الناس" إذ يقول (ماذا يصنع  
من يريد للناس أن يغيروا من أفكارهم ما لا بد أن يتغير ؟ أنه مضطر إلى  
التسلل وراء الجدران ليدهكها بالديناميت ...) (٢)

فهل من التبادل الثقافي هذا التسلل وراء الجدران، أم هو من مقولات الغزو  
والهدم و"الدك" الذي تحدث عنه ؟

٢- ولقد جاء في وثيقة نشرتها إحدى المجلات عرض مركز لنوتين عقدتا بليل،  
لمناقشة بعض مظاهر الصحوة الإسلامية، وفي ندوة من هاتين عبر أحد  
المؤتمرين عن نوايا قومه بقوله : (إن أحد المرتكزات الرئيسية للتأثير في الأغلبية  
الصامتة هو ضرب المرتكزات الأساسية التي تنطلق منها هذه الإتجاهات

الدينية، وأهم هذه المرتكزات قولهم بأن هناك نصوصاً ثابتة صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، فإذا ألقينا الضوء على هذه النصوص وبيننا أنها متغيرة تتغير باختلاف الزمان والمكان، سنكون قد خطونا خطوة كبيرة (٣).

غزو هذا أم تبادل ؟

ثم انظر مدى هذا الغزو ومؤامرتة الكبرى عندما يتعامل مع التراث من منطلق العصر فيقول أحدهم :

(إذا كان مقياس قبول الثقافة التي يعيش في إطارها شعب أو تعديلها : حذفاً وإضافة، هو صلاحيتها لأن تجعل هذا الشعب أقوى وأعلم .. إلخ .. إذا كان ذلك كذلك كان الأمر منطبقاً على ما نأخذه من أسلافنا من مبادئ، إذ يصبح واجبنا نحو أنفسنا أن نملا " الصور المجردة المفرغة" لتلك المبادئ بمضمونات جديدة ...) (٤)

هكذا يتم التعامل مع التراث بافراغه من مضمونه ، وتزييف محتواه. أرأيت إلى ما يتصف به هذا الغزو من إزهاق كامل لمضمون الثقافة، مع المحافظة على "الغلاف"؟

غزو هذا أم تبادل ؟

ولأنه لمن أعجب العجب أنه في الوقت الذي نجد فيه دعاة التفرير يفسحون الطريق للغزو الثقافي الغربي، - عن طريق التظاهر بعدم وجوده - وينكرون علينا المقاومة، ... في هذا الوقت نفسه نجد الغرب نفسه يصرخ بعضه من غزو بعضه .. غزوا ثقافياً.

واليك مثلاً على ذلك ... ففي عام ١٩٨١ قاطع وزير الثقافة الفرنسي " جاك لانج" مهرجان الفيلم الأمريكي الذي يقام سنوياً في مدينة "دوفيل" الفرنسية، ... وفي العام التالي ، كان نفس الوزير يدعو دول العالم الثالث (!!) - في مؤتمر عقدته الأمم المتحدة في مدينة نيومكسيكو - إلى أن تنضم إلى فرنسا في (حروب صليبية) ضد ما أطلق عليه (الإمبريالية الثقافية القادمة عبر الاطلنطي).

وفي عام ١٩٨١ كان رئيس القناة الثالثة في تليفزيون فرنسا يصرخ بقوله : إنه لن يسمح " للزبالة " المرنية المسمومة التي تأتي من أمريكا بالعرض في قناته. وفي عام ١٩٨٣ عقدت ندوة ثقافية في جامعة السوربون لتدارس هذا الخطر إبان هجوم عدد من المثقفين الفرنسيين على المسلسل التلفزيوني الأمريكي الشهير " دالاس " باعتباره نموذجاً مجسماً للإمبريالية الثقافية (٥) .

هكذا يمارسون " صحوهم " .....

أما نحن فتأتي طلائع " الغزو " لتخديرنا بقولهم هذا "تبادل"

٥- وأليس غزواً ثقافياً ذلك الذي تعبر عنه المعركة الخطيرة التي ظلت سنين طوالاً في أروقة " اليونسكو " حتى أطاحت المؤامرات الأمريكية الإستعمارية بأحمد مختار امبو " السنغالي جنسية المسلم ديانة، والذي ظل مديراً عاماً للمنظمة ثلاثة عشر عاماً ؟

أطاحت به تلك المؤامرات، لا لشيء إلا لأنه كان يوجه المنظمة بالطريقة التي رأى فيها - بالأسلوب الديموقراطي - مصالح أغلبية الشعوب والدول المشتركة فيها دون حساب لسيطرة الغرب، يقول الرجل : ( لقد اعتادت الدول الغربية أن تفرض رأيها باعتباره الصائب الوحيد، وأن تفرض ثقافتها باعتبارها الصالحة الوحيدة .. أما ما عداها من ثقافات وحضارات .... فهي لا تعدو أن تكون تابعاً ليس أمامه سوى استلهاام النموذج الغربي ، واستيراده معلقاً جاهزاً ... ) .

يقول الأستاذ الصحفي " صلاح حافظ " معلقاً على ذلك :

(إن ذلك لم يكن مريحاً بأي حال للدول الكبرى ... التي عملت لقرون ومازالت لتمسح الذاتية الثقافية للشعوب الصغيرة الفقيرة، لكيلا يبقى فكر أو ثقافة أو شعور بالكبرياء القومي (إلا عندها) (٦) .

تبادل ثقافسي هذا ..... ؟

٦- ومهما يكن من حال " اليونسكو " مع مختار امبو أو بعده، فقد جاء في برنامجها الرئيسي الثالث عن " السلام والتفاهم الدولي وحقوق الشعوب " - وقد اطلعنا عليه - ما يعتبر جزءاً من استراتيجية الغزو الفكري للشعوب المستضعفة.

إن البرنامج يوصي المؤسسات التربوية - بإلحاح - ببيت نوع من التربية في جميع مراحل التربية والتعليم : تركز للسلام، وتتزعج إلى كراهية الحرب .

والأمر الذي لا شك فيه أن الاستجابة لهذه التوصية، والمشاركة في تنفيذها يمثل خطراً شديداً على الشعوب التي لا تزال رازحة تحت نفوذ الدول الكبرى ، ولا تزال مسلوقة الحقوق على المستوى السياسي والإقتصادي والثقافي ، وبخاصة تلك التي لم تنل بعد حق تقرير المصير على أرضها وترباها ...

إن مثل هذه التوصية تعني المشاركة في تنفيذ خطة العدو الذي من مصلحته بعد أن سلب ما سلب ونهب ما نهب، وبعد أن جثم بظله الثقيل على مصير الأمم المغلوبة : من مصلحته أن يقضي قضاء مبرماً على مقاومة هذه الأمم، ومن هنا يتسلل إلى مشاعرها بخطة السلام هذه ، ليضمن استسلامها إلى الأبد.

وإذا كان السلام أمنية الشعوب جميعاً - وهو كذلك بحق - فالواجب أن تطبق خطة السلام التربوية هذه - أولاً - بين الشعوب الغالبة ، ولا تصدر إلى الشعوب المغلوبة إلا بعد حصولها على حقوقها كاملة ؟

ولعل هذا الترتيب يمثل المفهوم الإسلامي للسلام. إذ يقدم فعل الشرط (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ..) والجنوح للسلم يعني الدخول فيه بالفعل، برفع المظالم، ورد الحقوق، لا مجرد وضع برامج الدعاية والتغفل الثقافي، وتصديرها بخبث إلى الشعوب التي ما يزال أمامها درد طويل من الجهاد حتى تنفض عن جسدها ثوب الذل والإنكسار.

إن مثل هذا البرنامج خبيث الطوية، متعارض مع الخلق والعدل والدين، ولعل تعاليم الإسلام كانت واقفة بالمرصاد لأمثال هؤلاء في تربية الرسول للمسلمين في قوله صلى الله عليه وسلم " من لم يفرز ولم يحدث نفسه بفرز مات ميتة جاهلية "

إن سماسرة الغزو هؤلاء هم الذين وضعوا لليونسكو نفسها شعار " الحروب تنشأ في عقول الرجال والسلام كذلك ". وقد استقر هذا الشعار - من قبل - كمبدأ في العلوم الاجتماعية والنفسية والسياسية، وعليه فلا بد - في منطق الغزو الثقافي - من تدمير فكرة الحرب في العقل ، أي في لحظة المنشأ ، ولكن

.. في عقول أبناء الشعوب المقهورة على وجه الخصوص باعتبار أنها هي الشعوب التي تدفعها ظروفها إلى المقاومة والجهاد.

هكذا يكون الغزو الثقافي عن طريق اليونسكو

إن الغزو الثقافي هنا حقيقة دولية حضارية لا ينكرها غير معتوه أو عميل...

٧- ولقد مارست إسرائيل معنا - ولا تزال - هذا الغزو الثقافي بدعوتها إلى سلام مزيف ، مقتول .

لقد جاء في الملحق (٣) من معاهدة السلام الموقعة في واشنطن في مارس ١٩٧٩ أنه (يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ، ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية للطرف الآخر).

لقد تخوف الكثيرون من هذا النص، لكن ماذا يفعل الغزاة بنصهم ذاك والقرآن يتلى في كل بيت - لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا.

إن القرآن هنا بوجوده في كل قلب، وعلى كل لسان، هو من وجهة النظر الإسلامية يعمل على تقوية الجبهة الثقافية لتكون جاهزة للاستدعاء إلى المعركة في أي وقت. لكنه على كل حال منطق الغزو الثقافي.

٨- فإذا رجعنا إلى اليونسكو في آخر مبادراتها معنا نجدها سخية كريمة لإحياء مكتبة الإسكندرية.

واسمع ما يقوله أحد الكتاب - وهو من أشد المؤمنين بعالمية الثقافة كما يقول - عما تمثله هذه المكتبة القديمة من ثقافة أجنبية حملها الغزاة إلى مصر، وأرادوا بها الإستيلاء عليها ثقافياً كما استولوا عليها عسكرياً، وحيث وجدت من المصريين القدماء مقاومة عنيفة، يقول (أنت تصالغ أسماء العلماء والأدباء الذين ظهروا في إسكندرية البطالمة والرومان والبيزنطيين فلا تكاد تجد إلا أسماء يونانية من أمثال : إقليدس، وأرشميدس، وأفلوطين وكاليماخوس، وثيو قريط. بل إنك تجد فيها من اليهود أمثال المؤرخ: يوسيفوس، والفيلسوف فيلون، والكاتب اليهودي أرسطوس ، أكثر مما تجد من المصريين الذين لا نعرف منهم إلا المؤرخ

مانيتون)...

ثم انظر إلى عملية الأواني المستطرقة كيف تحقق أثرها فيما بين الغزو الثقافي والعسكري عندما تعرف كيف (استغل أرسطوس اليهودي - المذكور سابقاً - نجاحه الذي حققه في مجال الثقافة، فطلب من ديمتريوس - أمين المكتبة المذكورة التي أنشئت في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد - أن يتوسط لدى بطليموس الأول حتى يطلق سراح المنفيين اليهود المعتقلين في سجون البطالة، وكانوا حسب تقدير بعض المؤرخين يبلغون مائة ألف ، فتحقق لأرسطوس ماأراد) ثم يقول كاتبنا الشاعر (ونحن لم يصل إلى علمنا أن المصريين عوملوا أو عوملت ثقافتهم بمثل هذه الحفاوة البالغة في بلادهم خلال حكم البطالة والبيزنطيين). (٧)

هكذا ...

وتلك هي مكتبة الإسكندرية التي لا يمكن فصل بعثها اليوم عن حلم طه حسين في توجيه مصر إلى الانتساب إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، وهي خطوة في طريق ...

تلك هي مكتبة الإسكندرية القديمة، التي صحنوا على كابوسها هذه الأيام بتحريض ودعم "كريم" من اليونسكو ...

وهذا هو دور اليونسكو العالمي في الغزو الثقافي .....

فهلا تكلمت علينا اليونسكو ببرنامج بعث "الكتابيب" التي تعني بتحفيظ القرآن الكريم كما فعلت مع مكتبة "الإسكندرية"؟؟

طبعاً لا ، والسر هو في منطق الغزو الثقافي

٩- ثم استمع عزيزي القارئ إلى شهادة ثقافية عالمية بكيفية "صناعة الغزاة الثقافيين" هؤلاء وكيف يستخدمون عندما يعودون إلى بلادهم ؟

يقول الفيلسوف الفرنسي الشهير جان بول سارتر في مقدمة كتاب "المنبئون في الأرض" (٨)

(كنا نحضر أبناء رؤساء القبائل وأبناء الأشراف والأثرياء والسادة من افريقيا

وأسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في لندن وباريس وأمستردام، فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الإجتماعية الجديدة، ويرتدون السترات والسراويل، ويتعلمون لغتنا وأساليب رقصنا، وركوب عرباتنا، وكنا نزوج بعضهم من أوروبا، وتلقنهم أسلوب الحياة، على أثاث جديد، وطرز جديدة الزينة، واستهلاك أوروبي، وغذاء أوروبي.

كنا نضع في أعماق قلوبهم أوروبا، والرغبة في تحويل بلادهم إلى أوروبا، ثم نرسلهم إلى بلادهم، حيث يرددون ما نقوله بالحرف تماما، مثل الثقب الذي يتدفق منه الماء في الحوض، هذه أصواتنا تخرج من أفواههم، وحينما كنا نصمت كانت ثقب الأحواض هذه تصمت أيضاً، وحينما كنا نتحدث كنا نسمع انعكاساً صادقاً وأميناً لأصواتنا من الحلق التي صنعناها، وكنا واثقين أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم، ليس هذا فحسب، بل إنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم.)

١٠- ثم انظر ماذا يقول سلامة موسى، وهو ثقب حوض من الثقوب التي تحدث عنها سارتر، إنه يقول ( إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، لأنها تقوم على أصل كاذب، فإن الرابطة الدينية وقاحة ) (١) .

هكذا وصلنا إلى الثمرة المسمومة لهذا الغزو، على يد ثقب الأحواض الذين تحدث عنهم سارتر.

فيا أيها الذين تتحدثون عن التبادل الثقافي وتسربلون بزيفه وخداعه :

تبادل ثقافي هذا ؟ تبادل للرأي ؟ انفتاح فكري ... ؟

أم هو تسلل ثقافي ، وغزو جبان ؟ و " خُرْ ثقافي من حوض الأعداء المسموم ؟

\*\*\*\*\*

ميادين الغزو الثقافي ووسائله، ونتائجه إجمالاً :

يتوجه الغزو الثقافي أول ما يتوجه إلى العقيدة، ليزيفها أو ينقص منها ، أو يزيد



عليها ، أو يبدلها ، أو يعيد تركيبها ...

وقد يحدث ذلك عن طريق مجموعة من الفلسفات المادية كالماركسية، والوضعية، والمنطقية الوضعية، والبراجماتية، ... وغيرها من المذاهب التي تعمل على هدم العقيدة ونشر الإلحاد (١٠). أو يحدث عن طريق " التبشير " .

ثم يتوجه إلى العبادة : ليسخفها أو يهون من شأنها أو يقلل من تأثيرها ، أو يضيف إليها ، أو يساوي بينها وبين عبادات مبتدعة (١١) .

ثم يتوجه إلى منظومة القيم : ليقطعها عن مصدر غذائها الإلهي، أو ليلغي بعضها ، ويفرغ بعضها من محتواه ، ويزرع في بعضها محتوى جديداً، ويعيد ترتيب أولوياتها (١٢) .

ثم يتوجه إلى النظم والتقاليد، في نظام الحكم والتشريع والإقتصاد والسياسة والأسرة، حيث يفصل ذلك كله عن مصدره الديني، ويزرع بدلاً منه أنظمة جديدة غربية، في القومية العرقية، والرأسمالية الربوية، والإشتراكية الشيوعية، وحرية الفن والأدب ... إلخ (١٣) .

وهو يتوسل لهذا الغزو كله " بالعلمانية " ، التي تُنظَر لهذا الغزو وتخدمه جميعاً، أو بعبارة أخرى أدق : بالعلمانية التي تضرب جهاز المناعة في ثقافة الشعب، ليدخل الغزاة من كل حذب وصوب، يدخلون كما يدخل الجراد، أو كما يدخل الذباب، أو كما تدخل الذناب ... سيان، فالغريسة أصبحت مريضة أو مستسلمة.

وهو يتوسل أيضاً في غزوه ذاك كله بأنوات حديثة مطواع، يقولون عنها " محايدة: في الإعلام، في الصحف، والإذاعة والتلفزيون، وشرائط الكاسيت الصوتية، والفيديو ... تلك التي تفتح الحدود والسدود : إذ تنفذ من خلال الأبواب الحديدية المغلقة، وتتسلق من فوق الأسوار الصلبة الشامخة، وتمر من تحت أنظار الرقباء، كما تتساقط مع موجات الكهرباء. وأخيراً فما هي النتيجة التي يتوصل إليها هذا الغزو ؟

إنه بعبارة حاسمة : يقتحم الشخصية ويدمرها ... شخصية الفرد ، وشخصية المجتمع .

وهنا يظهر أثر هذا الغزو ... فهو مع كونه وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها دعاة

الإلحاد للقضاء على الإسلام بوجه خاص، فهو بوجه عام له أثره العام : إنه اقتحام للشخصية : وهو اقتحام يستهدف تغيير هذه الشخصية لحساب الثقافة الفارسية، والنتيجة التي يسفر عنها هذا التغيير : إما عبودية ، وإما ضياع كامل ، عبودية النموذج الثقافي بوجه عام، والشئ المستحيل هو أن ينقلب النموذج القديم إلى نسخة من النموذج الجديد، أو أن ينقلب إلى نموذج جديد مستقل صحيح.

ذلك أشبه بمحاولتك تغيير بكر ليكون زيداً، فنولاً يستحيل أن يكون بكر زيداً، وثانياً إما أن يصبح بكر العوبة في يد زيد، وإما أن تتمزق شخصية بكر لتصبح في حكم الضياع.

إن الأمر هنا يصبح كما يقول المفكر الإنجليزي ت.س. اليوت في شأن المجتمع الأوربي " إذا ذهب المسيحية فستذهب كل ثقافتنا، وعندئذ يكون عليك أن تبدأ البداية المؤلمة من جديد، ولن تستطيع أن تلبس ثقافة جديدة جاهزة، يجب أن تنتظر حتى ينمو العشب ليفنوا الضأن ، ليعطى الصوف الذي ستصنع منه سترتك الجديدة، يجب أن نمر بقرون كثيرة من الهمجية، ولن نعيش إذن لنرى الثقافة الجديدة، لا نحن ولا أحفادنا، ولو عشنا لما سعد بها واحد منا " (١٤) .

ونحن نقول : إذا ذهب أسلامنا فستذهب كل ثقافتنا وعلينا حينئذ أن نستسلم للعبودية، التي يفضلها الضياع، عنئذ يقول الكافر "يا ليتني كنت تراباً".

(٢)  
العلمانية

للأستاذ الدكتور  
يحيى هاشم حسن فرغل



## المدخل

### مفهوم العلمانية:

العلمانية بفتح العين نسبة غير صحيحة إلى العالم ، وقد ينحرف البعض في فهمها بجعلها نسبة إلى العلم. وهو خطأ معنوي. ذلك لأن مفهوم العلمانية بنسبتها إلى العالم أي إلى عالم هذه الحياة الدنيا، يعني توجيه الاهتمام إلى ما يتعلق بالحياة الدنيا وإسقاط الاهتمام بالحياة الآخرة، وبعبارة أشمل وأدق : تعنى إما مجرد استبعاد "الدين" من توجيه شئون الحياة الدنيا في السياسة والاقتصاد والعلم والأخلاق والتربية، بأن يترك له دائرة الوجدان المحصور في ساعة العبادة - وهذا هو المفهوم السائد في أوروبا الغربية والبلاد التي ترفع شعار الديمقراطية الرأسمالية -

وأما أنها تعنى إسقاط الدين بالكلية واعتباره أفيوناً للشعوب يخدرها عن الاهتمام بحياتها التي لا حياة بعدها ، أو اعتباره أيديولوجية مصطنعة تنسجها الطبقة الحاكمة لمصالحها الاقتصادية الخاصة، وهذا هو المفهوم السائد في أوروبا الشرقية والبلاد التي ترفع شعار الشيوعية أو تدعو إليها .

هذا وثنا كانت العلمانية بمفهوم " الإستبعاد " أو بمفهوم " الإسقاط " تنفى الدين من مجال التأثير في توجيه شئون الحياة الدنيا، فإنها بحسب الظروف والدعوى التي نشأت في ظلها تستدعي "العلم" ليقوم بهذا التأثير، وهذا هو عذر المخطئين في الخلط بين مفهوم العلمانية، ومفهوم العلم.

### أساليب الترويج للعلمانية :

إن سيطرة العلمانية يروجون لها في البلاد الإسلامية بمجموعة من الإدعاءات:

الأولى : أنها سر التقدم في أوروبا .

الثانية: أن الإسلام " الحاكم للحياة الدنيا " قضية مرفوضة أساساً، وأنه أي .. الإسلام الحاكم - أثبت فشله في التطبيق.

الثالثة: أنها - أي العلمانية - لا تتعارض مع الإسلام.

ثم هم بعد ذلك يفرضون ستاراً من الظلام على " الفشل " الحتمي، والخراب الذي تجره هذه العلمانية على الشعوب الإسلامية التي ترفضها وسنكشف فيما يلي الوجه القبيح لهذه الادعاءات .

## الإدعاء الأول

---

### إدعاء أن العلمانية هي سر التقدم في أوروبا

ونحن نناقش هذه الدعوى من جهة نشأة العلمانية في أوروبا، وفي ذلك نبين أن الدوافع والأسباب التي أدت إلى ظهورها في أوروبا لا وجود لها في البلاد الإسلامية، ومن هنا فلا مجال لها في هذه البلاد .

### نشأة العلمانية

---

نشأت العلمانية في الغرب كاتجاه يستبعد الدين من الترجية في مجال العلم والسياسة والأخلاق والاقتصاد، وذلك عندما رأى بعض رجال النهضة الأوروبية أنه لا بد من الثورة على الكنيسة للتخلص من معوقات النهضة.

ففي مجال العلم : كانت الكنيسة تقف حائلاً ضد أي اكتشاف علمي أو نظرية علمية لا تتفق مع مقررات الكنيسة وتعاليمها الموروثة على مدى قرون، كما حدث بالنسبة لنظرية دوران الأرض حول الشمس، التي كشف عنها كوبرنيكوس (١٤٧٣-١٥٤٣م)، وكانت مناقضة تماماً لنظرية بطليموس التي كانت تقضي بثبات الأرض ومركزيتها بالنسبة للشمس والتي ظلت مهيمنة على عقل الكنيسة والمسيحيين لمدة خمسة عشر

قرناً تقريباً، وعندما توصل كوبرنيكوس إلى نظريته تردد في نشر بحثه مدة طويلة، يقول كوبرنيكوس في كتابه إلى البابا بولس الثالث : (إنني ترددت لمدة طويلة ، هل أنشر ما كتبت للبرمته على حركة الأرض أو أحنو حنو أتباع فيثاغورث الذين دأبوا على الإفشاء بأسرارهم الفلسفية لأقاربهم وأصدقائهم شفوياً، وعندما تأملت في هذا كثيراً كنت أضع هذا العمل جانباً بسبب الإزدراء الذي يحق لي أن أتوقعه لكون نظريتي جديدة وعلى نقيض ما يقبله العقل ؟) (١٥).

وقد عارض النظرية كل من العامة وطلبة الجامعة ورجال الكنيسة، بل عارضها الثائرون على الكنيسة البابوية من رجال الدين أنفسهم.

يقول مارتين لوثر عن كوبرنيكوس (..يريد ذلك الأحقق أن يقلب علوم الفلك كلها رأساً على عقب، ولكن كما يقرر الكتاب المقدس أن الشمس نفسها وليس الأرض هي التي أمرها يوشع بأن تقف ...) (١٦) .

وأكد جون كلفن من كبار قادة الإصلاح الديني : أن الأرض ثابتة مستشهداً بالزمور ٩٣ " وكذلك ثبتت المسكونة لا تتزعزع " وسأل باحتقار ( من ذلك الذي يجرؤ على وضع سلطة كوبرنيكوس فوق سلطان الروح القدس؟).

وقررت الكنيسة الكاثوليكية (أن الإقتراح القائل بأن الشمس هي المركز وأنها لا تدور حول الأرض حماقة وسخف وزيف في علم اللاهوت، وهرطقة لأنه يناقض على طول الخط ما جاء في الكتاب المقدس. وأما القول بأن الأرض تدور حول الشمس وليست في المركز فسخيف وزائف فلسفياً، ومن الناحية اللاهوتية يعارض - على الأقل - العقيدة الحقيقية).

وفي عام ١٦١٦ وضع كتاب كوبرنيكوس في قائمة الكتب المحرمة وأدين جميع الكتابات التي تزيد حركة الأرض.

وحوكم برونو على اعتناقه لآراء استاذاه والتي زاد عليها القول بأن الفضاء غير محدود وأن الشمس وكواكبها ليست سوى واحدة من عدة مجموعات مشابهة وأن هناك احتمالاً لوجود عوالم أخرى مسكونة تضم مخلوقات عاقلة تماثل عنها.

حوكم برونو أمام محكمة التفتيش وأدين وأحرق مربوطاً إلى عمود في فبراير ١٦٠٠.

أما الحكم الذي نزل بالعالم الفلكي الإيطالي جاليليو فكان أخف من ذلك .. إذ مثل أمام محكمة التفتيش في عام ١٦٣٢، فهددته بالقتل والتعذيب وأجبرته على أن يجثو على ركبتيه ويدحض جميع معتقداته ونظريات كوبرنيكوس، وحكم عليه بالسجن بقية أيام حياته.

ولم يقتصر الأمر على معارضة الكنيسة وقادة الإصلاح الديني والعام بل وصل إلى أن حاول أحد مؤسسي المنهج التجريبي (كما يقال) وهو فرنسيس بيكون دحض فكرة دوران الأرض حول الشمس .

ولم تفرض نظرية كوبرنيكوس نفسها إلا بعد فترة طويلة وبمجهودات علماء آخرين من أمثال برونو، ونيكوبراهي ، وكبلر، وجاليليو، واسحاق نيوتن (فكانوا هرما من البراهين التي لا تقبل الجدل...) وحذفوا ما كان فيها من عيوب ثانوية، يقول العالم الفلكي المبرز هارلان تروستاتون (لو طلب مني اختيار ثلاثة أسماء لمشاهير الرجال الحقيقيين في تاريخ العلم لقلت كوبرنيكوس ونيوتن، ودارون، ولو طلب إلى اختيار أعظم هؤلاء لكان هو كوبرنيكوس لأنه هو الذي وضع أسس علم الفلك الحديث التي بدونها ما كان لنيوتن أن يبني قانونه عن الجاذبية) (١٧)

ومع ذلك ظلت أراؤه محرمة إلى ما بعد وفاته بثلاثة قرون، حيث اجتمع في وارسو - مايو ١٨٢٩ - حشد عظيم من الناس لإحياء ذكراه، وسار الحشد إلى الكنيسة، وانتظروا رجال الكهنوت، فلم يظهر أحد منهم، وفشل الحفل ، وذلك لأن كتابه لم يرفع بعد من (قائمة الكتب المحرمة على المؤمنين) إلا بعد خمس سنوات من هذا التاريخ(١٨).

ذلكم كان في علم الفلك

وهناك أمثلة كثيرة في علوم وأنشطة أخرى :

في الجغرافيا، والأخلاق ، والإقتصاد ، والسياسة.

تلك هي الأرض السبخة التي أنبتت العلمانية في أوروبا فأن هذا من أرض الإسلام؟

إنه في أرض الإسلام تنعدم هذه الأسباب الأمر الذي يجعلنا نقرر أن الدعوة إلى العلمانية في البلاد الإسلامية هي دعوة إلى نتائج بغير أسباب فهي تنتمي إلى عالم الخرافة لا إلى عالم الحقيقة.



## الإدعاء الثاني

### إدعاء أن الإسلام قد ثبت فشله في التطبيق

هنا نتعرض لتفنيد الخرافة العلمانية الثانية وهي زعمهم أن الإسلام باعتباره حاكماً لهذه الحياة قد ثبت فشله في التطبيق .

يقول الدكتور فؤاد زكريا :

( أما التجارب التاريخية فلم تكن إلا سلسلة طويلة من الفشل، إذ كان الإستبداد هو القاعدة والظلم هو أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والعدل والإحسان والشورى وغيرها من مبادئ الشريعة لا تعدو أن تكون كلاماً يقال لتبرير أفعال حاكم يتجاهل كل ماله صلة بهذه المبادئ ).

أما الإستشهاد بعهد الخلفاء الراشدين فيقول : ( هو في ذاته دليل على أنهم لم يجدوا ما يستشهدون به طوال التاريخ التالي الذي ظل الحكم فيه يمارس باسم الشريعة، أي أن التطبيق الذي دام ما يقرب من ثلاثة عشر قرناً كان في واقع الأمر نكراًناً لأصول الشريعة وخروجاً عنها ).

ويقول (ألا يعلم هؤلاء الدعاة الأفاضل أن عمر بن الخطاب شخصية فذة فريدة ظهرت مرة واحدة ولن تتكرر - فلماذا يداعبون أتباعهم بالأمل المستحيل).

وعلى أية حال فنحن نرجع إلى مزاعم هذا العلماني وأمثاله لنبطلها من عدة جهات.

\*\*\*\*

أولاً : ما قدمه الإسلام كنظام في حياة المسلمين :

(١) يقول توماس كارليل المفكر الإنجليزي الشهير:

(لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلام إلى النور.

وأحياه من العرب أمة هامة، وأرضاً هامة .. وهل كانت الافة خادمة فقيرة.. فإذا الخمول قد استحال شهرة، والغموض نباهة، والضعفة رفعة والضعف قوة، والشرارة حريقاً وسع نوره الأنحاء، وعم ضومه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند، ورجل في الأندلس وأشرقت دراسة الإسلام حقبة عديدة ودهوراً مديدة بنور الحق والهدى على نصف المعمورة (١٩)

إن الدكتور فؤاد زكريا يغمض عينيه عن الفترة الذهبية في تطبيق الشريعة الإسلامية، ثم ينظر إلى سوء التطبيق في فترة أخرى .. ويخلص من هذا النظر إلى أن الفكرة في ذاتها لا تصلح للتطبيق اليوم (٢٠) .

وهذا منطق الهوى لا منطق البحث عن الحقيقة ..

ونحن نقول : إذا كان من المسلم به أن عصر الخلفاء الراشدين كان العصر الأقرب إلى مثالية النظام الإسلامي ، فإن هذا لا يعني شنوذية هذا العصر، وإنه كما يقول العلماني، عن عمر بن الخطاب (شخصية ظهرت مرة واحدة ولن تتكرر) . هذا قول غير صحيح في مقياس النظرة العلمية التي من شأنها أن تؤمن بموضوعية السبب والنتيجة، وأنه كلما حصل السبب كان لابد للنتيجة أن تحصل، وليس في الأمر خصوصية فرد، أو معجزة عصر، وكان أجدر بهذا العلماني ألا يلجأ إلى مثل هذا القول لو أخلص لمنهجه العلمي.

والنظرة العلمية تسجل الظاهرة لتبحث عن أسبابها، ولا تقفل باب البحث بمقولة حادثة (حصلت مرة واحدة لن تتكرر).

على أن النظام الإسلامي لم يكن مجرد حادثة عابرة ولكنه كان عصراً إنسانياً وأجيالاً بشرية عاشت على أرض الواقع ولم يكن سبب لظهورها غير النظام الإسلامي.

والنظرة العلمية هنا تقول لنا - تبعاً لمنطق السبب والنتيجة- أنه حيث يتوفر السبب - وهو النظام الإسلامي - يظهر الإنسان المشابه لإنسان عصر الخلفاء الراشدين.

فالعلماني قد اعترف بظهور النظام الإسلامي في مجال التطبيق، وعليه أن يعترف بإمكانية التكرار كلما اجتمعت الأسباب النابعة من هذا النظام.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن القول بأن النظام الذي يثمر أبا بكر وعمر ولو على سبيل الندرة المطلوبة لهو أفضل من الأنظمة الأخرى التي لم تثمر شيئاً من ذلك.

إن الشنود أو الندرة المطلوبة هنا - مع كونها كذلك - تظل مقياساً تقاس به طبيعة الأنظمة ومدى ما تصل إليه في مدارج الصلاح أو الفساد.

فالنظام الذي يكون أقصى ما يصل إليه - بالندرة - أن يقدم شخصية عمر، غير الذي يكون أقصى ما يصل إليه شخصية الإسكندر - بالندرة أيضاً ، وهو غير النظام الذي يكون أقصى ما يصل إليه شخصية ستالين - بالندرة كذلك ، وهو غير النظام الذي يكون أقصى ما يصل إليه - بالندرة : - نعم - شخصية مايكل جاكسون المخنث " العظيم "!!

مع دخول أولئك جميعاً في خانة الندرة المطلوبة لكن لكل دلالة على " نظامه " .

\* \* \*

على أنه من المبالغة المفروضة القول بأن النظام الإسلامي اختفى منذ انتهى عصر الراشدين، مهما يقل ذلك الناقدون لمسيرة النظام الإسلامي سواء فعلوا ذلك من حسن النية والتطلع الدائم إلى الأفضل، أو فعلوا ذلك بدافع من الحزبية السياسية أو فعلوا ذلك بدافع من سوء النية (٢١)

يقول السلطان عبد الحميد في الرد على دعوى العلمانيين في فشل الإسلام :

(لقد أنطق رب العزة البروفسور (وامبري) بالحق حين قال :

" إن وصف الإسلام بأنه عدو الحضارة هو عمل الجاهلين الحمقى والمتعصبين ، وهو شيعة النصارى المقلدين " وأضاف " إن فكرة أن الإسلام عدو الحضارة لا تستحق حتى الرد الجدي عليها "

لقد أظهر المسلمون في القرون الوسطى براعتهم في شتى نواحي العلوم والفنون فكيف يوصف ديننا بأنه عدو التقدم. أليس هذا أمراً مضحكاً؟

أو تعامياً عن الحقيقة ؟ ولم يكن (وامبري) أول من يعترف بهذه الحقيقة. بل أعرف كثيراً من الأوربيين ممن تعرفوا إلى الثقافة الإسلامية ... يشاركون ذلك البروفيسور في هذا الرأي ..)

ثم يشير السلطان إلى الداء الحقيقي الذي صنع التخلف : ألا وهو البدع. بعكس ما يظن العلمانيون أو يروجون له . وهذا هو ما يجب علينا أن نؤكد عليه دائماً.

يقول ( يجب أن نعترف بأنه دخل في الإسلام شئ من البدع، أما الأسس الثابتة فقد بقيت ساطعة ثابتة كما حدث مؤخراً بعض التغيير النفسي البطيء في المسلمين. (٢٢)

ولقد استمر الإنجاز الحضاري الإسلامي إلى ما قبل الاستعمار الغربي، يقول الدكتور عمر فروخ ( لقد بقي أسلافنا ناشطين في التأليف الثقافي إلى أواسط القرن الثاني عشر للهجرة - أواسط القرن الثامن عشر للميلاد - هذا النشاط يدل على اهتمام المجموع العربي الإسلامي بالموضوعات التي جمعت تلك النواحي الثقافية.

إن عندنا في أواخر هذه الفترة كتاباً في آلات الحرب والمدفع لأحمد بن غالب الأندلسي وهو مغربي .

ثم كتاباً غاية في الإتقان في حركات السبع الكواكب السيارة .

ثم كتاباً في الطب الجديد لصالح بن نصر الله الحلبي

ثم كتاباً وبحوثاً قيمة في الفلك لرمضان بن الصالح بن عمر السفطي.

ثم الكتاب الجامع - كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي - .. تلك بضعة أسماء من مئات وألوف من أمثالها من هذا العصر الذي يسميه نفر من الناس ظلاماً عصر الإنحطاط ..) (٢٣)

\* \* \*

ويكشف الدكتور عمر فروخ النقاب عن الأكنوبة التي روج لها بعض المثقفين وهي أن المسلمين في هذه الفترة المتأخرة إذ لم يبرعوا في الأدب الوجداني في الشعر خاصة،

فإنهم بالتالي لم يبرعوا في ذلك الحين في ميادين أخرى .. وأنهم عاشوا بذلك عصر  
ظلام وانحطاط ..

ويؤكد أن هذا مقياس مضلل ، وأن الواقع مخالف لذلك ، ويقول مستشهداً

(إننا إذا بحثنا اليوم في الولايات المتحدة لم نجد أديباً كبيراً مبدعاً أو موسيقياً  
بارعاً مبتكراً، أو رساما قديرا خلّاقا فلا يجوز لنا أن نقول : أن الولايات المتحدة اليوم  
في عصر انحطاط.) (٢٤) .

\* \* \*

وإذا كانت الإشارات التي ذكرناها قليلة كمياً بالنسبة لما أنجزته الحضارة المادية  
المعاصرة فإن أهم ما تنجزه الحضارة هو نقاط البداية، واستمرار التأثير الفعال لهذه  
البدايات، ولقد اعترف بفضل الإسلام في هذا المؤرخ العلمي الشهير الأستاذ جورج  
سارتون في كتبه وبخاصة في كتابه الأخير " تاريخ العلم والأنسية الجديدة" (٢٥)

\* \* \*

تلك في الحق إشارات موجزة لما قدمه النظام الإسلامي لأتباعه بخاصة وللإنسانية  
عامة :

في مستوى المعيشة

والحكم .

والأمن .

والتعليم .

على السواء .

وهي مطالب الحضارة تبعاً للمقاييس الإنسانية التي تقاس بها الحضارات في  
مختلف العصور .

\* \* \*

ثانياً : وبعد : فماذا عن الدمار الذي تنذر به الحضارة الصناعية المعاصرة من  
خلال التقدم الصناعي نفسه : وبخاصة في مجال التلوث البيئي ؟..

يقول باري كرموز - كما ينقل الأستاذ راشد الحمر ومحمد صباريني - في كتابه الشهير "الدوامة" : أنقذوا الإنسان من الموت المؤكد، ساهموا في مكافحة التلوث، إن مدينة قبائل البوشمن في إفريقيا الوسطى الجافة هي أرقى - على بدائيتها من مدينة الإنسان المعاصر في البيئة المرفهة الأمريكية).

إن حماية البيئة والمحافظة عليها هي الشغل الشاغل للإنسان اليوم . (قلم يعد من المقبول القول بأن الإنسانية يجب عليها أن تعدل سيرها وتتمشى مع احتياجات التكنولوجيا بل إن النظرة الحالية ترى أن الصناعة يجب أن تتمشى مع طبيعة الإنسان وتعمل ضمن قيود بيئية صارمة. وهل مقياس الحضارة أن تقل نسبة الأوكسجين بالهواء في بعض مدن اليابان حتى تضطر الحكومة لوضع مصادر للأوكسجين في الشوارع يستعملها رجال البوليس في الأيام السيئة؟)(٢٦).

يتحدث الدكتور/ يوسف عز الدين عيسى عن انتحار هذه الحضارة من نفس ذروة القوة التي وصلت إليها :

فيقول :

(نحن من أن لآخر نسمع ونقرأ عن أناس يتحدثون عن التقدم العلمي متصورين أن استخدام الطاقة الذرية مظهر من مظاهر هذا التقدم ومن مستلزمات الحضارة الحديثة(!) ولكن الأمر على عكس ذلك تماماً، إذ ما فائدة الحضارة والتقدم التكنولوجي إذا كان كل هذا مهدداً بالزوال في أي لحظة في أي مكان بما يحويه من تراث بشري نتيجة لهذا التقدم المزعوم المشنوم؟! كما تؤلني وتصدمني بعض التصريحات التي أقرؤها أو أسمعها أحياناً من علماء من المفروض أن يكونوا أعلم الناس بخطورة هذه الأشياء، ولكنهم يستهينون بأخطارها قائلين أن الخطر لا يكمن في المفاعلات الذرية فقط بل هو كامن أيضاً في انفجار أنبوبة بوتجاز أو سقوط طائرة أو تصادم قطار أو سيارة ، وهذه مغالطة، إذ أن انفجار ألف مليار أنبوبة بوتجاز أو تدمير مدينة بأكملها أو سقوط عشرات الطائرات وتصادم مئات السيارات لا يمكن أن يقارن بالآثار المدمرة لانفجار مفاعل نووي واحد، تلك الآثار التي قد تظل باقية على مدى مئات السنين ويكون الموت أرحم نتائجها فهو أهون من التشوهات الخلقية للأجنة والتخلف العقلي والآلام السرطانية التي تظل تعذب من ينجو من الموت.

لقد أصبحت الكرة الأرضية الآن وكأنها قرية صغيرة، إذا انفجر مفاعل ذري في أي

مكان فسرعان ما ينتقل تأثيره إلى مساحات شاسعة، ومن واجب الدولة في هذه الحالة منع أية مادة ملوثة من دخول البلاد.

ولا يستبعد أن يكون تلوث الغلاف الجوي بالإشعاعات الذرية من العوامل التي ساعدت على حدوث تلك الكوارث الطبيعية العنيفة غير المألوفة التي لاحظناها في الأعوام الأخيرة ومن بينها ظاهرة الجفاف الذي أصبح يهدد بالفناء مساحات شاسعة من الكرة الأرضية، وظاهرة الثقوب التي بدأت تحدث في الغلاف الجوي في بعض الأماكن حيث تلاشت طبقة غاز الأوزون التي تحمي الكائنات الحية من الأشعة الضارة، والغلاف الجوي لا يمكن أن يظل يستوعب إلى ما لا نهاية هذا القدر الهائل من التلوث وكأنه صفيحة قمامة للقانونرات، فهو طبقة رقيقة. إذا شبهنا الكرة الأرضية بكرة قدم فإن الغلاف الجوي في هذه الحالة لا يزيد سمكه على طبقة الطلاء التي تغطي الكرة (٢٧)

وهكذا فإن تجربة الفساد التي تمر بها حضارة أوربا المعاصرة تجربة فريدة من نوعها، فهي لا تهدد بدمار الإنسان فحسب، ولكن بدمار الكوكب الذي يعيش عليه أيضاً .

ثم انظر إلى شهادة فيلسوف فرنسي معاصر تدرس بالماذاهب المعاصرة - حتى وصل إلى الإسلام - انظر إليه وهو يقول :

(لقد أطلق مؤرخونا بحق على الأعاصير العاصفة - مثلاً :

الأممات التي بناها تيمورلنك بسبعمان ألف جمجمة بعد احتلاله أصفهان - إسم الغزوات البربرية، ولكن مما يدعو إلى العجب أن هذه التسمية تتغير حينما يقوم الأوربيون بمثل تلك الغزوات .

فماذا نقول إذن عن إبادة ملايين الهنود الحمر في أمريكا على يد الفاتحين الأوربيين أصحاب المدافع ؟

وماذا نقول عن تخريب إفريقيا بانتزاع عشرة ملايين إلى عشرين من سكانها السود وهذا يعني أن عدد الضحايا بلغ مائة مليون إلى مئتين، إذ كان أسر كل أسير يكلف قتل عشرة أفراد .

بل ماذا نقول عن مذابح آسيا وحرب الأفيون والمجاعات التي فتكت بملايين الهنود

بفضل نظام الإستعمار وفرض الضرائب؟

وماذا نرى في ضحايا الحرب العالمية الأولى ، والثانية ؟

وماذا نرى في قنبلة هيروشيما الذرية ؟

وماذا نرى في حرب فيتنام ؟ (٢٨).

وماذا نسمى في عالم اليوم النظام العالمي للسيطرة الغربية هذا النظام الذي أنفق أربعمائة وخمسين ملياراً من الدولارات على التسليح عام ١٩٨٠، وتسبب في العام نفسه في موت خمسين مليوناً من البشر في العالم بسبب لعبة المبادلات التجارية الضالمة؟(٢٩)

**ثالثاً :** والسؤال الآن هو : ماذا يمكن أن يقدمه الإسلام لإنقاذ " المستقبل" مستقبل الإنسانية والحضارة؟

لقد تبين لنا في المبحث السابق ضياع الهدف من بين أقدام التقدم التكنولوجي " الأعمى " الذي تقوم عليه الحضارة الأوربية المعاصرة.

وهنا فإن الإسلام الذي أبدع المنهج التطبيقي الذي يربط بين النظر والعمل وبين الفكرة والتطبيق، وقدمه للحضارة الإنسانية ... يلفت النظر إلى الجريمة التي تمت ألا وهي تجريد هذا المنهج ، من الهدف. ويقدم تجربته في ربط الحضارة بالدين.

إن دور الإسلام هنا هو تكملة المنظومة الإسلامية التي رسمها لبناء الحضارة الإنسانية، منظومة الربط بين : الإيمان والعلم والعمل ، فحيث اضمحلت تجربة الأمة الإسلامية في بناء الحضارة عندما فصلت ما بين العلم والعمل، وحيث توشك الحضارة الغربية على الدمار عندما فصلت ما بين الإيمان من ناحية والعلم والعمل من ناحية أخرى، فإن المستقبل الذي يعد به الإسلام ويرشح له الله شعباً ما من الشعوب ... هو مستقبل المنظومة الحضارية الإسلامية الأصلية التي اكتملت في القرون الثلاثة الأولى من صدر الإسلام، منظومة الإيمان والعلم والعمل، والتي لا خلاص للإنسانية من الزوال - أو قل كوكبنا الأرضي كذلك - إلا بالرجوع إليها.

**رابعاً الإسلام الشامل :**

يتحدث العقاد عن أهمية صفة الشمول بالنسبة للدين بوجه عام :



( الغالب على الأوامر الدينية هو الشمول الذي يحيط بالإرادة والشعور والظاهر والباطن، ولا يسمح لجانب من النفس أن يخلو منه ..).

ثم يتحدث عن الشمول في الإسلام بخاصة فيقول :

( انه عقيدة شاملة وأنه حقق بذلك الصفة الكبرى للعقيدة الدينية على أتم شروطها، فما كانت سريرة الإنسان لتطمئن كل الإطمئنان إلى اعتقاد يفرقها بددا، ويقسمها على نفسها ، ويترك منها جزءاً لم تشمله بقوته وبقينه..).

ثم يقول : (وعلى هذا الشرط- شرط الشمول في العقيدة يكون الإسلام هو العقيدة بين العقائد - أو هو العقيدة المثلى للإنسان منفرداً ومجتمعاً وعاملاً لروحه أو عاملاً لجسده، وناظراً إلى دنياء، أو ناظراً إلى آخرته، ومسالم أو محارباً و معطياً حق نفسه أو معطياً حق حاكمه وحكومته، فلا يكون مسلماً وهو يطلب الآخرة دون الدنيا، ولا يكون مسلماً وهو يطلب الدنيا دون الآخرة، ولا يكون مسلماً لأنه روح تنكر الجسد، أو لأنه جسد ينكر الروح، أو لأنه يصحب إسلامه في حالة ويدعه في حالة أخرى ، ولكننا هو المسلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه في جميع حالاته سواء : تفرد وحده، أو جمعت بالناس أو اصر الاجتماع.

إن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية، وظواهرها الاجتماعية هي المزية الخاصة في العقيدة الإسلامية وهو المزية التي توحى إلى الإنسان أنه "كل" شامل فيستريح من فصام العقائد التي تشطر السريرة شطرين، ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق(٣٠).

ثم يقول : (لا ينقسم المسلم بين الدنيا والآخرة أو بين الجسد والروح، ولا يعاني هذا الفصام الذي يشق على النفس احتماله، ويحفظها في الواقع إلى طلب العقيدة، ولا يكون هو في ذاته عقيدة تعتصم بها نفسه من الحيرة والإنقسام .

" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا "

فما كانت العقيدة التي تباعد المسافة بين الروح والجسد تعفينا من العمل حين يشق علينا العمل ، فالعقيدة التي توحد الإنسان وتجعله كلاً مستقلاً بدنياء وآخرته.. هي شفاء له من ذلك الفصام الذي لا تستريح إليه السريرة إلا حين تضطر إلى الهرب من عمل الإنسان الكامل في حياته، وحافزاً له إلى الخلاص من القهر كلما غلب على أمره

يوقع في قبضة سلطان غير سلطان ربه ودينه.

ومن هنا لم يذهب الإسلام مذهب التفرقة بين ماله وما لقيصر، لأن الأمر في الإسلام كله لله " بل لله الأمر جميعاً .. " والله " المشرق والمغرب "

ولأنما كانت التفرقة بين ماله وما لقيصر تفرقة الضرورة التي لا يقبلها المتدين وهو قادر على تطويع قيصر لأمر الله.

وهذا التطويع هو الذي أوجبه العقيدة الشاملة، وكان له الفضل في صمود الأمم الإسلامية لسطوة الإستعمار - (والغزو الثقافي) - وإيمانها الراسخ بأنها - أي الإستعمار وذيله - دولة دائلة وحالة لا بد لها من تحويل).

وكما أن هذا الشمول في الإسلام ينسحب على :

الجسد والروح

والعقل والوجدان

والظاهر والباطن

والفرد والمجتمع

والدنيا والآخرة (٢١)

فهذه العقيدة توصف بالشمول أيضاً :

لأنها تشمل الأمم الإنسانية جميعاً كما تشمل النفس الإنسانية بجملتها من عقل وروح وضمير . فليس الإسلام دين أمة واحدة، ولا هو دين طبقة واحدة ، وليس هو للسادة المسلمين دون الضعفاء المسخرين، ولا هو للضعفاء المسخرين دون السادة المسلمين، ولكنه رسالة تشمل بني الإنسان من كل جنس وملة وقبيل " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً " فهذه عقيدة إنسانية شاملة لا تخص بنعمة الله أمة من الأمم لأنها من سلالة مختارة .. " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم " .

وفي الحديث النبوي " لا فضل لعربي على عجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى " وليس للإسلام طبقة يؤثرها على طبقة أو منزلة يؤثرها على منزلة، فالناس درجات

يتفاوتون بالعلم والعمل والإيمان :

” يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات “ ..

” لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله..“

ثم يتحدث العقاد عن أثر هذا الشمول في صمود الإسلام أولاً، وانتشاره ثانياً.

يقول :

(بهذه العقيدة الشاملة غلب المسلمون أقوياء الأرض، ثم صمدوا لغلبة الأقوياء عليهم يوم دالت الدول وتبدلت المقادير، وذاق المسلمون بأس القوة مغلوبين مدافعين .

وهذه العقيدة الشاملة هي التي أفردت الإسلام بمزية لم تعهد في دين آخر من الأديان الكتابية، فإن تاريخ التحول إلى هذه الأديان لم يسجل لنا قط تحولاً إجماعياً إليها من دين كتابي آخر بمحض الرضا والاختناع . إذ كان المتحولون إلى المسيحية أو إلى اليهودية قبلها في أول نشأتها أما وثنية لا تدين بكتاب. ولم يحدث قط في أمة من الأمم ذات الحضارة العريقة أنها تركت عقيدتها إلى دين كتابي غير الإسلام .

وإنما تفرد الإسلام بهذه المزية بين سائر العقائد الكتابية، فتحوّلت إليه الشعوب فيما بين النهرين وفي أرض الهلال الخصيب، وفي مصر ، وفارس، وهي أمة عريقة في الحضارة كانت قبل التحول إلى الإسلام تؤمن بكتابها القديم .

وتحول إليه ناس من أهل الأندلس وصقلية كما تحول إليه أناس من أهل النوبة ورغبهم جميعاً فيه ذلك الشمول الذي يجمع النفس والضمير ويعم بني الإنسان على تعدد الأقوام والأوطان، ويحقق المقصد الأكبر من العقيدة الدينية فيما امتازت به عقائد الشرائع وعقائد الأخلاق وأداب الاجتماع)(٣٢).

ويقول المستشرق المسلم ليوبولد فايس (محمد أسد) في كتابه الإسلام على مفترق الطرق :

(الإسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة ولكنه نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنّها الله لخلقه، وماعمله الأسمى سوى التوفيق بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية.

وانك لترى هاتين الوجهتين في تعاليم الإسلام تتفقان في أنهما لا تدعان تناقضاً أساسياً بين حياة الإنسان الجسدية وحياته الأدبية فحسب ولكن تلازمهما هذا وعدم افتراقهما فعلاً أمر يؤكد الإسلام إذ يراه الأساس الطبيعي للحياة (٢٣)

وأخيراً فلا شك أن الكلمة العليا في شمول الإسلام هي للقرآن الكريم . ذلك أنه بعد أن يتحدث القرآن الكريم عن الحلال والحرام في قوله تعالى:

” قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط.. الأنعام ١٥٠، ١٥١.

وبعد أن يتحدث عن صراط الله المستقيم ..

” وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.. الأنعام ١٥٣.

وبعد أن يشير إلى القرآن بوجوب الاتباع..

” وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه ” الأنعام ١٥٥.

يقول سبحانه وتعالى : قاطعاً ما بين الإسلام وبين الرافضين لشموله : ” إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ” الأنعام ١٥٩.

ثم يؤكد شمول الإسلام في قوله تعالى :

” قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ”. الأنعام ١٦٢.

ويعتبر الرافضين للشمول مشركين :

” قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ”. الأنعام ١٦٤.

ومن خلال هذه النظرة الشمولية يخاطب القرآن أهل الكتاب قائلاً :

” أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في

الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون البقرة ٨٥.

ومن الآيات التي توجب اتباع الشريعة كركن أساسي في صفة الإيمان .. قوله تعالى:

(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً). النساء ٦٠.

وقوله تعالى :

( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم). الأحزاب ٣٦.

ولا يكتفي القرآن الكريم بأن تكون هذه النظرة قاصرة على ما أوحى الله به إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولكن يريد لها أن تتسع لتشمل كل ما جاء به الوحي إلى الأنبياء في مختلف العصور.

فيقول سبحانه وتعالى : " إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقاً، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً" النساء ١٥٠-١٥١.

فهل هناك شمول أوسع من هذا الشمول ؟

وهل هناك كفر أوسع من إنكار هذا الشمول؟

إن هذا الشمول بدهية إسلامية ومعلوم من الدين بالضرورة.

يقول علماء الأصول :

( لا حكم إلا من الله بإجماع الأمة.

لا كما في كتب بعض المشايخ أن هذا عندنا وعند المعتزلة الحاكم العقل فإن هذا مما لا يجترئ عليه أحد ممن يدعي الإسلام) (٣٤).

والنتيجة التي نخلص بها في هذا الموضوع هي أن العلمانية إذ تنادي برفض الإسلام " الشامل" فإنها صورة من صور الإلحاد إذ ترفض الإسلام في جوهره، وهي وياء من أوبئة الأمراض النفسية إذ تدعو إلى تمزيق الشخصية الإنسانية، . وهي مقلب من مخابل الفوز الاستعماري والثقافي إذ تقضي على عامل الصمود في المجتمع الإسلامي ضد هذا الفوز.

وهي مؤامرة من مؤامرات التبشير إذ تقضي على عامل الجذب في هذا الدين .

(i) فعلى رأس هذه الدولة كان القائد والأمير وولي الأمر والإمام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وكان له وزراء ومشيرون اشتهر منهم : هيئة العشرة المهاجرون الأولون - ونقباء الأنصار الإثناعشر - وكان هناك من اقتص بالحجابة والسقاية والكتابة والترجمة وحمل الخاتم وإمارة الحج.. إلخ .. إلخ.

(ب) وفي فقه الدين كانت هناك عمالات : تعليم القرآن وتعليم الكتابة والقراءة والإفتاء وتعليم الفقه وإمامة الصلاة والأذان.. إلخ .. إلخ .

(ج) وفي العلاقات الخارجية والإعلام كان هناك : السفراء والتراجمة والشعراء والخطباء .. إلخ .. إلخ.

(د) وفي القطاع الحربي كان هناك - غير أمراء القتال وجنده - كتاب الجيش وفارضو العطاء والعرفاء رؤساء الجند .. إلخ .. إلخ.

(هـ) وعلى النواحي كان هناك ولاية وأمراء الأقاليم وفيها كان القضاة.. وعمال الجباية والخراج، والقائم على الحمى ، وصاحب المساحة، وعمال الزكاة، والصدقات والخاصون للثمار ، كما كان هناك فارضو الموارث وفارضو النفقات .. إلخ .. إلخ..

(و) كذلك كان هناك من يقوم بمهمة المحتسب وصاحب العسس ومتولي التضييب والعلاج .. إلخ.

(ز) وعند الغزو كان هناك : أمراء الجهاد والمستخلفون على المدينة، ومن يستنفر الناس للقتال، وصاحب السلاح، وصاحب اللواء وأمراء أقسام الجيش الخمسة. وحراس القائد عليه الصلاة والسلام والقائمون على متاع السفر ومن يخذلون الأعداء ومن يبشرون بالنصر.. إلخ .. إلخ (٣٥)

\* \* \*

وقد جاءت قرارات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لتصفع هذا الإدعاء على وجهه : يقول المؤتمر الثاني ( يسجل المؤتمر أن الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وأنه دين ترق حضاري يشرع للحياة صورتها المتكاملة).

وجاء أنه ( يدعو الأمم الإسلامية إلى اتخاذ الإسلام منهجاً لسلوكها في الحياة

## الإدعاء الثالث

### إدعاء أن العلمانية لا تتعارض مع الإسلام

ومن الواضح أن المراوغة هنا لا تنهي لأصحابها إلا بالأخذ بالمفهوم الغربي للعلمانية الذي يقتصر على مجرد استبعاد الدين عن شئون الحياة الدنيا. وهم يرفعون شعار "علمانية الإسلام".

ويقول الدكتور محمد عمارة في رد هذه الخرافة:

أن أبلغ رد على "العلمانيين" القائلين بـعلمانية الإسلام والذين يدعون أنه دين ورسالة روحية محضة وليس دولة وسياسة ولذلك يزعمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يؤسس دولة ولم يقيم حكومة ولم يكن قائداً سياسياً للمجتمع المدني الذي عاش فيه بعد هجرته (١هـ - ٦١١م) أن أبلغ رد على هؤلاء العلمانيين هو الإشارة إلى أبرز معالم هذه الدولة التي أسسها الرسول وصحبه وهي المعالم التي تواترت أخبارها في أمهات مصادر الحديث والتاريخ.

ولقد قبض الله لهذه القسمة التي تمثل المنطلق لتراث الإسلام السياسي عالماً أبحر في محيط السنة والتقط منه اللبنة التي أقامت معالم دولة المدينة شامخة وبرزة ومتألفة للناظرين.. وهذا العالم هو الخزاعي أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود بن موسى بن أبي غفرة الخزاعي (٧١٠-٨٧٩هـ - ١٠٢٦-١١٠٣م) أما كتابه الذي تفرد في تراثنا بكونه ديوان معالم دولة الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كتاب (تخريج الذلالات السمعية). ومن هذا الكتاب الذي هو جماع ما تناسر في مصادر الحديث النبوي من أخبار الدولة ومعالمها وأركانها ودوائرها وأدواتها ووظائفها ندرك أننا بازاء دولة كاملة الأركان ، تامة المعالم ، قياساً على العصر والواقع الذي قامت فيه، ونهضت لضبط شئونه، وتلبية احتياجات الرعية فيه.



بالاستمساك بالقيم الخلقية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام، وبتأخذ الشريعة الإسلامية أسساً لتشريعاتها).

وجاء في المؤتمر الثالث أنه يدعو إلى :

( أن تتضافر جهود المسلمين حكومات وأفراداً على توجيه حياتهم العامة والخاصة وجهة إسلامية على أساس متين من تعاليم الدين الحنيف في نظم الحكم والإدارة والقضاء).

وجاء قراره بأن (الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة تحدد الحقوق والواجبات) وأن تعاليم الإسلام ( قد اشتملت على أحكام في تنظيم الجانب الاقتصادي يتألف من مجموعها نظام اقتصادي متكامل يمتاز عن النظم الاقتصادية الأخرى).

كما ناشد المؤتمر الثالث :

(السلطات ذات الاختصاص في مختلف الدول الإسلامية أن تعمل على تنقية تشريعاتها ونظمها من كل ما يخالف حكم الإسلام، وأن ترد هذه التشريعات والنظم إلى كتاب الله وسنة رسوله).

كما أوصى في المؤتمر الرابع :

( بتأليف لجنة من رجال الفقه الإسلامي والقانون الوضعي لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التي تيسر على المسؤولين في البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية في قوانين بلادها ، كقوانين العقوبات والقانون التجاري والقانون البحري وغيرها).

وأكد المؤتمر الخامس ( ما قرره في دوراته السابقة من وجوب اتخاذ الشريعة الإسلامية أساساً للتشريع في الأمة الإسلامية فقد ثبت تاريخياً وعلمياً أنها صالحة لكل زمان ولكل مكان، وأنها أصلح الشرائع للبشرية).

\* \* \*

يتمسح دعاة " علمانية الإسلام " بالحديث النبوي ( أنتم أعلم بشئون دنياكم.. ) كأنهم يخبرونا بلسان الحال أن الإسلام قدم إليهم في خطاب سري استقالته من كل وظائفه

التي تقلدها في أنظمة الحياة الدنيا:

(النظام السياسي . والإقتصادي . والقضائي . والإداري والتربوي).

وبالرغم مما في هذا الرأي من تفاعلة وما ينطوي عليه من سخرية بالحقيقة، فإنه لا بد لنا من التصدي له ، وبخاصة أنه يتردد على أقلام العلمانيين منذ على عبد الرزاق حتى الآن (٣٦) .

ويقول الشيخ محمد الخضر حسين في رده على بوق العلمانية الذي شارك في الاستدلال بحديث تأبير النخل على انسحاب الإسلام من شئون الحياة الدنيا ومن شئون الحكم :

( التشريع الإسلامي يتناول كل ما ينظر فيه رجال القضاء والسياسة، بمعنى أن له في النوازل القضائية أحكاماً وفي إدارة الشئون السياسية مقاصد . والمنوط بعهدة أولى الأمر أن تقرر تلك الأحكام بحق، وأن تقام تلك المقاصد بنظام، والوسائل التي يصلون بها إلى أن تأخذ الأحكام مأخذها ، أو تقوم المقاصد على وجهها موكولة إلى اجتهادهم وأمانتهم).

فهنا أحكام وهنا مقاصد، وهنا وسائل إلى تلك الأحكام وتلك المقاصد والموكول إلينا تلك الوسائل المشار إليها.

ثم يقول الشيخ محمد الخضر حسين ( فمن مقاصد الشرع أن تكون مرافق الحياة ميسورة، وأن تكون القوة من الأموال ووسائل الدفاع متوفرة..

وفرض لولي الأمر النظر فيما يجعل عيشة الأمة راضية وقوتها كاملة).

أي في وضع الوسائل لتلك المقاصد .

ثم يقول عن تلك الوسائل :

( فهم - أي أولى الأمر - الذين يضمنون للتجارة والزراعة والصناعة نظاماً لا تعترض أصلاً من أصول التشريع، بل يجب أن تكون في دائرته التي تسع كل قانون عادل ونظام لائق). أي أن وضع تلك الوسائل ليس مطلقاً ولكنه يكون بحيث لا يخرج عن المقاصد، وهذا يديهي لولا سوء الجدل الذي تتسلح به العلمانية.

ثم يتحدث الشيخ محمد الخضر عن تفاصيل المسافة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

(أما إذا ثنينا عنان البحث إلى المسافة من حيث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فلنا نظران أيضاً : نظر من حيث الحكم في القضايا التي تنشب بين أصحاب التجارة أو الصناعات أو الزراعة - أي ما أشار إليه الشيخ سابقاً بعنوان الأحكام والمقاصد وهذا مما كان صلى الله عليه وسلم يتولاه بنفسه ، وقد يكل بعضه إلى من يقوم عليه ) .

كما جاءت الرواية بأنه صلى الله عليه وسلم (كان يولي في بعض الأسواق من ينظر في شئون المعاملات ويراقب ما عساه أن يقع من غش أو مبايعة على غير وجه مشروع، وفي السير الحلبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل سعد بن سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة ، واستعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سوق المدينة) فإذن دلالة حديث تأبير النخل؛ إنها فيما يأتي :

يقول الشيخ (والنظر الثاني من ناحية العمل على إصلاح شأن هذه الفنون وهذه الفنون من أمور الدنيا التي لا يدخل تعليمها في وظيفة الرسول إلا من حيث الأمر بإقامة كل ما يسد حاجات الأمة ويكفل لها العزة والمنعة، وفي مثل هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " أنتم أعلم بأمور دنياكم " .. ) (٢٧)

أي في وضع الوسائل الفنية المحكومة بالمبادئ ، والأحكام الشرعية.

■ \* ■

وخلاصة ما تقدم

أولاً : تبين لنا في دراستنا السابقة:

١- أن أسباب نشأة العلمانية في أوروبا، لم توجد في المجتمع الإسلامي.

٢- أنه لا علمانية في الإسلام.

وأن العلمانية بمفهومها ((المتسامح)) والذي يكفي بالفصل بين الدين والحياة، قد لا تعني الإلحاد في العقيدة المسيحية، ولكنها تتطابق معه فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية سواء أخذنا بمفهومها ((المتسامح)) أو بمفهومها المتشدد- الذي يصر على القضاء

على الدين - غاية ما في الأمر أنا لا نحكم به - أي الإلحاد - على معتنق العلمانية مطلقاً، ولكننا نحكم به على أولئك الذين يصرون عليها مع معرفتهم بهذا التطابق.

ثانياً : وإذا كانت تلك هي حقيقة العلمانية في ظروف نشأتها، ومفارقتها للإسلام، فإن خطرهما لا يقف عند هذا الحد ولكنه يتعدى ذلك كله إلى نتائج خطيرة في حياة المسلم ، والمجتمع الإسلامي عموماً .

ذلك أنه بمجرد استبعاد الدين من السيطرة على شئون الحياة الدنيا - وفقاً لمفهوم العلمانية - فإن جسم المجتمع الإسلامي يفقد أية مقاومة لعناصر الغزو والتخريب التي تأتيه من هنا أو من هناك .

إن المسلم الذي يتعرض لمرض العلمانية ذاك يفتح بيته وبلده - كما يفتح قلبه وعقله - لكل مظاهر الهجوم والتدمير التي يتعرض لها دينه، وهو يواجه ذلك كله بنوع من التساهل الخطير الذي لا يقبله لو أن الأمر كان يتعلق بلقمة عيشه.

وبذلك يفتح الباب لأعداء الإسلام يعيشون في أرض الإسلام دون مقاومة أو عقبات.

ينفتح الباب لهبوب أعاصير التحديات والمشاكل والقضايا المصطنعة التي يواجهها الفكر الإسلامي في العصر الحديث.

ينفتح الباب أوسع ما يكون للإنتحاح لتحديات الغزو الثقافي المعاصر بأساليبه الماكرة، وأحابيله المزورة.

كما ينفتح الباب أوسع ما يكون للإنتحاح لمؤسسات التنصير التي تستهدف استئصال الوجود الإسلامي من جذوره.

ثم ينفتح الباب لتحديات تهب في مجال التشريع، وتحديات تهب في مجال العلم ، التربية والتعليم، وتحديات تهب في مجال اللغة العربي الفصحى، وتحديات تهب في مجال الأدب والفن والأخلاق، وتحديات تهب في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة، وأخيراً لتحديات جذرية ، تأتي من خلال النظرة المادية للوجود.

كل ذلك يتم تحت عباءة العلمانية ، التي تقضي على مقاومة المسلم ابتداءً، وتخر

كالسوس في وجدانه وعقله، وتجعله " متسامحاً " - إن صح هذا التعبير - في كل ما يتعلق بدينه وآخرته، وإن لم يكن متسامحاً - أدنى تسامح - في شئ من الأشياء يتعلق بزخارف هذه الحياة الدنيا.

وسنعالج في المباحث القادمة مظاهر هذه التحديات على سبيل الإيجاز والاختصار.



(٣)

حركة التنصير في العالم الإسلامي

للأستاذ الدكتور

يحيى هاشم حسن فرغل





يقدم لنا التنصير الذي يقوم به الغرب الإستعماري في البلاد الإسلامية، نموذجاً واضحاً للصلة القوية التي تقوم دائماً بين الغزو الثقافي والغزو العسكري ... والعداء الشديد للإسلام.

١- فيها هو القائد البرتغالي - قبل أن يضع قدمه على أرض الخليج العربي في القرن السادس عشر الميلادي- يرسل إلى إمام "عمان" الرسالة التمهيدية التالية : (من ريان برتغالي إلى الإمام سيف بن سلطان الأول اليعربي:

أنتم يا من تحكمون على رعاياكم في خلافاتهم ... تعلمون أننا نحن جيش الله، وقد خلقنا لتكون أداة لعقابه الإلهي، ووهبنا السيطرة على الذين يحل بهم سخطه ... إننا لا نرحم على من يشكر ... أو نشفق على من يبكي ..) إلى آخر ما جاء في رسالته تلك من صلف وإرهاب وكراهية وتسلط وعداء للإسلام.

وصحيح أن الإمام سيف بن سلطان الأول رد عليه بما ينبغي وما يستحق.. ولكن هكذا - بداية - يرتبط الغزو العسكري بمقولات ثقافية .. وهكذا مع هذا الغزو الفكري والعسكري بدأت إرساليات التنصير تنزل بالخليج العربي وتعمل عملها بالمنطقة. وبدأ اهتمام الدول الإستعمارية بالمنطقة ابتداء من البرتغال (١٥٢٢-١٦٤٠م) إلى فرنسا وهولندا ثم بريطانيا (١٧٩٨-١٩٧١).

وكان اهتمام الدول الإستعمارية بالمنطقة في ذلك الوقت وما يزال مرتبطاً أشد الارتباط بالتنصير. ومن الأمثلة الصارخة على ذلك القرار الذي أصدره لويس الرابع عشر عام ١٦٧٩ بتعيين كبير دير الكرايلة بالبصرة قنصلاً فرنسياً بها ، وما تلا ذلك من تتابع أحد عشر قسيساً في القيام بواجبات القنصل في البصرة بين عامي ١٦٧٩-١٧٣٩ (٢٨).

٢- وانظر إلى الطموح الشديد الذي يتطلع إلى مركز انتشار الإسلام إذ يصرح كل من القس "زويمر" والقس "جيمس كانتين" - عندما تأسست "الإرسالية العربية الأمريكية" عام ١٨٨٩ - بقولهما (أن للمسيح الحق في استرجاع الجزيرة العربية)؛ وادعيا أن الدلائل التي تجمعت لديهما تؤكد أن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها ، لهذا - كما يقولان - (فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية ) (٢٩) هكذا .

ومكذا اتجهت محاولات الغزو من البصرة إلى البحرين إلى مسقط إلى الساحل الشمالي، إلى قطر، إلى الكويت، على تفاوت في درجات الفشل والنجاح في هذه المناطق، ولكنها في جميع الأحوال كانت شديدة الإرتباط بالسلطات الإستعمارية، وكان اخفاقها أو نجاحها مرتبطاً بمدى ظهور أو اختفاء هذه الرابطة الاستعمارية، ذلك لأنه كان كما يقول الدكتور سعيد حارب : كان هذا الإرتباط الظاهر يؤدي إلى ابتعاد سكان الخليج العربي عن نشاط هذه الإرساليات بعد الاستقلال ، وانتشار الروح الوطنية المستقلة، وكان بقاء الإرسالية في عملها يعني بقاء صورة من الماضي الإستعماري، فرأت العقلية التنصيرية أن تطوي هذه الصفحة لتبدأ بعدها صفحات أخرى تكون ذات ملامح وأساليب جديدة تتفق مع المتغيرات التي حدثت بالمنطقة (٣٨)

٢- ولقد جاء في تقرير اللجنة الثالثة من لجان مؤتمر ادنبرج التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠ ما يؤكد التلاحم بين التنصير والإستعمار، إذ يقول اللورد بلغور في ختام أعمال اللجنة المذكورة ( إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم العقبات، وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين) ولقد أجبب اللورد إلى اقتراحه (٣٩).

٤- ولم يكن ذاك الإرتباط بين الطرفين - الإستعمار العسكري والتنصير - بعيداً بالطبع عن طرف الإستعمار الإقتصادي، وانظر إلى ما يقوله رئيس غرفة التجارة في هامبورج تعليقاً على أهمية المؤتمر المشار إليه سابقاً (إن نمو ثروة الإستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمانة إدخال الدين المسيحي في البلاد المستعمرة لأنه هو الشرط الجوهري للحصول على الأمانة المنشودة حتى من الوجهة الإقتصادية) (٤٠).

٥- وإذا كان من الواضح أن الهدف الرئيسي للتنصير هو القضاء على الإسلام في بلاده فإن الأمر الذي ينبغي أن نلفت إليه أنظار المسلمين هو أن خطة التنصير تلك تمر من خلال إنشاء ما يسمونه " الإسلام الجديد " واستمع معي إلى القس "ينغ" في مؤتمر " لكنز" الذي عقد عام ١٩١١ إذ يقول : " إنه قد أزف الوقت

لارتقاء العالم الإسلامي (عن طريق النصرانية طبعاً في زعمه ) وسيدخل الإسلام في شكل جديد من الحياة والعقيدة، ولكن هذا الإسلام الجديد سينزوي ويتلاشى أمام النصرانية (٤١).

٦- وقد عمل التنصير دائماً على تحطيم أي تجمع إسلامي، فقد جاء في ختام تقرير للقس سيمون - في مؤتمر لكتو عام ١٩١١ المشار إليه سابقاً - عن حركة الجامعة الإسلامية في ماليزيا قوله : (إن العامل الذي جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذي يضره سكان البلاد للفاتحين الأوربيين (!!)) ولكن المحبة التي تبثها إرساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبي (٤٢) هكذا !!

٧- وعندما كان يظهر للتنصير عجزه الفاضح عن تنصير المسلمين في البلاد الإسلامية فإنه كان يكتفي - وفي بعض الأحيان يفضل الإكتفاء - بإخراجهم من الإسلام. يقول القس "أكسفولد" في مناقشة له بمؤتمر ادنبرج التبشيري الذي أشرنا إليه سابقاً، بعد أن صرح بأن (الخطر الإسلامي صار أمره معروفاً للجميع)

يقول : (إن الحكومة لا بد لها من القيام بتربية الوطنيين في المدارس "العلمانية" (إن الحكومة لا بد لها من القيام بتربية الوطنيين في المدارس "العلمانية" مادام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية) (٤٣).

٨- ومن هنا أخذت حركة التنصير في تطوير أدواتها، فبدلاً من الإنكباب المباشر على محاولاته الفاشلة في إدخال النصرانية بأسلوب مباشر أخذ يلجأ إلى وسائل التعليم والتمريض، وإطعام الطعام .

٩- فإلى جانب ما كانوا ينشئون من مدارس تستقطب جزءاً ولو ضئيلاً من وقتها للتعريف بالنصرانية - وتلك هي أغلب المدارس الأجنبية الخاصة في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية - أخذوا يتسللون إلى خطط النول والحكومات في نشر التعليم لكي يجردوها تماماً من تدريس الدين الإسلامي ، أو الاهتمام به، ولكي يقيموا على أسس علمانية خالصة، تنتسب إلى هذا المذهب التربوي الحديث أو ذاك ، بدءاً من سياسة دنلوب التعليمية التي بدأت في مصر على يد الإستعمار "

اللورد كرومر، وانتهاء بالسيطرة الحالية التي تتمتع بها مدرسة "جون ديوي"، على وسائل التعليم في البلاد الإسلامية.

وتغلقت هذه السياسات من رياض الأطفال إلى مدارس البنات إلى المستوى الجامعي مثل كلية فكتوريا بالإسكندرية، وكلية جردون بالخرطوم، والكلية البروتستانتية الإنجيلية ببيروت - التي عرفت بالجامعة الأمريكية، والجامعة الأمريكية بالقاهرة.

هذا فضلاً عما اهتم به التنصير مما يزعمه دعوة إلى محو الأمية (٤٤).

١٠- وإلى جانب إقامة حركة التنصير لمؤسسات تعليمية تشرف عليها، أو تتسلل إليها فإن اهتمامها كان وما يزال عظيماً بإقامة المستشفيات، يدخلها المسلمون ليجنوها - في بداية الأمر - تنصيراً فظاً يصل إلى حد أن نفرأ من الأطباء "المبشرين" أنشأوا - كما تقول المبشرة أنا ميلليجان - مستوصفاً في بلدة الناصرة في السودان، وكانوا لا يعالجون المريض إلا بعد أن يعبر عن اعتقاده بأن الذي يشفيه هو المسيح، وإلى حد أن المبشرين في الحبشة كانوا لا يعالجون المرضى إلا بعد أن يركعوا ويسألوا المسيح أن يشفيهم (٤٥).

وعندما تفشل هذه الأساليب الخسنة يطور التنصير من أدائه في المستشفيات ويكتفي بمظاهر النصرانية وإيحاءاتها التي يحيط بها المريض من نحو إغراقه في الخدمة الممتازة، والمجاملات المحسوبة، وصحوة ونومه وتفتح عينيه على صورة العذراء، أو رمز الصليب... إلخ، مما يقلل من مقاومة المريض للعقيدة الأخرى، ويجعله راغباً في الإستماع إلى أصحابها، أو على أقل تقدير... يجعله متسامحاً في تقبل أنشطة لهم لم يكن يتسامح فيها من قبل.

## حملات التنصير وكيف نواجهها إسلامياً

ونحن إذا أردنا أن نواجه هذه الحملات فيجب أن نكسر جدار الصمت من حولها. وأن ننشر الوعي بخطورها وانتشارها، وبأنها تعمل بين ظهرائنا وفقاً لخطط مدروسة، وتمويل كثيف، وطموح مذهل : لا يكتفي بغير استئصال الإسلام، والقضاء على القرآن، وسلب المقدسات : بيت المقدس ، ثم الكعبة.

هذه حقائق لا تتصف بأدنى قدر من المبالغة، تنطق بها الوثائق والمؤتمرات والمراجع التاريخية، والخطط المستقبلية،

كذلك يجب أن نوضح الصلة الحميمة بين هذا التبشير ، وبين الصهيونية وأنهما كماشة ذات فكين ، يطبق أحدهما " بالنيابة " ، من الشمال على بيت المقدس ويطبق الآخر (بالأصالة) من الجنوب على مكة والمدينة.

نعم : إذا كنا جادين في معرفة كيف نواجه هذا التبشير إسلامياً فإنه يجب بالإضافة لما سبق أن نوضح أن هذا التبشير لا يستهدف إدخال المسلم في النصرانية بقدر ما يستهدف خلعها من الإسلام باعتبار أن هذا الإسلام هو عنصر المقاومة الوحيد الذي يقف في طريق الحملات الإستعمارية الصليبية المستمرة منذ قرون ، والتي تداعت إلى أكل القصة منذ بدء ما سمي في التاريخ المعاصر " المسألة الشرقية " أولاً، ثم سمي في مرحلة تالية " مشكلة الشرق الأوسط "

وإذا كنا جادين في معرفة كيف نواجه هذا التبشير إسلامياً فيجب أن ندرك ونوضح لمن لم يدرك بعد أن هذا التبشير ليس إلا جزءاً من مخطط شامل يستهدف سلب الأمة الإسلامية مناعتها الثقافية ويعمل في جبهات متعددة، تمتد على أفاق الغزو الثقافي : بدءاً من العقيدة / إلى إفساد النظم التربوية وصبغها بصبغة غير صبغة الإسلام ، / إلى محاربة اللغة العربية وتشجيع بناء " الجزر اللغوية العامية " كخطوة في إيصال لغة القرآن إلى الوضع الذي صارت إليه اللغة اللاتينية/ إلى محاربة القيم الأصيلة عن طريق الإعلام، / إلى "تفريب " القانون وقصم عراه بالشريعة الإسلامية ،/ إلى القول بإعادة تفسير الإسلام لكي يساير " العصر " ، / إلى القول بإبعاد الإسلام عن التأثير في شئون الحياة الدنيا، ومحاصرتها في ساعة صلاة أمام محراب ، / ... نعم ليس

التبشير إلا حلقة من هذه الحلقات التي تستهدف إكمال مسيرة الحروب الصليبية الإستعمارية، وإخضاع الشعوب الإسلامية لنوع من الإستئصال ، لم يكن الشعب الفلسطيني فيه إلا فاتح الشهية في هذه المؤامرة الكبرى، ويا للعجب، فلأنها "كبرى" تكاد تستعصي على التصديق عند الغافلين .

(٤)

التحديات في مجال التربية والتعليم

للأستاذ الدكتور

يحيى هاشم حسن فرغل

القضية الأولى : في العلم والتعليم

القضية الثانية : في المشكلة التربوية

القضية الثالثة : في انتشار المدارس الأجنبية





## القضية الأولى :

حول العلم والتعليم. في هذه المسألة فإن الإسلام لا يواجه اليوم أية تحديات، وموقفه واضح وضوح الشمس.

فالامر الذي لا شك فيه أن تحصيل العلم بعامة منهج يقرره الإسلام ويدعو إليه ويحرص عليه.

فالعلم بوجه عام كان من أعظم القيم التي اهتم بها الإسلام، ويكفي في هذا المقام أن نشير إلى أنه تداخل في أصل الرسالة وبدايتها في أول ما نزل من القرآن الكريم ((اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)).

وهو في الوقت نفسه وسيلة جوهرية للوصول إلى معرفة الله وخشيته ((إنما يخشى الله من عباده العلماء))

وهو كتيمة مطلقة واضح الرجحان على غيره (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

وهو فضلاً عن ذلك كله لا يختص موضوعه بالعلم الديني وإنما يمتد إلى العلم بمظاهر الكون ( الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان، والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والأرض وضعها للأنام، فيها ما كفه والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان). ١-١٢ الرحمن.

فما هو العلم الذي لم يحصل التصريح به أو الإشارة إليه في هذه الآيات..؟

علم القرآن؟ علم اللغة وعلوم التعبير بشتى فنونها؟ علم الفلك ؟ علم النبات؟ علم طبقات الأرض؟ علم الحياة؟ علم الكيمياء ؟ علم الرياضة ؟ علم الإقتصاد؟ علم العدالة؟

ألست تجد في هذه الآيات الموجزة ذلك كله وفي غيرها من الآيات مما يضيق المقام

عن ذكره جميعاً ؟

وإذا كانت بعض هذه العلوم قد جاءت مسائلها وأحكامها في القرآن الكريم والسنة المطهرة فيكون الطريق إلى العلم بها هو ((الوحي))؛ فإننا نجد أن الكثير من هذه العلوم التي لم يأت من مسائلها شئ يكون الطريق إليها هو ((التجريب)) تارة والتأمل تارة أخرى؛ أنظر إلى قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب، الذي يذكرن الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) ١٩٠-١٩١- آل عمران ، وانظر بعد ذلك إلى قوله تعالى (قل ينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً، ثم شققنا الأرض شققاً فأنبتنا فيها حبا وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم) سورة عبس ٢٤-٣٢، ثم انظر بعد ذلك كله إلى قوله تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق..) ٢٠ العنكبوت.

وقوله تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها.) ٤٦ الحج. أليس هذا هو باب النظر والتجربة قد فتح القرآن بابه على مصراعيه، ذلك الباب الذي ولجه المسلمون بكل قوة ونشاط وإيمان وكانوا به أساتذة المنهج التجريبي في العالم كما سنبين فيما بعد؟

ثم ماذا؟ هل نجد بياناً أقوى مما جاء في القرآن في قفل باب الجهل إلى الأبد في قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا). ٣٦ الإسراء.

وهل نجد بياناً أقوى مما جاء في الحديث في فرش طريق العلم بأحلى الأوامير والبرود في قوله صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وأن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.) رواه أبو داود والترمذي .

ثم انظر إلى العلم وهو يتسهم قمة المجتمع الإسلامي. إذ يحكى سالم بن أبي الجعد فيقول (اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأبي شئ أحترف؟ فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائراً فلم أذن له.؟!)

ويكفي أن نعرف أن التعليم كان هدفاً سامياً وقيمة عليا منذ قيام المجتمع الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان يقدم كفاءة من الأسر، وكبير في الزواج.

هكذا جاءت أحكام الإسلام بخصوص العلم في القرآن والسنة، وهكذا سار المجتمع في طريق العلم، العلم الذي يرتبط فيه : العلم النظري بالعلم العملي فيثمر التجربة، والذي يرتبط فيه العلم بالدين فيثمر الإيمان .

فمن أين إذن جاء التراجع؟ ومن أين جاء التحدي ؟

جاء التراجع في الأمة الإسلامية من إهمال الربط بين العلم والعمل ، في الوقت الذي دب فيه الفساد في أوروبا المعاصرة، من إهمال الربط بين العلم والدين. ويأتي النموذج التطبيقي للربط بين الأمور الثلاثة في القول المأثور لسيدنا على رضي الله عنه (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما علم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار.)

وجاء التراجع أيضاً من إهمال آداب التعلم التي ذكرها العلماء من حيث النية التي توجه إلى العلم : ذلك أن ينوي خمسة أشياء:

أولها : أن ينوي بتعلمه الخروج من الجهل لقوله تعالى ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)).

ثانيها: أن ينوي به منفعة الخلق لقوله صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس .

ثالثها: أن ينوي به إحياء العلم ، لأن الناس لو تركوا التعلم لذهب العلم لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال (تعلموا العلم قبل أن يرفع ) ورفعه ذهابه.

رابعها: أن ينوي أن يعمل به لا بخلافه، لأن العلم آلة للعمل، وطلب الآلة لا للعمل لغو .

وينبغي للمتعلم أن يطلب به وجه الله تعالى، والدار الآخرة، ولا ينبغي به طلب الدنيا، لأنه إذا طلب به وجه الله والآخرة ينال الأمرين معاً - أي الدنيا والآخرة معاً كما قال تعالى ((من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤت منها وماله في الآخرة من نصيب))، فإذا لم يقدر على تصحيح النية، فالتعلم أفضل من تركه، لأنه إذا تعلم العلم فإنه يرجو أن يصحح العلم نيته، فقد روى في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم قال : من طلب العلم لغير وجه الله تعالى لم يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله تعالى والدار الآخرة. ( وإذن فإنه كما أن النية تصحح العلم، فإن العلم يصحح النية، ولكن هذا إنما يحدث لمن كان قريباً من الله، لم يشتط به الطريق .. من أمثال مجاهد الذي يقول رضي الله عنه ((طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كثير من النية، ثم رزقنا الله فيه النية)) (٤٦)

أما من أين جاء التحدي فالجواب على ذلك أنه بعد التراجع الذي حصل في مجال العلم والتعلم ، نتيجة عوامل كثيرة ، تعرض المجتمع الإسلامي كما هو معروف تاريخياً لوجبات من الغزو والاستعمار ، هدت من كيانه ودمرت بنيانه، ثم - وهذا هو المهم -

جاءت العلمانية لتسمح بإعادة البناء على نسق يستبعد فيه الدين.  
هذه هي المشكلة .

إن المشكلة تكمن في أن الغزو الخارجي أخذ يفرض على المسلمين نظاماً تربوياً استعماريّاً ، وفي أن الأوضاع الداخلية للمسلمين وتحت ضغوط العلمانية وتوجيهها - جعلتهم يتقبلون هذه النظم التربوية التي يستبعد فيها الدين، أو يحصر في أضيق نطاق. ومن هنا ندخل إلى :

### القضية الثانية : في المشكلة التربوية .

تنحصر المشكلة التربوية التي يواجهها الفكر الإسلامي اليوم في ضرورة تحديد موقفه من المسائل الآتية :

#### أولاً : تحديد الهدف من التربية

ذلك أن النظريات التربوية العلمانية تعرض علينا أهدافاً مختلفة قد يكون بعضها هاماً، وقد يكون بعضها فاسداً، ولكنها جميعاً لا تهتم بالهدف الأعلى من وجود الإنسان.

إن هذه النظريات تعرض علينا أهدافاً من خلال المدرسة الوطنية تارة ، والقومية، تارة، والطبقية ، أو الفردية تارات أخرى ...

وهذه الأهداف جميعاً أو بعض منها لا يمكن أن يأخذ وضعه الصحيح في البناء الإسلامي إلا إذا استهدفت التربية صناعة شخصية الإنسان وفق مفهوم العبادة والتسليم له، بحيث يصبح هذا الهدف هو الحاكم والمسيطر على جميع الأهداف الأخرى إن صح أن توضع كأهداف ثانوية تابعة.

إن الإسلام هنا يلقى باللوم على أهداف تربوية شائعة في عصرنا الحديث. إنه لا يقر التربية من أجل المفاخرة.

ولا يرضى عن التربية من أجل الاستمتاع.

ولا يدعو إلى التربية من أجل الانخراط في مذهب.

ولا يقصر التربية على الحصول على وظيفة.

ولكنه يجعلها تربية من أجل الطاعة، الطاعة لله ولرسوله.

ثانياً : تحديد الوسيلة الأساسية في التربية،

وفي هذا الصدد ، تعرض علينا النظريات التربوية العلمانية، وبخاصة نظرية ديوي السائدة أن التعلم لا يكون إلا من خلال الخبرة أو التجربة .

وهذه النظرية تطرد المنهج الإسلامي ابتداء.

ذلك أن المنهج الإسلامي - وهو يقرر الخبرة ويعترف بها - يضع في الأساس، المعرفة عن طريق الوحي، وهي معرفة لا تأتي من خلال الخبرة، وإنما تأتي من خلال التقى من الرسول. ولا سبيل إلى مواجهة هذا التحدي والتغلب عليه إلا بأن تتغلغل في نسيج البناء التربوي في المجتمع الإسلامي المعارف الواصلة إلينا من خلال الوحي قرأنا وسنة.. كحقائق مسلمة من طريق الوحي.

ثالثاً : تحديد موقفنا من نظريات علم النفس السائدة .

تلك النظريات التي تتأرجح حالياً بين النظرية التحليلية عند فرويد وأتباعه، والنظرية السلوكية بمدارسها المختلفة في أوروبا الغربية أو الشرقية.

وجميع هذه النظريات لا تعترف بحقيقة ارتفاع الإنسان عن مستوى الجسد ومظاهره المتفرعة عنه.

وهذا أمر يفترق عن نظرة الإسلام إلى الإنسان افتراقاً أساسياً.

فالإنسان في الإسلام وإن كان قد خلقه الله من طين إلا أنه لم يكن إنساناً إلا بما نفخ الله فيه من روحه. وهذا أمر إذا أخذ في الاعتبار فإنه لا يبقى من النظريات التحليلية والسلوكية شيئاً إلا قليلاً. ويجعل جوهر النفس الإنسانية، هو تلك الروح، كما يجعل الأساس في فهمها هو مقدار، قربها أو بعدها عن الله.

رابعاً: تحديد موقفنا من جبرية النظريات الحديثة عن الوراثة والبيئة والتطور.

ذلك أن التصديق بهذه النظريات وما تفرضه من جبرية عصرية تبعد الإنسان تماماً عن مسؤوليته أمام الله تعالى، والإقبال عليه بالإسلام والإيمان والإحسان.

وموقف الإسلام هنا أنه إذ يعترف بعاملَي الوراثة والبيئة فإنه في نفس الوقت يعلى من عنصر الشخصية، ويراه العنصر الحاسم في تقرير مصير الفرد في الدنيا والآخرة.

الإسلام يعترف بالوراثة ويقررها في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس". وهو يضع أيدينا على أهمية البيئة "إياكم وخضراء الدمن".

لكن الإسلام مع ذلك يترك عنصر الحسم للشخصية الفردية.

والله سبحانه وتعالى يضرب لنا أمثلة على ذلك في آخر سورة التحريم.

ففي المثال الأول نجد امرأتين تكفران وهما في بيت النبوة، "ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط".

وفي المثال الثاني نجد امرأة تؤمن وهي في قلعة الكفر،

"وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون".

وفي المثال الثالث نجد الشخصية المتوافقة مع البيئة،

”ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا..” ومع كونها متوافقة مع البيئة إلا أن الآية تشير إلى ذاتيتها الفردية بمالها من تميز فردي ذلك في قوله ” التي أحصنت فرجها“ .

وأخيراً فإن الإسلام يضع تقريره النهائي لفاعلية الشخصية في أية قرآنية وحديث. أما الآية فقوله تعالى ” إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم“ .

وأما الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم (إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب“

ولا يجعل الإسلام المسؤولية الفردية مسئولية الحاكم أو الزعيم أو القائد الملهم ... ولكنه يوزعها على جميع الأفراد، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع ومسئول عن رعيته، والزوجة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع ومسئول عن رعيته ...) .

خامساً : تحديد موقفنا من ” الشخصية “ التي يعمل النظام التربوي في الإسلام على بنائها .

ففي المدارس التربوية العلمانية نجد اهتماماً بجوانب مختلفة في الشخصية الإنسانية، كما نجد إدراكاً لحقيقة التكامل في هذه الشخصية.

لكن هذا التكامل لا يكاد يرتقي عن مستوى ثلثة العناصر والإستعدادات التي ترجع إلى الميل والغرائز والطاقات البيولوجية، والصفات المكتسبة من الخبرة، من حيث قدرة هذه العناصر على التكيف مع البيئة المادية والإجتماعية.

وهذا الموقف العلماني من الشخصية الإنسانية يشوهها تشويهاً، ويبتريها بترأ

ولا يستقيم الأمر من وجهة نظر الإسلام إلا بإعلاء مجموعة العوامل الإيمانية الداخلة في بناء الشخصية والعاملة على تكاملها والترقي بها والسيطرة عليها .

ومن الواضح أننا نعني بالعناصر الإيمانية هنا تلك التي تربط الإنسان بالله ، وبمخلوقاته، وبالدنيا وبالأخرة على حد سواء.

إن إغفال هذه العناصر الإيمانية في بناء الشخصية تربوياً يتناقض تناقضاً أساسياً

مع المنهج الإسلامي، وهو فضلاً عن ذلك ينشأ من أحد أمرين : إما الجهل بوجودها، وإما الاعتقاد بوجوب التخلص منها، وكلا الأمرين يمثل تحدياً خطيراً للمنهج الإسلام في التربية .

سادساً : تحديد موقفنا من " التربية الإسلامية ":

أهي مجرد فرع من فروع التربية ؟ أم هي المرجع الأعلى المهيمن على فروع التربية الأخرى ؟

وبعبارة أخرى : هل ننظر إليها باعتبارها قسماً مناظراً لأنواع التربية الأخرى : من التربية الرياضية، والفنية والوطنية، والتاريخية، والفيزيائية، والمهنية إلخ ؟

. وعندئذ تصبح التربية الإسلامية نشاطاً خاصاً معزولاً، لا يسمح له بالتداخل في النشاطات التربوية الأخرى دون أن يتهم بالتطفل والمزايدة ؟ أم تكون التربية الإسلامية هي المقياس الذي تقاس إليه أنواع التربية المختلفة، وتخضع لمفاهيمه وقيمه ومقاييسه الصريحة ؟

لا شك أن المنهج الأول هو ما توصي به العلمانية إن ترفقت بالتربية الإسلامية وسمحت لها بنوع من الوجود المتهافت المريض، ولا شك كذلك أن التربية الإسلامية الصحيحة لا ترضى بغير المنهج الثاني بديلاً ، وهي تجد نفسها في ظل المنهج الأول في حالة من التحدي الصارخ، والتأمر الماكر.

إنه حتى في الفكر العلماني المعاصر نجد بعض النظريات التي تقرر أن الإنسان وإن تعددت احتياجاته في بناء شخصيته فإنه يحتاج أساساً إلى (إطار مرجعي، وإلى طريقة ثابتة مستقرة في إدراك العالم وفهمه ...)

ومن هنا فإنه إذا لم تكن التربية الإسلامية هي الإطار المرجعي لكل أنواع التربية الأخرى، فإن الموقف يضطرننا إلى اتخاذ فلسفات أخرى إطاراً مرجعياً بديلاً وهذا نقض للإسلام لا يمكن علاجه بمجرد السماح بوجود نوع من " التربية الإسلامية " التابعة أو المعزولة.

إن التربية الإسلامية لا تكون كذلك إلا بالهيمنة والتداخل في أنواع التربية الأخرى.

وعلى سبيل المثال لا الحصر : كيف نتحدث عن تفريخ البيض في مزارع تربية



النواجن دون أن نشير إلى فضل الله في هداية الإنسان إلى صناعة هذه المفرخات؟

وكيف نتحدث عن دور الرياح في تلقيح النباتات في حقول القمح - مثلاً - دون أن نذكر التلميذ بقوله تعالى " وأرسلنا الرياح لواقح ؟.. "

وكيف نتحدث عن حاستي السمع والبصر دون أن نستحضر قوله تعالى (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون" إلخ

سابعاً :

من التحديات " اليومية" التي يواجهها الفكر الإسلامي في مجال التربية ما فرضته النظم التربوية العلمانية من الإختلاط بين الجنسين في المدارس والمعاهد والجامعات .

وقد يبدو أمر الاختلاط بين الجنسين بعيداً أو متطفلاً على مجال "التعليم"، ويبدو الإلحاح عليه ممن يفرضونه سلوكاً غريباً أو معيباً...

هذا هو ما تحس به الفطرة السليمة عند عرض الموضوع للوهلة الأولى، وهو ما تستقر عليه بعد التأمل والتدبر.

أما ما بين هذا وذاك ، فإنك تستمع إلى دعاوى برافة، عن الكبت، والعقد النفسية، والتحرر ، والعاطفة الجنسية، وكلها عناوين تأتي إلينا من خارج الحمى الإسلامي .. إن الأمر الذي لا شك فيه أن التربية الإسلام تختلف مع النظريات العلمانية في هذا المقام في أمرين رئيسيين :

أولهما : القيمة العليا التي يقرها الإسلام للعفة والحصانة بين الجنسين وهي قيمة تصل عقوبة إهدارها إلى حد الإعدام رجماً بينما النظريات العلمانية الحديثة تهدرها هدرأ، ولا تضع عليها حظراً - ولو ضئيلاً - إلا إذا اتصل الأمر بقيمة " الحرية"، الحرية الشخصية التي وصلت بالمجتمع الغربي المعاصر اليوم إلى حد المناذاة " بحرية الجنس !!!

هذا فارق أساسي لا يترك فرصة لقاء بين التربية الإسلامية، والتربويات العلمانية في مسألة الاختلاط .

الامر الثاني : عناية الإسلام في هذا المقام بأسلوب الوقاية الحذرة البصيرة، قبل

أسلوب العلاج أو الردع أو العقاب، ومن هنا فإن الإسلام " يسد الذرائع " التي يمكن اتخاذها لإهدار القيمة العليا التي تحدثنا عنها سابقاً .

وسد الذرائع هنا بمنع الاختلاط في دور المراهقة والشباب، في دور العلم - وبخاصة في المجتمعات الحديثة التي يتأخر فيها سن الزواج - أمره هين يسير ، ولا يمكن أن يكون على حساب العملية التعليمية والتربوية نفسها، وإنما الأمر في ذلك على العكس، إذ يصبح منع الاختلاط هنا عاملاً من عوامل تنقية الجو لتلقي العلم بعيداً عن عوامل التشاغل والإغراء بالجنس .

ولا يقتصر الأمر على ذلك وإنما يتعداه إلى ما نجده في المجتمعات الأوربية نفسها من وجود جامعات ومدارس لا تزال تحرص على منع الاختلاط.

وتوجد بعض الدراسات التربوية الحديثة التي تبين مضار الاختلاط على العملية التعليمية نفسها نظراً لوجود الفروق الجنسية في التعلم.

نستشهد في هذا المقام بما وصلت إليه الباحثة الانجليزية جنيفر كوتس (٤٧) ، من نتائج هامة لاختلاف أسلوبي الرجل والمرأة في تعلم اللغة والآثار الاجتماعية المترتبة على ذلك، حيث لخصت هذه الآثار في نقطتين :

١- سوء التفاهم بين الرجال والنساء نتيجة تبني كل طرف قواعد مختلفة للمحادثة وتفسيره سلوك الطرف الآخر من وجهة نظره هو.

٢- المشكلات التي تنشور في الفصول الدراسية نتيجة اختلاف السلوك اللغوي لكل من الأولاد والبنات.

وتقرر الباحثة أن النتيجة السلبية لاختلاف الأسلوبين تؤدي إلى إلحاق الضرر بالإناث، لأن أسلوبهن يؤدي بهن إلى التحول إلى جنس مسيطر عليه في المجموعات المختلطة . كما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالذكور، لأنهم يفقدون عنصر " التنافس " الذي تخدمه طريقة المرأة في المحادثة.

وأما المشكلات التي تنشور في الفصول الدراسية فقد بينت الباحثة الأضرار التربوية التي يسببها اختلاف الأسلوب التحادثي بين الجنسين، وتأتي معظم هذه الأضرار من جملة أمور : منها قدرة الذكور " التواصلية " التي تفوق قدرة البنات، على الرغم مما هو

معروف عنهن من تقدمهن اللغوي فالذكور يعرفون بصورة أفضل متى يتكلمون، ومتى يصمتون، ومنها حرص الذكور على لفت الأنظار إليهم في حين تتابع الإناث كلام الذكور في صبر. ومنها ميل الذكور إلى التفاخر والتظاهر باستسهال الاختبارات الصعبة في حين أن البنات يظهرن القلق بالنسبة لأدائهن. ومنها المشاركة الإيجابية من الذكور نحو الأسئلة المطروحة إذ يتميزون بالنشاط ورفع الصوت، وتقديم تخمينات أو فروض عديدة، في حين أن الإناث يستجبن بصورة أكثر سلبية. ومنها ميل الذكور في المدارس الثانوية خاصة - إلى إظهار السخرية من الإناث أثناء حديثهن أو تساؤلهن، وإصدار مهمات الإستهزاء والإستنكار، في حين أنه لم يعثر الدارسون على أمثلة قامت فيها البنات بدور السخرية أو الاستنكار نحو الذكور .

هذه نتائج دراسة لباحثة تعيش في مجتمع علماني عريق في العلمانية، عريق في الاختلاط منذ أمد بعيد .

ويلحق الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر - الذي لخص هذه الدراسة - بقوله عن هذا البحث (إنه يعد واحداً من أهم الدراسات التي تمت حول هذا الموضوع... كما أنه صحيح كثيراً من المقولات الشائعة الخاطئة حول اختلافات الجنس اللغوية). (٤٨)

القضية الثالثة : ولا بد أن نلتفت هنا إلى انتشار المدارس الأجنبية في بلاد الإسلام وورها في تحدي الإسلام والكيد له.

وسنكتفي في هذا المقام بكلمة عن المدارس الفرنسية وأثرها، ثم بكلمة عن المدارس الإنجليزية وأثرها.

١) يصرح القائد الفرنسي الجنرال بيبير كليبر في بداية هذا القرن بقوله عن انعاهدة الفرنسية في لبنان : (في بداية حرب عام ١٩١٤-١٩١٨ كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا. وكان بين هؤلاء فتيان وفتيات ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة مما جعل الجمعية المركزية السورية التي تالفت في باريس تعلن عام ١٩١٧ أن جميع ميول السوريين وعواطفهم تتجه إلى فرنسا بعد أن تعلموا لغتها، وخبروها على مر الأجيال وتأكلوا من إخلاصها وتجردتها). ثم يقول (إن كلية عينطورة في لبنان هي وسط ممتاز للدعاية الفرنسية) ويقول (إن مؤسساتنا تعمل دون مثل لتفذية النفوذ الفرنسي، مثل معهد الدراسات العبرية في القدس، ومعهد الدراسات الإسلامية في القاهرة، والمدرسة الإكليريكية الدومينيكانية في الموصل ...). ثم يقول :

(إن انتشار لغتنا وإشعاع ثقافتنا وأعمالنا الإنسانية وعظمة الأفكار والعبقريّة الفرنسيّة هي الأعمال المكملّة لنا وسوف لا نهملها أبداً). (٤٩)

وهو كلام في غنى عن التعليق.

(٢) أما عن المدارس الإنجليزيّة فنكتفي بكلمة صريحة أيضاً للورد لويد الذي كان مندوباً سامياً لبريطانيا في مصر، من خطبة ألقاها في كلية فكتوريا بالإسكندرية سنة ١٩٢٦م إذ يقول :

(علينا أن نقوي كل مآلينا من وسائل للتفاهم المتبادل بين البريطانيّين والمصريّين ، وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية اللورد كرومر من تأسيس كلية فكتوريا بوجه عام، ومن تأسيسها في الإسكندرية بوجه خاص ... وهي غاية اعتقد أن الكلية تحقّقها .. وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة أفعل من كلية تعلم الشبان من مختلف الأجناس المبادئ البريطانيّة العليا .)

ثم يذكر اللورد لويد أثر هذه المدرسة في إبطال أثر ثورة ١٩١٩ في نفس أبنائها إذ يقول (وقد بلغ من نجاح هذا العمل أن الحوادث التي حدثت في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢١ لم تؤثر في علاقات الطلّبة بعضهم ببعض، فلم يحدث نفور ما. (٥٠)

ومما يدل على استمرار هذه الروح أن أبناء الكلية السابقين لا يزالون يجتمعون اجتماعاتهم الشهريّة، يؤلف بينهم في ذلك محبتهم للأيام الهنيئة التي قضاها في محيط انجليزي في كلية فكتوريا، إنهم ينظرون إليها الآن نظراً إلى بيت ثان لهم، ومحبتهم لها توحد بينهم ..) ثم يقول عن اقتطاف ثمرة ذلك كله (كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانيّة، بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيصيروا قادرين أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا عليها، ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف في الماضي يتنبه الوالدون إلى أن تعليم أولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الإنجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي.. كما كانت الإسكندرية في أيام عظمتها في عهد البطالة ...) (٥١)

وهو كلام غني عن التعليق أيضاً.

ونحن نسوقه كعينة ضئيلة للتذكّرة والاعتبار، من بين سيل زاهر يطول الحديث فيه عن المدارس الأجنبية التي تمتد في طول البلاد الإسلامية وعرضها، وعن البعثات التي

تذهب إلى الغرب لتلقي الآداب والأفكار والعقائد ثم تعود لبثها في عقول المواطنين، وعن المناهج التي يفرضها هؤلاء على مدارسنا الوطنية في عقر دارنا.

وإنه لحديث يطول ، وحاضر ماثل أمام العين لا يراى له أن يزول.

(٣) غاية ما في الأمر أننا لا نترك هذا المقام دون أن نقارن هذا البث وهذا التشجيع للمدارس الأجنبية : أقول نقارنه بنظرة الغزو العلماني الاستعماري إلى شريحة المعاهد الدينية السائدة في المجتمع ونيته في تدميرها. وفي هذا نستشهد أيضاً بكلمة المندوب السامي البريطاني اللورد لويد التي جاءت عن الأزهر في كتابه الذي ألفه عام ١٩٣٣ (٥٢) (إن التعليم الوطني عند ما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ... وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني.... فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جلية الخطر، ... ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصوراً في التعليم اللاديني (٥٣) الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح وعند ذلك سوف يجد الأمر نفسه أمام أحد أمرين : فإما أن يتطور وإما أن يموت ويختفي ...)

ثم يقول اللورد لويد بعد ذلك : إن أهمية الأزهر بوصفه مركزاً من مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا متعددة الإمكانات ... وقد أدرك الوطنيون ذلك ، فحاولوا استغلاله لتأييد مآربهم، وترتب على ذلك نمو روح المعارضة الشديدة لسيطرة الإنجليز على التعليم (٥٤)

ومرة ثالثة : نحن في غنى عن التعليق .



(٥)

التحديات في مجال اللغة العربية الفصحى  
والأدب ، الفن ، والأخلاق

للأستاذ الدكتور  
يحيى هاشم حسن فرغل





بدأت الدعوة إلى خنق اللغة العربية الفصحى أو التضييق عليها في البلاد العربية والإسلامية مع طلائع الاستعمار الذي هجم على بلادنا منذ القرن التاسع عشر .

ففي أواخر سنة ١٨٨١ اقترح المقتطف (٥٥) كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة (أي اللغة العامية).

ثم ألف القاضي الإنجليزي ولور - أحد قضاة محكمة الإستئناف الأهلية في مصر - عام ١٩٠٢ كتاباً سماه " لغة القاهرة " وضع فيه قواعد لها، وطلب اتخاذها لغة للعلم والأدب.

وشارت المسألة من جديد حين دعا انجليزي آخر هو السير وليم ولكوكس - مهندس للري في مصر - عام ١٩٢٦ إلى هجر اللغة العربية وخطاً إلى ذلك خطوة عملية حيث ترجم أجزاء من الإنجيل بما سماه " اللغة المصرية "

ونوه الكاتب المصري المعروف حينذاك سلامة موسى بهذه الدعوة وأشاد بها وأيدها . وبالرغم من المقاومة التي لقيتها هذه الدعوة في مصر على مختلف المستويات إلا أنها استطاعت بإلحاح وإصرار أن تجتذب نفراً ممن يسمون دعاة الجديد .

فجاء بعضهم ممن يتسترون تحت غطاء " القومية " و " الشعبية " لينفخوا النار في ضرام هذه الدعوة، مشيدين بما صنع الكماليون في تركيا من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وترجمة القرآن للغة التركية، وإلزام الناس بالتعبد به ، وتحريم تدريس العربية في غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت الرقابة الشديدة

ثم أخذت الدعوة في الانتشار الفعلي حين اتخذت العامية لغة للمسرح والسينما منذ أعقاب الحرب العالمية الأولى إلى اليوم، ولم يعد للغة العربية الفصحى وجود في هذا الميدان إلا نادراً .

ثم ظهرت هذه العامية في الأدب المكتوب فاستعملها كثير من كتاب القصة في الحوار بدءاً بما كتبه " هيكل " في روايته زينب حتى أصبحت اليوم هي الأصل في كتابة القصة أو الرواية الأدبية ولا يستعمل الكاتب من الفصحى إلا ما يأتي نادراً على استحياء .

وكتب بها لويس عوض (مذكرات طالب بعثة).

ثم ظهرت هذه العامية في الشعر وأصبح للشعر العامي نجوم يساندهم الأعلام،  
ويبشر بهم النقاد، وينظر لهم أساتذة الأدب.

والأدهى من ذلك . أن هذه الدعوة إلى العامية استطاعت أن تتسلل حيناً متلصصة-  
كما يقول الدكتور محمد محمد حسين - إلى حصن اللغة العربية الفصحى " مجمع  
اللغة العربية" إذ ظهرت في أروقته أو مجلته الناطقة باسمه مقالات أو بحوث عن  
(اللهجة العربية العامية) لأحد أعضائه " عيسى إسكندر المعلوف (٥٦) "، وقد أشار في  
الجزء الرابع من مجلة المجمع إلى أنه ألف معجماً مطولاً لألفاظ العامية .

وانتقل فيروس العامية إلى جامعة الدول العربية ذاتها حيث أصدرت لجنتها الثقافية  
عام ١٩٥٥ كتاباً في "اللهجات وأسلوب دراستها " لأنيس فريجة جمعت فيه  
المحاضرات التي ألقاها في معهد الدراسات العربية في ذلك العام.

وصاحب الدعوة إلى العامية دعوات أخرى إلى تغيير طريقة الكتابة وحروفها.

ومن أوائل هذه الدعوات اقتراح تقدم به أحمد لطفي السيد باستعمال الحروف بدلاً  
من الحركات، فإذا كتبنا كلمة سعد كتبناها هكذا (ساعدون) وإذا كتبنا كلمة محمد  
كتبناها هكذا (موحا مما نون) في حالة الرفع أو (موحا مما دان ) في حالة النصب،  
أو (موحا معدين) في حالة الجر ...

وأيد هذا الاقتراح فيما بعد الأب أنستاس الكرمللي وهو عالم لغوي في حديث له عام  
١٩٣٢م وأضاف إليه اقتراح أشكال جديدة للحركات تستعمل فيها حروف "اللين"  
الأوربية مثل u, e, o ...

وفي وقت سابق على هذا كان القاضي ولورد الذي دعا إلى العامية قد دعا في الوقت  
نفسه إلى استعمال الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية.

ثم تقدم عضو من أعضاء المجمع هو عبد العزيز فهمي في عام ١٩٤٣ باقتراح كتابة  
العربية بالحروف اللاتينية، والغريب أن المجمع شغل ببحث اقتراحه عدة جلسات امتدت  
خلال ثلاث سنوات.

وهؤلاء جميعاً وإن كانوا يتحركون نحو غاية واحدة هي القضاء على اللغة العربية  
الفصحى وتحولها إلى لغة تاريخية، كما حدث للغة اللاتينية مثلاً- فإنهم قد يختلفون

في التفاصيل، فبعضهم يدعو إلى العامية دعوة صريحة، وبعضهم يدعو إلى التوسط بين العامية والفصحى ، وبعضهم يدعو إلى تطوير اللغة، وحق الكاتب في تغييرها كيفما كان هذا التغيير وإلى أي مذهب ذهب ، وتارة يدعو بعضهم إلى إسقاط أبواب معينة من النحو أو تعديل قواعده، فإذا لم ينجحوا في شئ من ذلك اكتفوا بالدعوة إلى دراسة اللهجات العامية وحصر مفرداتها وأساليبها ووضع القواعد والمعاجم لضبطها وإحصائها، يدعون إلى ذلك باسم العلم، فإذا سألت عن أثر ذلك على لغة القرآن صاحوا باسم العلمانية : استبعاد الدين من القضية !!

وإذا سألتهم عن أثر هذه الدعوة على التراث أجابوا بالتقليل من قيمة هذا التراث تارة (٥٧)، وبإمكان ترجمة الصالح منه (!!) إلى العامية الجديدة تارة أخرى ...! غامزين بأعينهم استهتاراً بهذا التراث تارة ثالثة.

وإذا كان الرد الموضوعي على هذه الدعوات ميسوراً بالرجوع إلى مصادره (٥٨) فيكفي هنا أن نلخص بعض النقاط :

فبخصوص الدعوة إلى العامية لا بد من رفضها لأمور :

١- أن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى لمطالعة القرآن والحديث والتراث وسائر كتب الدين.

٢- أن اللغة العربية الفصحى ليست غريبة على أفهام العامة وهي شائعة في الصحف والمجلات يفهمها الخاصة والعامة.

٣- أن وجود فروق في مجالات الاستعمال بين العامية والفصحى ليس بدءاً في اللغة العربية، فالعامي الفرنسي لا يفهم أبحاث رينان، والعامي الإنجليزي لا يفهم ماكتبه مابنسسر، والعامي الألماني لا يفهم ماكتبه شوينهور.

٤- أن اللجوء إلى العامية يؤدي إلى تنوع بين عامية شامية، ومصرية، ومغربية، وسودانية، وخليجية... إلخ ثم تظهر صعوبات أشد في التخاطب بين هذه الأقاليم ثم تظهر الحاجة إلى لغة مشتركة فهل تكون غير الفصحى ؟

٥- أن للفصحى تجربتها الناجحة تاريخياً في مواكبة الحضارة والعلم والتقدم وماتزال، فكيف يجوز هجرانها من أجل الحضارة والعلم والتقدم - إلى لغات عامية لم يكن لها أي دور في شئ من ذاك ؟

أما بخصوص الدعوة إلى استعمال حروف جديدة غير العربية فنكتفي برد المستشرق الإيطالي ألفونسولينو في مناصرة الحروف العربية إذ يقرر .

١- أن الخط العربي هو وحده الموافق لطبيعة اللغة العربية، ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لكان علينا أن نخترع حروفاً جديدة في (اللاتينية ؟!) لكي تعبر عن أصوات لحروف مثل ج، ح، خ، ش، ط، ظ، ص، ض، ع، غ.

٢- أن الاختزال ميزة كبرى للحروف، والخط العربي ليس في حاجة إلى ذلك، لأنه غني في هذا الباب ومتفوق على غيره.

٣- أن استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي يستتبع نتائج خطيرة إذ (كيف يكون مصير الكنوز العظيمة التي خلفتها الآداب الإسلامية في الدين، والفقه، والفلسفة، والعلوم، والآداب والفنون وغيرها، وكلها مدونة بالخط العربي ؟ وأمر كهذا فوق أنه خطر فهو متعذر، لأن الحركات لها شأنها الكبير في الخط العربي ، وهي غير كبيرة الأهمية في اللاتيني .

ولأنه لا يمكن أن نتصور النفقات الطائلة التي تصرف في هذا السبيل من غير جدوى.

وإذا افترضنا أن المنفعة في إبدال الخط العربي لكان من الضروري أن يسبق هذا اتفاق بين الشعوب الناطقة بالضاد. ولو كانت مصر وحيدة في اختيار الحروف اللاتينية فيكون هذا سبب انشقاق الوحدة العربية. والآن مصر هي مركز الآداب والعلوم العربية في العالم الإسلامي، فإذا تغيرت الحروف العربية فتخسر مصر هذا المركز الأدبي الممتاز)

٤- ويعترض نلينو على متابعة تركيا في استبدالها الحروف اللاتينية بالحروف العربية. مقررأ أن سبب التغيير في تركيا كان سياسياً، وهو محاربة العنصر العربي، والدين الإسلامي (٥٩)

\* \* \*

وأخيراً فمن الواضح أن محاربة الفصحى - سواء بالدعوة إلى العامية والترويح لها،

أو باستعمال الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية - إنما تستهدف أموراً واضحة  
أشد الوضوح :

(١) أولها تفريق المسلمين عامة (٦٠) ، والعرب خاصة بتفريقهم في الدين ، وتفريقهم  
في اللغة وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم حتى  
لا تتم وحدتهم .

(٢) قطع طريق المسلم الميسور إلى كتابه الأَعْظَم القرآن، والحكم على تراثه كله  
بالموت.

(٣) أن لا يصبح للمسلم ميزة على المسيحي في تفاخره عليه بقراءة كتابه الديني في  
نصه الأصلي. دون حاجة إلى مترجم !!

وليس من شك في أن هذه الأهداف تلج صدر الغرب الصليبي وتتم خطته في  
القضاء على الإسلام في المشرق كما قضت عليه في المغرب.

وانظر ما يقرره المستشرق الإستعماري هـ. جب في كتابه " إلى أين يتجه الإسلام "   
عند كلامه عن الوحدة الإسلامية من أن من أهم مظاهرها الحروف العربية التي  
تستعمل في سائر العالم الإسلامي. وأن اللغة العربية (الفصحى طبعاً) هي لغة ثقافته  
الوحيدة.

وانظر ما يصرح به المستشرق الأثاني كامفغاير الذي يقدر بشماعة أن تركيا لم تعد  
بداً إسلامياً لأن الدين لا يدرس بمدارسها، وإذ يقول (إن قراءة القرآن العربي (!!))  
وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية  
بالحروف العربية).

وانظر ما فعله الاستعمار الفرنسي الذي كان قد أوْشك على القضاء نهائياً على اللغة  
العربية في شمال أفريقيا، وخاض من أجل ذلك أعنف معاركه، وضيق عليها أشد  
التضييق ووضع مستشرقوه مختلف الكتب في دراسة اللهجات البربرية وقواعدها  
لإحلالها محل العربية الفصيحة.

وانظر ما يقوله الدكتور حسين الهراوي عن تقرير لجنة العمل المغربي الفرنسية الذي

وقع في يده وما جاء فيه عن التقارير السرية التي يرسلها المستشرقون في البلاد المستعمرة إلى حكوماتهم لمقاومة الإسلام، لأن روحه تتنافى مع الإستعمار، وأن أول واجب في هذا السبيل هو التقليل من أهمية اللغة العربية وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحلية في شمال أفريقيا واللغات العامية حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم ويمكن التغلب على عواطفهم). (٦١)

وقد يحسن في هذا المقام أن نستشهد بأبيات للشاعر حافظ إبراهيم يدافع فيها عن الفصحى :

إذ يقول على لسانها :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقت عن أي به وعظمت
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة	وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن	فهل سألوا الفواص عن صدقاتي
أيطربكم من جانب الغرب تاعب	ينادي بوادي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوماً عرفتم	بما تحته من عثرة وشتات

## التحديات في مجال الأدب :

يذهب بعض الأدباء مذهباً خفياً في محاربة الدين، إذ يقرنونه في كتاباتهم بما نراشه مختلف الشعوب من أساطير، تاركين للقارئ - كما يقول الدكتور محمد حسين - أن يستنتج من ذلك أن الأديان ليست إلا مجموعة من الأساطير التي لا تصلح إلا للتلهية وإمتاع الخيال .

فمن ذلك مقال طويل للدكتور محمد حسين هيكل - في فترة مبكرة من حياته - عن إيزيس ، ناقش من خلاله أسس العقائد الفرعونية الدينية، مقارناً بينها وبين الأديان السماوية مشيراً إلى ماتركت فيها من آثار فيما يزعم ، وقد أجرى على ألسنة أشخاص الحوار في مقاله هذا عبارات فيها جرأة على الدين وتهكم به وغمز له (٦٢).

ومن هذا القبيل ماكتبه الدكتور طه حسين في مقدمة كتابه (على هامش السيرة) حين قرر أنه لا يروي ما يرويه إلا على أنه أساطير جميلة، ويقول (إن هذه الأخبار والأحاديث إذا هي لم يطمئن إليها العقل ولم يرضها المنطق ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي، فإن في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وميلهم إلى السذاجة واستراحاتهم إليها من جهد الحياة وعنائها ما يحجب إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم إلى أن يلمسوا عندها الترفيه عن النفس حين تشق عليهم الحياة...)

ولم يقف الأمر عند حد التلميح الخفي ، وإنما صار إلى العلن الصريح فيما كتبه الدكتور طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) الذي ظهر عام ١٩٢٦ وفيه يطبق المنهج العلماني إذ يقول (يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتنا، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به ....) ثم يقول (لنجتهد في أن ندرس الأدب العربي غير حافلين بتمجيد العرب أو الغض منهم، ولا مكترئين بنصر الإسلام أو النعي عليه، ولا معنيين بالملامسة بينه وبين نتائج البحث العلمي والأدبي ...).

ثم يضرب ضربته بعد ذلك إذ يقول ( للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ولكن ورود هذين الإسمين في التوراة والقرآن لا يكفي في إثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ... ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين العرب واليهود من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ...) ثم يربط بين هذا كله وبين منهج الأساطير الشعبية إذ يقول (وإذن فليس هناك ما يمنع قريشاً من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى صنعها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإبنياس ابن بريام صاحب طروادة. أمر هذه القصة إذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام ، واستغلها الإسلام لسبب ديني..) هكذا !!

وإذا كان الكاتب قد اضطر إلى حذف بعض هذه العبارات من الطبقات التالية للكتاب الذي أخرجه بعنوان " في الأدب الجاهلي " نتيجة التحقيق الذي أجرته معه السلطات القضائية آنذاك فإنه إنما حذفها كنتائج لبحثه، لكنه لم يحذف المقدمات أو المنهج الذي قام عليه الكتاب والذي من شأنه أن يؤدي إلى مثل هذه النتائج سواء صرح أو لم يصرح بها.

ومنهج الكاتب الذي يؤدي به إلى الضلال هو ما ادعاه من الأخذ بمنهج " الشك الديكارتي"، وهو منهج عقيم ، كما صرح بذلك الفيلسوف البريطاني برتراند رسل وهو يتحدث عن منهج العلم التجريبي نفسه .على أن منهج الكاتب وهو يدعى الأخذ بمنهج الشك نراه بعد ذلك يجزم بنتائجه من خلال مقدمات ظنية جميعها ، يجري فيها أسلوبه بتعبيرات مثل (لعل...) و(أكاد أعتقد...) و(أليس من الممكن...) و(ليس هناك ما يمنع...) فكيف بالله يجوز لباحث يحترم قلمه أن ينتقل من مثل هذه المقدمات إلى نتائج يقطع فيها بما قطع ويجزم بما جزم !!!

ومن هنا يتبين لنا أن الكاتب إنما كان يعبر عن انطباعات شخصية، ابتعد فيها كل البعد عن المنهج العلمي الذي زعمه لنفسه.

. ومن المعروف أن الكتاب لقي معارضة عنيفة واسعة، قادها الأزهر ، وأدت إلى نتائج واسعة أيضاً، لجّ فيها العلمانيون في عنادهم، وتكتل فيها أرباب الإلحاد وراء أهدافهم، وأسفرت في الجانب المقابل عن ردود علمية رصينة، تشير إليها المواصلة البحث لمن أراد.

فقد كتب مصطفى صادق الرافعي كتابه " تحت راية القرآن " وكتب محمد فريد وجدي كتابه (نقد كتاب الشعر الجاهلي) وكتب الشيخ محمد الخضر حسين كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) وكتب محمد أحمد الغمراوي كتابه (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) وكتب محمد لطفي جمعة كتابه (الشهاب الراسد) وكتب الشيخ محمد الخضري كتابه (محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي، ) وكتب الشيخ محمد أحمد عرفه كتابه (نقض مطاعن في القرآن الكريم).

وجدير بالذكر أن كتاب الغمراوي إنما كتبه بعد أن غير طه حسين عنوان كتابه من (الشعر الجاهلي) إلى (الأدب الجاهلي) مقرأ أن المؤلف (عاد فانبعث بعد أن غير من زيه، وإن لم يغير من حقيقته). وأنه - أي الغمراوي - (احتفل بإبراز فساد المنهج العلمي للكتاب الذي حوى باسم العلم كثيراً مما يجهله العلم، والذي يريد أن يهدم تراث ثلاثة عشر قرناً باسم العلم دون أن يقدم دليلاً علمياً .) وحيث يتكلم الغمراوي في كتابه عن فساد تصور طه حسين لمنهج ديكارت، وعن فساد تطبيقه لهذا المنهج ، وعن ضرورة اختلاف مناهج البحث باختلاف العلوم.

\* \* \*



أما أسلوب التلميح والمقارنة بين القصص الديني الحق ، وبين الأساطير الشعبية، فيكفي في دحضه أن نعكس منطق الجاحدين، فنقرر أن وجوه الشبه التي نجدها في بعض المواضع بين الديانة السماوية وبين أساطير الفراعنة أو غيرهم ليست دليلاً على أن الديانة السماوية أخذت مادتها من هذه الأساطير وإنما نقول : إن بعض ما في تلك الأساطير قد يكون أثاراً من الأديان السماوية التي سبقت وجاءت جميع الأمم ، بناء على ما هو مقرر من قوله تعالى (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير .) والآية دليل على أنه تنزلت رسالات سماوية على جميع الأمم حرفها أصحابها ومزقوها وزادوا عليها ونقصوا منها فدخل من ذلك ما دخل في تلك الأساطير . ويصبح المقياس الحق الذي يميز ما بين الحق والباطل فيها هو ما جاء في الرسالة الخاتمة المصونة المحفوظة إلى يوم القيامة ألا وهي رسالة الإسلام، فبعداً لقوم جعلوا الأصل فرعاً، وجعلوا المتبوع تابعاً، واصطنعوا من قصاصات الباطل خرقاً يحجبون بها وجه الشمس، وماهم بحاجبين غير النور عن عيونهم المطموسة.

ولا يجوز لنا أن ننسى في هذا المقام كتاباً من أجود ما كتب في الرد على طه حسين وهو كتاب ناصر الدين الأسد الذي أخرجه بعنوان ( مصادر الشعر الجاهلي ) حيث فضح فيه الأصول التي بناه عليها من دعاوى المستشرقين.

\* \* \*

على أن سيل الهجوم على الإسلام لم ينقطع فجاء بعد طه حسين تلاميذه وأتباعه ومريدوه، ونكتفي هنا بالإشارة إلى كتاب ( القصص الفني في القرآن الكريم ) لأحمد محمد خلف الله الذي جرى فيه على نهج أستاذه في إنكار صدق ما جاء في القرآن الكريم من قصص. واحتفلت الأوساط العلمانية بالتلميز كما احتفلت بالأستاذ وانتشر الكتاب انتشاراً واسعاً إذ طبع منه حتى الآن خمس عشرة طبعة وهو مبني على محض الإنكار والإدعاء والفروض خالٍ تماماً من اعتماد الوحي كمصدر للمعرفة.

ثم جاء من بعده نجيب محفوظ بروايته ( أولاد حارتنا ) التي صور فيها فشل الإنسان - في زعمه - في البحث عن وجود الله ، في أسلوب درامي خيالي، واحتفلت الأوساط العلمانية مرة أخرى بالكتاب ودافعت عنه رغم احتجاج الأزهر، وإنكار السلطة، وتساعد زخم الكتاب أخيراً إلى خياشيم العلمانية العالمية المحاربة للإسلام الكارمة له فأنعته جائزة نوبل في الآداب لعام ١٩٨٩.

فهل يكون من المستغرب بعد أن يحتفل العالم الغربي شديد الكراهية للإسلام بالرواية الساقطة (آيات شيطانية) لسلمان رشدي التي هاجم فيها ببدانة معهودة في كتابات الغرب عن الإسلام كل قيم الدين التي تتمثل في الملائكة، والأنبياء، والرسول، وزوجاته وأصحابه ؟

إن هؤلاء وأمثالهم ليسوا إلا أذيالاً تتلخ في وحل المستشرقين والمبشرين الذين كشف عنهم الدكتور محمد حسين هيكل النقاب - في الفترة الثانية من حياته - في مقدمة كتابه حياة محمد إذ يقول (برغم ما وضعت الحروب الصليبية أوزارها منذ مئات السنين فقد ظل تعصب الكنيسة المسيحية ضد محمد (٦٣) على أشده إلى عصر قريبة ولعله كذلك لا يزال إن لم يكن أشد، وإن يك خفياً يعمل في ظلمات التبشير بالدون من الوسائل، ولم يقف الأمر عند الكنيسة بل تعداها إلى كتاب وفلاسفة في أوروبا وأمريكا لم تكن تصلهم بالكنيسة صلة تذكر).

ويعلق الدكتور محمد حسين على ذلك بقوله : لقد صرح هيكل في هذه المقدمة بسبب تأليفه الكتاب، فبين أن ظروف حياته العملية قد أتاحت له أن يرى عن كثب ما يبذل الإستعمار من جهود لتأييد الطاعنين على الإسلام باسم حرية الرأي، وتبين له ما يقصد إليه الإستعمار من القضاء على الروح المعنوية في بلاد الشرق الإسلامي، بل في البلاد الإسلامية كلها (٦٤)

لكن الله غالب على أمره .

ذلك أنه إذا كان بعض من يتسمون بأسماء إسلامية، يصطنعون من أدبهم رأس حربة لزحف العلمانية العالمية في كيدها للإسلام، فإن الله قبيض من أدباء الغرب وأعلامهم الكبار من يصرح بمناصرة الحق في الإسلام، ونجد في هذا المقام قائمة طويلة، نكتفي منها بذكر ما كتبه توماس كارليل الأديب الفيلسوف الإنجليزي الشهير في كتابه " الأبطال " إذ يقول (لقد أصبح من العار على أي فرد متعدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة). (٦٥)

ونثني على ذلك بما قرره المستشرق المعاصر مونتجومري وات من أن التشويه الذي ألحقه الغرب بالإسلام (٦٦) (ماهو إلا إسقاط للظلمة الكامنة فيه هو والتي لا يريد الإعتراف بها). (وأنها ترمز للشroud القاتعة في أوروبا ذاتها). (٦٧)

## التحديات في مجال الفن والأخلاق

لم يقف دور الأدب العلماني المنحرف على التشكيك في العقيدة والتربص بها ولكنه احتل مكانه في الدعوة إلى الفسق والمجون وتدمير الأخلاق، الأمر الذي يمثل تحدياً عملياً للفكر الإسلامي . ولا نجد أجمل تعبيراً عن هذا الدور الهدام من مقال للأديب المعروف محمد توفيق دياب وهو يكتب عن (الأدب الماجن) فيقول (ألا تدرى ماذا أريد بالأدب الماجن ياسيدي القاري؟ تلك الرواية التي يكتبها الكاتب ويمثلها الممثل فيقرأها أُلوف ويشهد تمثيلها أُلوف (٦٨) ، وتورد كل حوادثها حول محور واحد هو الصلة بين الرجل والمرأة . ولكن أية صلة؟ أبعد الصلات عن الشرف، وعن العفاف، وعن احترام الحرمات التي لولاها ماكانت الإنسانية جديرة باسمها .

وأي رجل وأي امرأة ؟ رجل كل همه أن يخدع زوجة عذراء عن كرامتها وعن موضع التقديس من عصمتها، فيفلح في أكثر الأحيان أو في كل حين. وامرأة مائعة الخلق همها في دنياها أن تلهو بالرجال وتتقاد لكل إنسان سوى حليها.... وقصة طويلة في مجلد أو اثنين ، كأن كاتبها ليس يرى في حوادث الكون ولا يستوقفه من شئونه الطويلة العريضة سوى أمور يصعد لها الدم في وجنات البنات ووجوه البنين حياء وخجلا.

وقل أن ينتهي حادث من أحداث هذا الغرام الملطخ والهوى المسموم إلى زواج أو شمم أو إباء ، بل هي الهاوية أبداً وهو الإسفاف كل الإسفاف.

على أنها هاوية يزينها الكاتب بضروب من الأزاهير ويؤثثها بكل وشير ناعم من دواعي الشهوة والمتاع البهيمي الدنيء.....

هذا النوع من آثار بعض الكتاب هو ما نسميه بالأدب الماجن وإنما نتجاوز فنسميه أدباً لأنه كثيراً مايعزى إلى كتاب حاذقين، بعضهم من أئمة البيان. فهم أدباء من حيث انتسابهم إلى صناعة الكتابة، لامن حيث اتصافهم بمكارم الأخلاق.

وأكثر ما تكون هذه النزعة الشهوية في طائفة من كتاب الأمم اللاتينية. ولقد يعترفون أحيانا بأن هذه الصور التي يرسمونها في تصانيفهم مأخوذة من واقع الحياة.... وهم في ذلك سوفسطائيون ممارون يحاولون أن يقنعوا الناس بأن كل ما هو أشوه مقبوت في الأخلاق والطبائع بياح تكبيره والإفاضة فيه والإغراء به لا محاربه واستنكاره.

وقد يجيبون عن هذا الاعتراض بأن استنكارهم لتلك السيئات ينطوي في ثنايا ما يكتبون ، ولكن الواقع غير ما يزعمون فهم حين تجري أقلامهم بوصف الشهوات وتفاعلها جذباً ودفعاً وأخذاً ورداً ووصلاً وقطعاً تجرى بكل مشير للأهواء ، دافع إلى الإستهانة بكل حرمة وكل ضابط من ضوابط النفوس، فهم إذن دعاة إلى الفوضى الخلقية مهما اعتذروا أو تماروا أو ظهروا في مظهر المصلحين).

ثم يقول الأستاذ محمد توفيق دياب تكملة لإجابته على الاعتراض المذكور ( وقد يعبس الفتى أو الفتاة حيناً إذا قرأ أو قرأت مجوناً جريئاً عرياناً، ولكن إذا ألفت العين والنفس أمراً كان مبعثاً للحياء أمس ، فقد لا تثبت العين والنفس أن تنزعا إليه وتطلباه. فإذا فقدت النفس نفورها من قراءة المخازي وتصور معانيها فقد هانت عليها المرحلة التالية، وهي التلبس بهذه المعاييب سلوكاً وعملاً..).

وما يتحدث عنه الأستاذ محمد توفيق دياب عن الإثر الهدام للأدب "القدر" في مجال الأخلاق ، منذ أكثر من خمسين عاماً، هو صورة مصغرة لنمو هذا النوع من الهدم الأخلاقي نلاحظه اليوم صارخاً واضحاً شديد الإلحاح والتدمير ، ليس على جبهة القصة الأدبية فحسب، وإنما على جبهة الشعر، والغناء والمسرح والسينما، والمسلسلات التلفزيونية ، والفديو مما لا يحتاج إلى بيان .، ومما لا تحتاج آثاره إلى توضيح.

ولقد شارك في هذا الهدم الأخلاقي كبار الكتاب والأدباء والفنانين عمالقتهم وأقرانهم على السواء، إذ أخذ هؤلاء جميعاً ينطلقون من نقطة خطيرة: هي استبعاد الدين من الميدان.

ولقد وصل هذا الغزو الأخلاقي إلى بعض قلاع العلم، وحصون الشباب ، ( ففي اجتماع مجلس جامعة القاهرة في شهر مارس ١٩٨٦ ناقش الأعضاء شكوى تنقأها وزير التعليم من ولي أمر طالبة بالفرقة الرابعة بقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب، فقد رأى والد الطالبة أن الرواية "العربية" (نعم العربية) التي تدرس للطلبة والطلبات تتصادم مع الحياء والنزق العام وتعالج مشاهد جنسية بقدر من الابتذال ليس له مثيل في الأدب العالمي). (٦٩) نعم إلى حد أنها ليس لها مثيل في الأدب العالمي.

وتعلق كاتبة صحفية فاضلة على التدمير الأخلاقي الذي تقوم به الأفلام والمسلسلات إذ تشيع الفاحشة في المجتمع الريفي (نعم : حتى المجتمع الريفي ) وتصور هذا المجتمع بصورة منحلة بعيدة عن الواقع، أملاً في أن يصير الواقع مستقبلاً إلى هذا

الانحلال ، فتقول (لم نسمع عن "بهانة" خرجت للزئمة مع أحد في الحقول، ولا يخطر على بال "شلبية" أن تجلس مع غريب بجوار الساقية اللهم إلا في "الأفلام" فالمعروف أن "ست أبوها" تحافظ على شرفها وسمعتها وكرامتها حتى يأتي ابن الحلال ويقراً الفاتحة مع أبيها في الدار). (٧٠)

ثم تواصل الكاتبة تصويرها للانحلال في المدينة والذي يراد له أن ينتقل إلى الريف (أما الفتاة المودرن المتعلمة فقد نسيت الدين وتحدث العادات والتقاليد، وقلدت الأوربية والأمريكية في كل شيء حتى الابتذال ، فهي تزعم أن الصداقة بين الجنسين شيء عادي وأن الحب أمر طبيعي ، وأن من حقها دراسة شخصية العريس قبل الزواج ، وهكذا انطلقت واستمعت إلى وعود وأوهام، وصدقت، فإذا ضاعت أو أوشكت على الضياع راحت تشكو وتبكي ، وتندب حظها .... وكان في استطاعتها أن تتفادى هذه المشاكل لو تمسكت بدينها، وتصرفت بعقلها، واستشارت أمها وتذكرت أنها من المنوفية لا كاليفورنيا). (٧١)

المنشكة هي كما وضعت يدها عليها الكاتبة الفاضلة ترجع إلى عناصر أهمها : استبعاد الدين ، (أي العلمانية).

ومن استبعاد الدين كان التطلع إلى أن تقتدي فتاة "المنوفية" أو غيرها من قرى المسلمين، بكاليفورنيا، أو غيرها من بلاد العلمانية.

وماذاك إلا تحت وهم التقدم.

والأمر الذي لا شك فيه أن الأفلام والمسلسلات الأجنبية التي تتربع اليوم على عرش التوجيه في الأسرة هي أكبر مؤسسة "تبشيرية" عرفها التاريخ للانحلال الأخلاقي. وأكاد أجزم بأن إزاحتها اليوم من فوق هذا العرش تمثل معركة من أخطر معارك الاستقلال وأُرسسها التي يحتمل أن يعرفها التاريخ. ولا يمكن أن نتخيل ضربة قاصمة يمكن أن توجه إلى قلب الإستعمار والنفوذ الأجنبي أكبر من تلك الضربة التي نتخيلها.

والأمر في هذا لا يقتصر على أفلام السينما والفيديو العالمية وإنما هو ينطبق بالضرورة على أفلام السينما والفيديو العربية التابعة لها.

إنه عن طريق هذه الأفلام والمسلسلات أصبح المثل الأعلى والقوة الجاذبة تعوى من

بين مستتقات الرقص والتمثيل والفناء، وتحملها إلينا الشاشة الصغيرة تارة، والصحافة الراقية أحياناً أخرى، حيث يغلب الحديث في هذه الأجهزة جميعاً عن الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات والراقصين والراقصات، وحيث تحتل أخبارهم وأخبارهن أوسع المجالات، وأبرز الساحات، وتتضام بجانب هذه الأحاديث كل أنواع الأحاديث الأخرى.

ومن هنا انتشرت الصور العارية تعرض الأوضاع المثيرة باسم الفن، أو باسم الواقعية، فتارة هي من معرض رسام أو مثال، وتارة هي صورة لمثلة أو راقصة مما يسمى "نجوم المسرح" أو السينما أو الفيديو في هذا البلد أو ذاك، وتارة هي نموذج متحرك لما ابتدعه مصممو الأزياء الغربيون والمقلدون، وتارة هي صورة لمسابقة في ملكات الجمال، وتارة هي إعلان خليع وتارة هي شريط من شرائط الفيديو الفاضحة الساقطة، وتارة هي فتاة في مقبّل الشباب تقف عارية أمام شاب مراهق في مدرسة للفنون الجميلة التي ترعاها الدولة.

ويفقد الآباء سلطانهم في الأسرة، وتنتشر المسرحيات والمسلسلات التي تلح على ذلك وتقيح من وجه الأب ودوره في التوجيه، ويضيع احترام الماضي، وتوقير الكبار، ويهتبل الناس لحظة المتعة أنى وجدوها، ويتجاوزون ذلك كله إلى تعود الفاحشة وإلى شرب الخمر وتدخين الحشيش، وأكل الأفيون، وشم الهيروين والكوكايين، فإن لم يجدوا شيئاً من ذلك يسّرت الحضارة "الغربية" أمرهم في قرص رخيص أو اثنين من مسنّدات العلم الحديث .

ويتغلغل الغزو العلماني الأخلاقي إلى داخل المدرسة أو المعهد أو الجامعة ويترجم ذلك كله في استفتاءات يزعمون أنها من إبداع "العلم" ومستلزمات التربية الحديثة يلقون فيها إلى الطالب أسئلة تنزع ما قد يكون مترسباً في أعماقه من احترام الدين أو الإلتزام بالأخلاق، استفتاءات من مثل: ما الفرق بين الخطأ والصواب، ؟ هل في طاقة الشباب أن يعيش عيشة طاهرة أم هذه المعيشة لا وجود لها إلا في عالم الخيال؟ هل الرقص مرغوب فيه؟ ما الفائدة من الدعاء لله أن ينزل المطر في فترات الجفاف طالما نحن نعلم أن المطر خاضع لقوانين طبيعية جوية هيهات أن يعمل الخالق على كسرهما؟، إذا تعارض الدين مع العلم فأيهما تصدق (٧٢)؟

• • •

ويتم هذا التحدي الأخلاقي - أو التخریب الأخلاقي بعبارة أصح - باسم العلمانية تارة، وباسم العلم تارة أخرى أو بكليهما معاً .

فباسم العلمانية يقال لنا : لا شأن للدين بالحياة الدنيا، ولا شأن له بالأخلاق، نعم يقال ذلك صراحة إذ يحيلون الأخلاق إلى مذاهب تتناولها باسم التطور، والتغير، والتكيف مع البيئة.

مذاهب لا تعترف بصفة الثبات في الأخلاق.

فما يصلح أخلاقاً لبيئة لا يصلح لأخرى، وما يصلح أخلاقاً لزمن لا يصلح لآخر، وما يصلح أخلاقاً لمهنة لا يصلح لمهنة ثانية، وما يصلح أخلاقاً لطبقة لا ينبغي أن يكون مطلوباً من طبقة غيرها. (٧٢)

هكذا ...

فإذا قلنا لهم : فكيف تنقلون إلينا أخلاق نيويورك ولندن وهوليوود، ومونت كارلو ... زعموا أن هذا هو طريق التقدم ، لأنه يعني المحاكاة لمن سبقونا في طريق الحضارة ...

أما إن قلنا لهم : وماذا عن الإسلام، ومحاكاة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم فأولئك هم السابقون السابقون ؟؟؟ أشاحوا عنا بوجوههم وأسروا في أنفسهم نية القضاء على هذا الدين.

وهم لا يفلحون

(لقد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، والذي هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.)

هذه هي دعوة الإسلام إلى الأخلاق (٧٤).

وهي أخلاق ثابتة لا تتغير، لأنها تتم بكلمة الله ولن تجد لكلمة الله تبديلاً .

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

من شاء فليعتصم بحبل الله، وليتمسك بالعروة الوثقى والنجاة عن طريق هذا الدين القائم على التسليم لله.

تسليماً مطلقاً في مجال العقيدة والتشريع، وتسليماً مطلقاً في مجال الأخلاق والفن.  
ومن شاء فليذهب مع هذه الحضارة الغربية التي تاكل ذاتها، ويستعد التاريخ لتشييع جنازتها باسم العلمانية على أنغام الفن وطبول الرقص .  
يقول الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي :

(إن من عجائب الدنيا أن قمة الحضارة الرفيعة هي بعينها مبدأ سقوط الأمم . وهذا هو السر عندنا في أن الدين الإسلامي يكره لأهله أنواع الترف والزينة والاسترخاء، ولا يرى النحت والتصوير والموسيقى والمغالة فيها وفي الشعر إلا من المكروهات. بل قد يرى فيها ما يحرم إن وجد سبب لتحريمه، إذ كانت هذه الفنون في الغالب وفي الطبيعة الإنسانية هي التي تؤدي في نهايتها إلى سقوط أخلاق الأمة، بما تستتبعه من أساليب الرفاهية والضعف المتفنن، وما تستحدثه للنفس من فنون اللذات والإغراق فيها والاستهتار بها.

وما سقطت الدولة الرومانية ولا الدولة العربية إلا بكأس وامرأة ووتر وخيال شعري يفتن في هذه الثلاثة ويزينها.) (٧٥)



(٨)

التحديات في مجال حقوق المرأة وواجباتها

للأستاذ الدكتور  
صفوت حامد مبارك



## (٣) شبهات حول أوضاع المرأة المسلمة

### يثيرها دعاة التقليد للغرب (١٤٥)

هناك شبهات يثيرها تلاميذ الغرب وأبواقه حول أوضاع المرأة المسلمة، ونحن نشير إلى هذه الشبهات، ونقوم بمناقشتها ودحضها في الصفحات التالية:

١- القوامة : وأول ما يثيره هؤلاء ما يتعلق بقوامة الرجل على المرأة - وهم يدعون أن قوامة الرجل على المرأة تعود إلى أوضاع المرأة المتردية في العصور السابقة؛ حيث كانت المرأة بعيدة عن نور العلم والثقافة، ذليلة خاضعة للرجل، تابعة له اقتصادياً واجتماعياً- أما الآن فقد تبدلت الأوضاع ، فالمرأة تشارك الرجل في معاهد العلم ومواقع العمل ؛ فهي تتعلم كما يتعلم ، وتعمل كما يعمل، وتكسب كما يكسب، ولم تعد في حاجة إليه، فلا معنى إذاً لبقاء قوامة الرجل عليها.

وهذا كلام طلي في مظهره، ولكنه متهافت في جوهره - فنظام الأسرة - كما يقرره علماء الاجتماع - هو أساس المدنية والعمران وبقاء النوع البشري؛ ومن المقرر أن كل مجتمع - مهما قل عدد أفراده - لابد له من رئيس مسئول يتولى رعايته وتوجيهه والدفاع عنه والقوامة عليه ؛ فإلى من من الجنسين تكون هذه القوامة ؟ إنها تكون بالأمراء لمن هو أقدر على القيام بها، ولاشك أن الرجل هو المؤهل لذلك - جسدياً وعاطفياً - دون المرأة؛ وذلك لما ينتابها من دورة شهرية تحيلها إلى شبه مريضة نحو أسبوع في كل شهر - تصبح فيه عاجزة عن التركيز؛ سريعة الانفعال والتأثر، لا تقوى على الدفاع عن نفسها؛ ثم الحمل وما يتبعه من رضاعة وحضانة - مما يستغرق نحو ثلاثة أعوام عند كل ولادة؛ ومن الطبيعي أن يشغل ذلك جانباً من القوى الجسدية والعقلية للمرأة، فتكون أقل درجة من الرجل - الذي يقوم بأعماله دون أن يشغل بهذه الوظائف الأنثوية، وليس بلزم أن يرتبط ذلك بالحالة التي تشغل فيها بنية المرأة- فعلاً- بهذه الوظائف - بل إن الاستعداد لها مركب في طباعها، متصل بخلاياها الدقيقة، وجوارحها وأعضائها؛ فقد خلقت لتكون أمّاً.

ثم إن للمرأة تكويناً عاطفياً خاصاً؛ لأن طول ملازمتها لطفلها تتطلب لونهاً من التناسب بين مزاجها ومزاجه، وعواطفها وعواطفه، ولذا يوجد لديها نوع من المشابهة

للطفل في الرضا والغضب، وفي سرعة الإنفعال، وتقلب العواطف، وفي حب التدليل والعطف ممن يعاملها، ولو كان في سنّ أبنائها - وهذا كله جعل المرأة سريعة الانقياد للعاطفة، يصعب عليها تحكيم العقل، وصلابة العزيمة - وليس 'هذا عيباً' فيها ولا نقیصة، ولكن أراد الله لها ذلك حتى يسهل عليها رعاية الطفل وحضانتها، وهي وظيفة سامية لا تعدلها وظيفة أخرى في الحياة.

هذا كله جعل من الرجل هو الأنسب للقوامة على الأسرة، وهذا لا يفض من قيمة المرأة ولا يحط من كرامتها؛ فهذه القوامة ماهي إلا ولاية الرعاية والتوجيه والنصح، لا ولاية السيادة والبطش والقسوة. وفي هذا السياق يأتي قوله تعالى: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة، والله عزيز حكيم" (البقرة-٢٢٨)؛ فقد قررت الجملة الأولى مبدأ المساواة التامة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات؛ والجملة الثانية تشير إلى درجة القوامة فهي للرجل ويقول الله تعالى: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم"؛ فهذه الآية تشير إلى السبب في جعل القوامة للرجل - وهي الفروق الجسدية والعاطفية التي تميز الرجل عن المرأة- وهي بفعل الله وحده ولا دخل لأحد فيها - وقد أشرنا إليها في السطور السابقة - كما تشير أيضاً إلى سبب آخر - وهو أن الرجل هو المكلف شرعاً بالإنفاق على الأسرة؛ فيكون هو الأولى بالقوامة عليها \*.

٢- الميراث : هذا موضوع آخر يحلو لدعاة تقليد الغرب أن يلوكوه بالسنتهم - وهو حق الميراث للمرأة؛ فهم يدعون أن الإسلام يحط من شأن المرأة إذ يعطيها نصف ما يعطي الرجل من الميراث- وهذا غبن لها - بيد أننا حين ننظر إلى الأمر نظرة فاحصة يتبين لنا أن الإسلام - وهو يعطي المرأة نصف ما يعطيه للرجل (٢) - هو في الواقع يفضلها على الرجل؛ لأن الإسلام يعفي المرأة من تبعات الإنفاق على الأسرة، فالرجل هو الذي يتحمل تبعه الإنفاق على الأسرة - ومنها المرأة - سواء أكان أباً لها أم زوجاً أم أختاً أم ابناً؛ كما أنه هو الذي يعطي المهر للمرأة - وما تحصل عليه المرأة من ميراث أو مهر تدخره لنفسها ولا تكلف بإنفاق شيء منه - بينما ما يحصل عليه الرجل ينفق منه على المرأة - بنتاً له أو زوجة أو أختاً أو أمّاً - فبعد فترة من الوقت تتضاعف ثروة المرأة باستثمار مالها المدخر، وتتضاعف ثروة الرجل بما ينفق على الأسرة، وقد تتلاشى نهائياً - فهل في هذا غبن للمرأة ؟ أم أنه عين التفضيل لها والرعاية والإكرام ؟!

على أن زيادة نصيب الذكر على الأنثى في الميراث، ليس مطلقاً، ولكنه يكون في بعض الحالات، وهناك حالات يسوّى فيها بين الذكر والأنثى، كالأبوين إذا كان للميت ولد ذكر فلكل منهما السدس؛ وكالإخوة لأم إذ يسوّى بينهم في الميراث ذكراً وإناثاً.

٣- دية المرأة : وتلك نقطة أخرى - وهي أن دية المرأة على النصف من دية الرجل إذا كان القتل خطأ، أولم تستوف شروط القصاص إذا كان عمداً.

وقد يظن ظان أن هذا يتنافى مع ماقرره الإسلام من مساواة تامة بين الرجل والمرأة في الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية - بيد أن أمر الدية إنما يتعلق بقدر الضرر الذي يلحق الأسرة بمقتل الرجل أو المرأة. فإذا كان القتل عمداً وجب القصاص من القاتل سواء أكان المقتول رجلاً أم امرأة، وسواء أكان القاتل رجلاً أم امرأة ، لأننا هنا بصدد روح إنسان في مقابل روح إنسان - والرجل والمرأة متساويان في الإنسانية.

أما في القتل الخطأ الذي تجب فيه الدية، فإن الدية هنا تعد تعويضاً مالياً عن الخسارة المالية التي لحقت الأسرة بسبب قتل أحد أفرادها - وهذه الخسارة تتضاعف إذا كان المقتول رجلاً. فالأولاد الذين قتل أبوهم، والزوجة التي قتل زوجها - قد فقدوا من يعولهم وينفق عليهم - وهي خسارة مادية فادحة . أما الأولاد الذي قتلت أمهم ، والرجل الذي قتلت زوجته ، فإنهم لم يفقدوا إلا الناحية المعنوية - وهي لا تعرض بالمال.

إن الدية ليست ثمناً مقابلاً للمقتول ، فإن الإنسان لا يقدر بالمال، فهي إذاً ليست في مقابل الإنسان الذي فقد، بل هي في مقابل الخسارة المالية المترتبة على فقد هذا الإنسان - وهي في فقد الرجل أعظم.

٤- شهادة المرأة : يقول الله تعالى : " واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى"(البقرة-٢٨٢). ففي باب الحقوق المالية تقبل شهادة المرأة إذا أضيفت إليها شهادة امرأة أخرى ورجل - وهذا أيضاً لا يفض من شأن المرأة، ولا يتناقض مع ماقرره الإسلام من مساواتها بالرجل في الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية ، بل إن الأمر وجهاً آخر:

١- فالمرأة - كما سبق أن ذكرنا - تغلب جانب العاطفة على جانب العقل، وتتأثر

أحكامها بميولها وأهوائها - والقضاء إنما يقوم على تحري الحق والتثبت منه ، ولذلك احتيج في شهادتها إلى امرأة أخرى تؤكد ما تقول ، حتى يتيقن القاضي أن شهادتها ليست متأثرة بميولها وعواطفها - إذ من المستبعد أن تتفق امرأتان في الميول والعواطف، أو تتواطأ على الكذب والتزوير.

٢- إن الوظيفة الأساسية للمرأة - وهي الأمومة - تلجئها إلى لزوم البيت غالباً، وتباعد بينها وبين حضور مجالس العقود - وهي إن حضرتها لا تهتم بما يجري فيها عادة ؛ فإذا استدعيت للشهادة فإنها غالباً لا تتذكر تفاصيل هذه العقود، ويكون احتمال خطئها أو نسيانها أمراً وارداً؛ ولذلك احتجنا إلى امرأة أخرى تؤكد شهادتها ، وتذكرها ما يغيب عنها : أن تصل إحداهما. فتذكر إحداها الأخرى، وبذلك يزول احتمال الخطأ والنسيان، ويضمن ضمير القاضي وهو يصدر حكمه.

ولهذا السبب نفسه لا تقبل شهادة المرأة في الجنايات والحدود ؛ لأن المرأة لا تستطيع أن تتماسك عند حدوث هذه الجرائم بمشهد منها - فهي قد تفر من المكان ، أو تصرخ وتلول، أو يغمر عليها فلا تستطيع أن تتذكر شيئاً مما حدث؛ فكيف تقبل شهادتها - وهي شهادة تحيط بها الشبهة؟

والذي يدل على أن الأمر لا يقصد به الحط من شأن المرأة، ولا خرق مبدأ المساواة بينها وبين الرجل - أن المرأة تقبل شهادتها وحدها فيما لا يطلع عليه سوى النساء عادة - كإثبات ولادة ، والثبوتية ، والبكارة، والرضاع، ونحوها من الأمور الخاصة بالنساء؛ فالأمر إذاً لا يتعلق بالمساواة وعدمها، ولا بالأهلية وعدم الأهلية؛ بل هو يتعلق بالتثبت في الأحكام، وتحري الحق في القضاء، وظروف الشهادة وخصوصيتها.

٥- الإمامة العظمى : وهي الرياسة العليا للدولة وما في معناها - وهي في الإسلام لا يتولاها إلا الرجل (١٤٦)؛ لأنه إذا كانت رئاسة البيت مقصورة عليه - كما أسلفنا- فما بالناس برئاسة الدولة بأكملها ؟ - وهذا الأمر أيضاً لا علاقة له بإنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها التي قررها الإسلام - بل الأمر يتعلق بمصلحة الأمة، وبحالة المرأة النفسية ، ووظيفتها الاجتماعية .

ف رئيس الدولة في الإسلام يجمع بين حراسة الدين وسياسة الدنيا؛ فهو الذي يعلن الحرب ويقود الجيوش ويعقد المعاهدات - كما يتولى خطابة الجمعة في المسجد الجامع،

ورأى الناس في الصلاة، والقضاء في الخصومات - وهذه المهام لا تستطيع المرأة القيام بها بسبب تكوينها الجسدي والعاطفي ؛ فهذه المهام تستدعي قوة الأعصاب، والبعد عن الجزع والهلع واضطراب النفس - كما تتطلب الجرأة والإقدام - ماذا تفعل المرأة إذا خاضت معمة الحرب - وهي ترى الأشلاء تتناثر من حولها، والدماء تسيل، والأجساد تنهوى، والرؤوس تتطاير؟ وماذا تفعل إذا كانت رئيساً للدولة، وأزيز طائرات العدو يصم أذنيها - وهي على مكتبها في مقر حكمها ؟ ثم كيف تصرف شئون الدولة في أيام دورتها الشهرية - حيث تكون في غاية العصبية والانفعال- أو في أيام حملها وولادتها - حيث تكون شبه مريضة - إن من حماية الإسلام للمرأة ، وإكرامه لها أن باعد بينها وبين تولى هذا المنصب.

إن رئاسة الدولة تتطلب رباطة الجأش، وتغليب المصلحة على العاطفة، والتفرغ التام لشئون الدولة؛ والمرأة - بطبيعة تكوينها النفسي والجسدي ، ورسالتها الاجتماعية - أبعد ما تكون عن ذلك .

قد يقول قائل : إن بعض الدول قد أسندت رئاسة الدولة، أو رئاسة الوزراء إلى المرأة - وقد نجحت المرأة في ذلك خير نجاح- فنجيب أولاً : بأن هذا شئ نادر الحدوث - والنادر لا حكم له ، ولا يقاس عليه ؛ فالأحكام إنما تنبني على الأعم والأغلب - لا على النادر والشاذ - إن هناك من الصبيان من يستطيع القيام بما لا يستطيع بعض الرجال أن يقوم به ، فهل يعني هذا أن نسند أمورنا إلى الصبية ونحرم منها الرجال ؟

ثانياً : إن من أهم وظائف رئيس الدولة الإسلامية قيادة الجيوش - وهذا أمر لا يستطيع القيام به سوى الرجال - ولم نسمع على مدى التاريخ أن أمة من الأمم أسندت قيادة جيشها إلى امرأة.

٦- الاشتغال بالسياسة (حق الانتخاب والترشيح) : لم تهتم المرأة المسلمة في جميع أطوار تاريخها بالاشتغال بالسياسة - مع أن الإسلام قد سوى بينها وبين الرجل - فلم تشترك النساء في سقيفة بني ساعدة، ولم يكن الخلفاء الراشون يجتمعون بالنساء لاستشارتهم في شئون الدولة.

نعم قد جاء في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بايع النساء يوم فتح مكة كما بايع الرجال، ولكن هذه البيعة لا تدل على اشتغال المرأة بالسياسة فقد كانت البيعة

على " أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنین ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك (أي رسول الله) في معروف" - وهذه أمور لا صلة لها بالحكم والسياسة.

كما جاء في التاريخ أن النساء كن يخرجن في صحبة الجيوش يضمعن الجرحى، ويسقين العطشى، كما كن يحضرن صلاة العيد ودروس الوعظ منفصلات عن الرجال - وذلك أيضاً لا يدل على اشتغال المرأة بالسياسة - كما يذكر التاريخ أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد حضرت معركة عرفت باسم "معركة الجمل" ولكن التاريخ يذكر أيضاً أن السيدة عائشة قد ندمت على ما فعلت .. وهي قد اجتهدت فأخطأت - فلا تصلح هذه الحادثة دليلاً على اشتغال المرأة المسلمة بالسياسة - فهي حادثة فردية ندمت عليها السيدة عائشة.

ويذكر التاريخ أن إحدى النساء المسلمات " شجرة الدر" قد تولت الحكم ولكن هذه حادثة فردية لا تصلح دليلاً ولا يقاس عليها.

فمن الثابت تاريخياً أن المرأة المسلمة لم تهتم بالاشتغال بالسياسة. ولكن كيف يحدث هذا مع أن الإسلام قد سوى بينها وبين الرجل في الأهلية القانونية؟ كما سبق أن ذكرنا.

الحق أن الإسلام وإن رفع عنها الغبن الواقع عليها من قبل، وسوى بينها وبين الرجل في الأهلية القانونية مما يمكنها من الاشتغال بالسياسة - إلا أن الإسلام يرى أن من الخير للمرأة والمجتمع أن تتفرغ لشئون أسرتها ورعايتها، ولذلك لم يكلفها بالإنفاق على الأسرة - وقد رأت المرأة المسلمة أن واجبها الأول في الحياة أن تكون أمّاً للأبطل والقادة والسياسيين. وموقفها هذا يشبه موقف المرأة السويسرية التي حصلت على الحق السياسي في النيابة والانتخاب، ولكنها لم تستعمل هذا الحق، ولا تريد أن تستعمله حتى تكون بمنأى عن معارك السياسة بخصوماتها ومشكلاتها.

هذا من الناحية التاريخية، أما من الناحية التشريعية فالإسلام لا يحرم المرأة من حق "الانتخاب"؛ لأنه توكليل لمن ينوبون عن الأمة في التشريع ومراقبة الحكومة، ويدافعون عن حقوق الشعب - والمرأة المسلمة ليست ممنوعة شرعاً من أن توكل أشخاصاً ينوبون عنها في الدفاع عن حقوقها، وينوبون عن الأمة في التشريع ومراقبة الحكام.



ولكن إذا كانت مبادئ الإسلام تعطى المرأة الأهلية الكاملة لانتخاب نواب الأمة، فهل تبسح لها أن تكون هي نائبة؟

إن وظيفة النائب تنحصر في أمرين : التشريع، ومراقبة الحكومة.

أما التشريع فلا يوجد في مبادئ الإسلام ما يمنع المرأة من أن تكون تشارك فيه - فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة - لأن التشريع يتطلب علماً بالدين ومعرفة بحاجات المجتمع - وقد أعطى الإسلام المرأة حق التعلم كالرجل - وفي تاريخ الإسلام كثير من المحدثات والفتيات والعالمات في شتى فروع العلم ، وأما مراقبة الحكومة فهذا نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - والرجل والمرأة في ذلك سواء - يقول الله تعالى : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " . فليس في نصوص الإسلام ما يحرم على المرأة أن تكون نائبة .

ولكن مبادئ الإسلام العامة تحول بينها وبين ذلك - لا لعدم أهليتها - بل للمصلحة الاجتماعية ، فالنيابة عن الأمة تحول بين المرأة وبين التفرغ لرعاية الأسرة - وهي وظيفتها الأساسية - كما أنها تؤدي إلى اختلاطها بالرجال الأجانب عنها، كما تدفعها إلى الإقامة وحدها بعيداً عن موطنها وأسرتها إذا لم تكن تقيم أصلاً في البلد الذي يتم فيه اجتماع النواب، وقد تسافر إلى دول أجنبية للمشاركة في مؤتمرات برلمانية - وهي بغير محرم.

وهذه كلها أمور يحرمها الإسلام ولا تتفق مع مبادئه.

فالإسلام وإن كان لا يحول بين المرأة والنيابة - بحسب أهليتها لذلك - إلا أنه يحول بينها وبين ذلك بسبب طبيعة هذه الوظيفة، وما تستدعيه من أمور يحرمها الإسلام، كما يحول بينها وبين ذلك مراعاة للمصلحة العامة ؛ ونحن إذا نظرنا إلى نيابة المرأة أدركنا أن مضارها أكثر من نفعها؛ فهناك إهمال البيت والأولاد، وهناك نقل الخصومات الحزبية والسياسية إلى البيت .

ومن هنا نرى أن الإسلام - وإن كان قد أعطى المرأة حق الانتخاب وحق النيابة - من حيث أهليتها لذلك - إلا أنه يحول بمبادئه بين المرأة وبين استعمال هذا الحق ولما يترتب عليه من مضار اجتماعية - أقلها تحويل البيت إلى ساحة معركة حزبية، وقد يؤدي ذلك إلى قتل أحد أفراد الأسرة - كما حدث

في أحد انتخابات الرئاسة الأمريكية - حيث قتلت زوجة زوجها لأنها كانت تتحمس لمرشح من غير الحزب الذي ينتمي إليه الزوج.

فالمراة عاطفية وتتأثر بالدعاية، ولذلك كان ابتعادها عن الاشتغال بالسياسة - انتخاباً وترشيحاً - من الأمور التي تدعو إليها مبادئ الإسلام، ولا يحط ذلك من كرامة المرأة ومكانتها ؛ فالقانون يمنع أفراد الجيش من الاشتغال بالسياسة، فهل يعني ذلك أنهم أقل من غيرهم من المواطنين أهلية وكرامة ؟ فكما يفرغ الجندي لمهمة الدفاع عن الوطن، كذلك ينبغي أن تفرغ المرأة لمهمة رعاية الأسرة والأولاد، وما أجلها من مهمة ! وما أسماها من وظيفة!

ونحب أن نشير هنا إلى أن المرأة السويسرية ترفض إلى يومنا هذا أن تمارس حق النيابة والانتخاب - وقد أجرى استفتاء كانت نتيجته رفض ٩٥٪ من النساء السويسريات الاشتغال بالسياسة - ولم يتهمن أحد بالتخلف والجمود والرجعية - كما يحلو للدعاة إلى تقليد الغرب في بلادنا اتهام من يعارضهم في هذا الشأن

٧- المرأة والوظائف العامة : عرفنا من قبل أن الإسلام يحول بين المرأة وتولي منصب الرئاسة العليا للدولة وماكان في معناها في تحمل المسئوليات الجسيمة.

أما تولي المرأة القضاء فقد منعه جمهور الفقهاء مطلقاً ، وذهب الإمام الطبري إلى جواز ذلك مطلقاً، وأجاز أبو حنيفة أن تكون المرأة قاضية في الأموال حيث تقبل شهادتها فيها. وليس هذا مجال تفصيل ذلك - وهو مبسوط في كتب الفقه - ولكننا نقول : بصرف النظر عن الخلاف الفقهي حول هذا الموضوع فإنه من الناحية الواقعية ينبغي ألا تسند هذه الوظيفة إلى المرأة ؛ لأنها أولاً : لا تتفق مع طبيعة المرأة ومزاجها المتقلب - وخاصة في أيام الحمل والحيض- والقضاء يتطلب هدوء الأعصاب، واتزان الفكر، والخضوع التام لحكم العقل - الأمر الذي يحول بين المرأة وتولي هذا المنصب الخطير، وثانياً : لأن القاضي في أيامنا هذه . ومثله وكيل النيابة - مكلف بالعمل طول العام - ماعدا أسابيع قليلة في الصيف - الأمر الذي لا يتناسب مع رسالة المرأة ، مربية الأجيال، ولا يتلاءم مع تكوينها الجسدي والعاطفي.

هذا عن القضاء - ومثله النيابة العامة - أما ما عدا ذلك فالإسلام لا يحول بين المرأة وبين وظائف الدولة التي تتناسب مع طبيعة المرأة وتفيد فيها المرأة أكثر من الرجل

كمدارس الحضانة ومدارس البنات وتمريض النساء وعلاجهن - فهذه ميادين تنجح فيها المرأة أكثر من الرجل وتتلاءم مع مواهبها وخصائصها، والإسلام لا يحول بين المرأة وتولي مثل هذه الوظائف - فهي من حيث أهليتها لا تجد حائلًا يمنعها من ذلك ، ولكن يجب أن يتم ذلك وفق تعاليم الإسلام :

١- فلا تحول هذه الوظيفة بين المرأة وقيامها بوظيفتها الفطرية في رعاية بيتها وأولادها.

٢- ولا تؤدي هذه الوظيفة إلى اختلاط المرأة بالرجال ، والخلوة بهم .

٣- وأن ترتدي المرأة الزي الشرعي ، وتكون بعيدة عن إثارة الفتنة.

ورغم أن الإسلام لا يحول بين المرأة وتولي الوظائف بهذه الشروط إلا أنه من الناحية الاجتماعية. لا يجب فتح الباب على مصراعيه ؛ لأن المرأة بذلك تزاخم الرجل ، مما يؤدي إلى كثرة العاطلين من الرجال - ولذلك آثاره الاجتماعية السيئة- مما سنفصله في السطور التالية.

٨- عمل المرأة : لاجدال في أن المرأة إذا لم تجد من يعولها من ذريها، ولم يتم بيت المال بالإنفاق عليها - جاز لها أن تعمل لتتفق على نفسها بشرط المحافظة على آداب الإسلام وأخلاقه.

أما إذا كان هناك من يتكفل بالإنفاق عليها، ويصونها عن تلك الحاجة إلى العمل ومشقاته، فليس هناك من داع يدعوها إلى ترك بيتها إذا كانت فتاة، أو زوجها إذا كانت زوجة، أو أولادها إذا كانت أما- لتفرق نفسها في أعمال يستطيع الرجال أن يقوموا بها، بل يكونون عليها أقدر، ولها أكفأ.

يقول المنانين بوجوب اشتغال المرأة خارج بيتها : إن ذلك يؤدي إلى زيادة الثروة القومية؛ إذ أن قصر المرأة على رعاية البيت يؤدي إلى تعطيل نصف القوى العاملة، وفي ذلك خسارة اقتصادية كبرى - بالإضافة إلى اعتياد المرأة للكسل وقضاء الوقت فيما لايجدي، والجواب على ذلك :

١- أن اشتغال المرأة خارج البيت لا يؤدي إلى زيادة الثروة القومية، بل يؤدي إلى نقصانها، لأن ساعات عمل المرأة تكون عادة أقل - هذا من جهة، ومن جهة

أخرى يؤثر ذلك في الحياة الاقتصادية تأثيراً سلباً؛ إذ يؤدي إلى مزاحمة الرجال في أعمالهم التي خلقوا لها .. وبالتالي يؤدي إلى نشر البطالة بينهم - كما هو مشاهد في كثير من بلاد العالم.

٢- أن عمل الفتاة يؤدي إلى بطالة رجل قد يكون أباه أو زوجها أو أخاه - أي الشخص المكلف بالإتفاق عليها، فماذا تريح الأسرة من وراء ذلك؟

٣- يؤكد علم "البيولوجيا" أن المرأة قد خلقت لتكون أما؛ فتكوينها الجسدي قد أعد إعداداً خاصاً للقيام بهذه الوظيفة؛ فهي عملها الذي خلقت له - ودفعها إلى عمل آخر يقضي على أمومتها يعد محاربة للفطرة - تماماً كما يطلب من الرجل أن يلد الأطفال.

٤- لو سلمنا بأن عمل المرأة يزيد في الثروة القومية فإنه يؤدي إلى خسارة اجتماعية لا تقدر بثمن فقد خسر الغرب كثيراً باشتغال المرأة حيث تفككت الأسر، وتلاشى الانسجام بينها، وضعفت الرقابة على الأولاد، ففسدت أخلاقهم وتحطمت معنوياتهم. فأي الخسارتين أبلغ أثراً وأسوأ عاقبة: الخسارة الاقتصادية أم الخسارة الاجتماعية؟

٥- إن كل الأمم تفرغ جيشاً لحماية البلاد - دون أن تطالبه بالعمل والإنتاج - أليس هذا تعطيلاً لقوة بشرية مما يؤثر تأثيراً سلباً على الإقتصاد الوطني؟ وهل يعد تفرغ المرأة لشئون أسرتها ورعاية أولادها أقل فائدة للامة من تفرغ الجيش لحماية البلاد؟ أم نرهق المرأة بالعملين معاً؟

٦- لا أساس للقول بأن اكتفاء المرأة برعاية بيتها وأولادها يعود لها الكسل، بل إن عمل المرأة في بيتها أم كانت أو زوجة أو بنتاً لا يقل مشقة عن عملها خارج البيت - إن لم يتفوق عليه في ذلك (١٤٧)

ثم إن قيام المرأة بأعمال الرجل لا يرتقي بها، بل يؤدي إلى هبوطها وسقوطها؛ إذ أن ارتقاء طبقة من الناس لا يكون بمحو المؤهلات الفطرية، وتصنع مؤهلات أخرى لم تؤتها من قبل الفطرة - بل يكون بتنمية المؤهلات الطبيعية وصقلها وإتاحة الفرص أمامها لكي تعمل على أحسن وجه؛ فإذا أريد للنساء أن يسايرن الرجال في مجال هن فيه أضعف فإن ذلك لا شك يؤدي إلى تأخرهن وانحطاطهن.

ومن جهة أخرى فليس في ذلك منفعة للحضارة - بل فيه كل المضرّة ؛ لأن الحياة الإنسانية تحتاج إلى غلظة الرجال وشدتهم وصلابتهم، كما تحتاج إلى رقة النساء وحنانتهن؛ وحاجتها إلى المقوّد البارعين والساسة الماهرين والإداريين الحازمين - كحاجتها إلى الأمهات المربيات، والزوجات الوفيات - فإذا نحن قضينا على إحدى هاتين الطبقتين ألقنا بالحضارة بالغ الضرر والخسارة.

إننا حتى لو فرضنا أن الرجل والمرأة متساويان في القوى الجسدية والاستعداد الذهني والنفسي - إلا أن الفطرة لم تحمل عليهما واجبات متساوية - فتلك قسمة عادلة قد أرادتھا الفطرة، ويؤيدها كل من علوم الأحياء والتشريح والنفس والعمران. إن تكليف المرأة بأعمال الرجال ليس فيه أي شيء من المساواة بل هو يناقضها؛ لأن المساواة تقتضي أن الجنس الذي كلفته الفطرة أعباء ثقيلة للغاية - وهو المرأة - لا يكلف من الأعمال إلا أخفها وأقلها خطراً؛ وأن الجنس الذي لم تكلفه الفطرة يعمل جسيم - وهو الرجل - يجب أن يكلف في الحياة بأشق الأعمال، وأدعاها للتعب والنصب.

"إن الذين يريدون أن يقللوا المرأة أعمال الرجال لا يريدون إلا إحدى ثلاث : إما أن يبدلوا جميع النساء غير النساء فيقضوا على النوع قضاء، أو يلتقطوا جزءاً من طبقة الإناث في كل جيل فيجردوهن من طبيعة الأنوثة ، أو يحطوا من مستوى الجدارة والاهلية لجميع شئون التمدن عامة ؛ ومهما اخترنا من هذه الصور فلا شك في أن إعداد المرأة لوظائف الرجال مما يناقض وضع الفطرة ومقتضاها، ولا نفع فيه للإنسانية أو للمرأة نفسها" (١٤٨).

إن حب تقليد المرأة الغربية هو الذي يدفع المرأة في بلادنا للخروج إلى العمل؛ ولكن المرأة الغربية لم تخرج إلى العمل باختيارها، بل دفعت إلى ذلك دفعاً واضطرت إليه اضطراباً بعد أن تخلى الرجل عنها، ونكص عن تحمل مسؤولياته نحوها؛ ففي الغرب - إذا بلغت البنت سنّاً معينة (سبعة عشر عاماً غالباً) - لا يجب على أبيها ولا على نويها الإنفاق عليها، بل يجب عليها أن تبحث عن عمل تعيش منه، وتدخر ما تقدمه (مهراً) لنزوج المستقبل - فإذا تزوجت كان عليها أن تساهم في نفقات البيت كالزوج - سواء بسواء - فإذا تقدمت في السن وجب عليها أن تستمر في العمل - مادامت قادرة عليه - ولا تجب نفقتها على ابنها مهما بلغ غناه؛ فخرج المرأة الغربية للعمل لم يكن

طواعية واختياراً، بل كان اضطراراً وإجباراً.

لقد تحولت بذلك إلى رقيق لا يخدم في المنازل، بل يبتذل في المكاتب والمتاجر والمصانع- أما المرأة المسلمة فقد أغناها الإسلام عن ذل العمل خارج البيت ومشقاته ومتاعبه؛ وصان كرامتها من أن تبتذل لدى الرؤساء وأصحاب الأعمال - فهناك دائماً من ينفق عليها - لا تفضلاً وإحساناً بل هو حق شرعي لها - سواء أكان المنفق عليها زوجها أم أباه أم أخاه أم ابنها - فإذا لم يكن هناك من ذريها من ينفق عليها وجبت نفقتها في بيت المال.

وإن المرأة الغربية اليوم لتصرخ من العناء الذي تعيش فيه، وتتحدى بأن تعود إلى البيت، وتتمنى ذلك اليوم الذي تعود فيه إلى دكرها - زوجة وأماً - ولكن هيهات!!

لقد تركت المرأة الغربية عشها الجميل وخرجت إلى العمل، فماذا كانت النتيجة ؟ لقد ألقى بها في أتون شهوات الرجال لقاء لقمة العيش، وأرهقت المرأة من أمرها عسراً فوق إرهاقها بالحمل والولادة - كما أدى ذلك إلى تفكك الأسرة وتشتت شملها، ونشوء الأولاد بعيدين عن مراقبة الآباء والأمهات - الأمر الذي كان سبباً في طوفان من الانحراف والشذوذ والجرائم والمخدرات والأمراض الجنسية - الإيدز على سبيل المثال - مما يصرخ منه الغرب ويستغيث، وهو يعرف موطن الداء ولكن لا يستطيع الرجوع عنه - بعد أن مضى فيه شوطاً طويلاً ، وأضحى مرضاً مزمناً لا شفاء منه فهل يراد لامتتنا مثل هذا ؟

نعم هناك أعمال لا يستغني فيها عن المرأة - مثل تعليم البنات وطب النساء وتمريضهن - ولكن ينبغي أن تقدر الضرورة بقدرها دون تجاوز ، فلا يفتح الباب على مصراعيه حتى تقوم المرأة بكل ما يقوم به الرجال؛ فهذا قلب للموازنين، وإهدار لرسالة المرأة السامية؛ وكما لا يمكن أن يتحول الرجل إلى أنثى تلد الأطفال ، كذلك لا يمكن أن تتحول الأنثى إلى رجل يقوم بكل أعمال الرجال.

٩- الاختلاط : ينبغي أن نشير في هذا المقام إلى عدة أمور أساسية :

١- لا يبيح الإسلام للمرأة أن تبدي من زينتها ولا من جسمها سوى وجهها وكفيها من غير زينة - وهذا عند أمن الفتنة - أما عند خوف الفتنة فيجب ستر الوجه أيضاً(١٤٩)

٢- لا يبيع الإسلام للمرأة أن تخلو بأجنبي عنها، ولو كانت في كامل ملابسها المحتشمة (١٥٠). يقول صلى الله عليه وسلم : ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان".

(٢) لا يبيع الإسلام أن تجتمع المرأة بالرجال إلا في ثلاثة مواطن :

أ- في المسجد - على أن تكون منفصلة عن الرجال - وصلاتها في بيتها أفضل.

ب- في مجالس العلم - على أن تكون منفصلة عن الرجال.

ج- حين يعلن التغيير العام؛ فتخرج المرأة للجهاد مع الرجال - على أن تكون منفصلة عنهم.

وأساس هذا كله نظرة الإسلام للمرأة؛ فهو يرى أن إكرامها إنما يكون بإبعادها عن مواطن الشبهات ، ومضان الفتنة والشهوة، حفاظاً على سمعتها؛ فتاة وزوجة وأماً تفرس في نفوس أبنائها معاني الشرف والفضيلة والكرامة.

والإسلام يعمل على صيانة المرأة وإبعادها عن أماكن الشبهات، ولو كانت في الواقع من أفضل النساء وأشدهن عفة وأسماهن طهارة ؛ إذ أن ألسنة السوء تتناول المرأة الفاضلة كما تتناول المرأة الماجنة ولا تفرق بينهما حين تتعرض إحداها للشبهات - ولذلك منع الإسلام اختلاط المرأة بالرجال - إلا في المواطن الثلاثة التي أشرنا إليها.

يقول دعاء السوء : إن منع الاختلاط بين الجنسين معناه التشكك في أخلاق الناس، واقتراض أن كل واحد منهم منحرف في سلوكه، وفي ذلك فقدان للثقة بين الناس - ونجيب على ذلك بقولنا : وهل وجود الشرطة يعني أن الحكومات تفترض أن كل المواطنين من المجرمين الأشرار؟ وهل استعمال الأبواب والأقفال في البيوت برهان على أن كل الناس لصوص؟ وهل وجود القوانين التي تقاوم القتل والجرائم معناه أن جميع الناس من القتلة والمجرمين؟ - إن ذلك كله ماهر إلا تدابير وقائية لحماية المجتمع، وهي - لا تعني اتهام الناس وفقدان الثقة فيهم .

إن التاريخ يشهد بأن تبرج المرأة، ومخالطتها للرجال كانا من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية كما كان ذلك أيضاً من أكبر أسباب انهيار الحضارة الرومانية - فقد خرج النساء من خدورهن ليحضرن مع الرجال مجالس الأناض والطرب، فتمكن

الرجال من إتلاف أخلاقهم، وتدنيس طهارتهم، وهتك حيائهم - حتى صرن يحضرن المراقص ويغنين في المنتديات، فلم تلبث دولة الرومان كذلك حتى جاءها الخراب من حيث تدرى ولا تدرى (١٥٢)

والحضارة الغربية المعاصرة - وإن كانت تبدو متماسكة في الظاهر إلا أنها متهاكة في الباطن - وهي لن تلبث طويلاً حتى تلحق بمثيلاتها من الحضارات السابقة التي انتهت بها اختلاط النساء بالرجال إلى مهاوي التهلكة واليوار - كما سبق أن أشرنا إلى ذلك عند حديثنا عن وضع المرأة في الحضارة الغربية الحديثة.

وليس لأمتنا من مصلحة في "استيراد" هذا الخطر إلى بيوتها وأسرها - وهي هائلة تنعم بالاستقرار والتماسك والثقة والمودة - مما لا يعرفه الغربيون بعد أن تفشت فيهم أمراض التبرج والاختلاط ؛ وهم يعلنون أسفهم وندمهم لحرمانهم مما تمتع به الأسر المسلمة من مائة الأواصر ، واطمئنان القلوب ، وهدهو الخواطر، ويحسدونها على ذلك.

١٠- تعدد الزوجات : كانت الشرائع المدنية قبل الإسلام تبيع تعدد الزوجات واقتناء السراى بدون تحديد للعدد ولا التزام بشرط سوى قدرة الزوج على النفقة والسكنى. وقد أباحت الشريعة اليهودية تعدد الزوجات بمشينة الزوج حسب استطاعته؛ ويؤخذ من أخبار " العهد القديم" أن داود وسليمان جمعاً بين كثير من الزوجات والإماء، ففي الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول أن سليمان كانت له سبععانة من النساء الحرائر وثلثمائة من السراى.

ثم جاءت المسيحية فلم تتوسع في التشريع الاجتماعي ، ولم يرد في كتبها نص صريح بتحريم تعدد الزوجات .

- وبقي تعدد الزوجات مباحاً في العالم المسيحي إلى القرن السابع عشر. بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية إلى إيجاب تعدد الزوجات (١٥٣).

إذاً فنظام تعدد الزوجات كان معروفاً قبل الإسلام في جميع البيئات - ومنها البيئة العربية - فكان يمارس على نطاق واسع، ولا يتقيد فيه بعدد معين؛ فكانت الحاجة ماسة إلى تشريع يعالج هذه الفوضى، وينظم تعدد الزوجات بما يكفل خيره، ويمنع ضرره وشره.



كانت الحاجة ماسة إلى إصلاح هذا النظام وتقويمه في شريعة تحد من الإباحة المطلقة، وتقدر الضرورة التي قد تلجئ الزوج والزوجة - وقد تلجئ المجتمع كله - إلى حالة لا مناص من وقوعها، ولا يجوز لشريعة تقدر مصالح الناس أن تهملها - وهي حالة التعدد.

جاء الإسلام فلم يبتدع تعدد الزوجات ، ولم يوجبها، ولكنه أباحه - مشروطاً بالعدالة بين الزوجات ، ورأه خيراً من تعطيل مقاصد الزواج الطبيعية والشرعية بقبول الزوج للعقم - إذا كانت الزوجة عقيماً - وتعرضه للفجوة إذا كانت الواحدة لا تصلح للحياة الزوجية - وفرض العزوبة على كثير من النساء عند اختلال النسبة العددية بين الجنسين.

ومع أن الإسلام قد أباح التعدد فقد أعطى للمرأة حريتها في قبول هذا الوضع أو رفضه - ولكن تحريم التعدد يكرهها على قبول حالة واحدة لاختيار لها فيها حين تضطر إلى الاختيار بين أن تتزوج بصاحب زوجة أخرى وبين قبول عزوبة لا يرعاها فيها أحد (١٥٤).

ويؤخذ من الآيات التي وردت في التعدد أن الإسلام إنما أباحه لبعض الضرورات الجدية التي لا تمت بصلة إلى رغبات أولئك الذين لا يرون في الزواج إلا أنه باب من أبواب الاستغراق في الملذات ، وأن الله قد شرع لهم تعدد تلك الأبواب ليتيح لهم تحقيق ما تنصبو إليه نفوسهم من ألوان تلك الملذات.

لقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الزواج من امرأة جميلة ولكنها لاتلد، فلم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٥٥)، حيث وجد أن همته متعلقة بإصابة غرضه من الجمال فحسب؛ وفي حديث له:

"إن الله لا يحب النواقين" (١٥٦) أي لا يحب هؤلاء الذين يميلون بالزواج عما شرعه الله له، فيتحذرون وسيلة لقضاء شهواتهم فحسب - وهؤلاء هم الذين أساءوا إلى تشريع تعدد الزوجات حيث استعملوه في غير ما شرع له.

إن وظيفة الشريعة هي أن تقيم الحدود ، وتوضح الخطة المثلى، وأما عدا ذلك من تصرفات الناس فشأن تعدد الزوجات شأن جميع المباحات التي يحسن الناس وضعها في مواضعها، أو يسيئون فهمها والتصرف فيها - تبعاً لأحوال المجتمعات من الرقي

والهبوط، والعلم والجهل، والصالح والفساد.

فالمباحات كثيرة في الشريعة، ولكن الشريعة لا تأخذ بأيدي الناس ليحسنوا التصرف فيها.

ونحن إذا منعنا تعدد الزوجات لسوء تصرف بعض الأفراد، وسوء استغلالهم له - فنحن بذلك نفتتح أبواباً من الشر لانهاية لها. والمجتمعات هي التي تستطيع بوعيتها وفهمها أن تمنع المفاسد المترتبة على سوء استعمال ما أباح الله، وذلك كالدعوة بين الضرائر وأبناء الضرائر في هذه الباب.

إننا إذا منعنا هذا المباح فماذا يفعل رجل يرغب في الذرية وزوجه عقيم؟ أو مريضة لا تستطيع القيام بواجبات الزواج؟ وماذا يحدث عندما يزيد عدد النساء على عدد الرجال - وخاصة بعد الحروب والأوبئة؟ ماذا تفعل النساء الزائدات؟ - لقد عالجت أوروبا ذلك بالإغضاء عن الزنا وتيسير سبيله، وبالإعتراف باللقطاء الذين امتلأت بهم المستشفيات ودور الحضانة.

فأيهما أفضل للمرأة : الزواج الشرعي أم التقلب في فراش الغواية ؟

وأيهما أكرم : الإبن الشرعي أم اللقيط؟

لقد رفضت النساء في ألمانيا أن تقضي إحداهن حياتها مبتذلة في سوق الدعارة، وينتهي الأمر بولد غير شرعي؛ ونادين بأن يكون الزواج مناوبة بين النساء، فتقضي إحداهن مع الرجل أجلاً محدوداً ثم تخلص السبيل لغيرها، وهكذا - وهذه الدعوة - على غرابتها - تعتبر صدقاً لصوت الفطرة الإنسانية التي تفضل الإتصال الشرعي على الإتصال المحرم.

إن العيب ليس في تشريع تعدد الزوجات، ولكن في سوء استعمال الحق الذي رخص الله به في أحوال خاصة ترك تقديرها للضمير المسلم الحي.

وإصلاح ذلك لا يكون بمنع التعدد، وتحريم ما أباح الله - بل بتهديب النفوس، وتنوير العقول، وتعليم الناس حقائق الدين.

١١- الطلاق : وموضوع الطلاق أيضاً من الأمور التي يثيرها المعترضون على التشريع الإسلامي فيما يتعلق بالمرأة. والأسئلة التي تثار حول هذا الموضوع هي:

١- ما حكمة مشروعية الطلاق ؟ ٢- لماذا جعل الطلاق في يد الرجل ؟ ٣- كيف تعالج المشاكل المترتبة على سوء استعمال هذا الحق؟

أ- أما النقطة الأولى فالأصل في عقد الزواج في الإسلام أنه عقد مؤبد - ولذلك لا يجوز أن يشترط في العقد تأقيت الزواج بوقت محدد، فإن نص في العقد على التأقيت صح العقد ولغا التأقيت وأصبح العقد مؤبداً.

هذا هو رأي المذاهب السنية، وكذا الشيعة الزيدية - أما الشيعة الإمامية فيبيحون نكاح المتعة - وهو نكاح مؤقت - وقد انفردوا بهذا الرأي، وخالفوا به جميع المذاهب الفقهية.

من هنا يتبين لنا أن عقد النكاح عقد مؤبد، ولكن التشريع الإسلامي - وهو يقوم على رعاية مصالح الفرد والجماعة - لا يمكنه أن يتجاهل ما قد يثور بين الزوجين من خلافات تنشأ عن تفاوت الأمزجة والميول والطباع والمصالح، أو تنشأ عن سوء اختيار أحد الزوجين للآخر - فيكتشف فيه عيباً لم يعرفه من قبل؛ وقد وضع الإسلام لذلك تشريعاً محكماً يتدرج على خطوات ، لو تقيد الناس بنصه وروحه لرفعت السعادة على جميع البيوت، ولم يشك رجل ولا امرأة ظلماً ولا هضماً.

١- فهو يطلب إلى كل من الزوجين أن يستشعر مسئوليته نحو الآخر ونحو أولادهما؛ فيقول رسول الله صلى عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته" (١٥٧)

٢- عندما تلوح بوادر الخلاف بين الزوجين فينبغي أن يصبر كل منهما على ما يكره من رفيقه ، ويحاول كل منهما إصلاح صاحبه؛ فليس كل مافي الحياة مما يرضي الإنسان؛ فلا مناص إذاً من إغضائه عما يكره، فقد يكون الخير كل الخير في ذلك - يقول الله تعالى : "وعاشروهم بالمعروف فإن كرهتموهن فاعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً" (النساء-١٩) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يفرك (أي لا يبيغض) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي غيره" (١٥٨) ويقول : " وإذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي من أي أبواب الجنة شئت" (١٥٩).

٢- فإذا اشتد الخلاف بحيث أصبح يخشى من الشقاق والفرقة وجب أن يتدخل الأقارب لإزالة هذا الخلاف والقضاء على أسبابه، يقول الله تعالى : " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما"(النساء-٣٥).

٤- فإذا فشل الحكمان أباح الإسلام أن يطلق الرجل زوجته طليقة واحدة، تمكث فيها المرأة في بيت الزوجية لمدة تقارب ثلاثة أشهر، حتى تكون هناك فرصة أمام الزوجين ليفكر كل منهما في الأمر ويراجع نفسه، فقد تعود المياه إلى مجاريها، ويتم الصلح بينهما.

ولا نريد أن نتوسع في التفاصيل ، فذلك كله مبسوط في كتب الفقه. والإسلام لا يلجأ إلى الطلاق في هذه الحالة إلا بعد التأكد من استحالة العشرة بين الزوجين - ومع ذلك فهو لا ينظر إلى الطلاق نظرة الرضى، فيقول صلى الله عليه وسلم : " أبغض الحلال إلى الله الطلاق"(١٦٠) ويقول : " لا تطلقوا النساء إلا من رغبة، فإن الله لا يحب النواقين ولا النواقات"(١٦١).

ولا يقع الطلاق دفعة واحدة، بل يقع على مراحل تمتد لمدة أشهر ! ليركز الباب مفتوحاً أمام الزوجين ليعيد كل منهما النظر في موقفه - مع تنفير كل منهما من الإقدام على ذلك - كما جاء في الحديثين السابقين.

ومن هنا يتبين لنا أن الإسلام لا يلجأ إلى هذا الحل (الطلاق) إلا بعد استنفاد جميع الوسائل المتاحة للتوفيق، ويعد أن تسد جميع الأبواب أمام احتمال الصلح ، ويعد التأكد من استحكام النفرة بين الزوجين استحكاماً يستحيل معه نواص العشرة والحياة الزوجية التي أرادها الله أن تكون سكناً ومودة ورحمة.

فاللجوء إلى الطلاق عنده إنما هو لجوء إلى أهون الشرين وأخف الضررين. أما الإبقاء على الحياة الزوجية - مع استحكام النفور بين الزوجين حتى غدا كل واحد منهما لا يطبق رؤية الآخر - فهو إصرار على صب الزيت على النار حتى تزداد اشتعالاً - وهو تصريح ضمني لكل من الزوجين أن يحيا حياة الفحش والدعارة، وهو قيد شكلي لا معنى له على الإطلاق سوى المداينة والنفاق.

ب- أما جعل الطلاق في يد الرجل فلما يأتي :

١- أن له القوامة، وهو المكلف بالإنتفاق ، فيكون صاحب الحق في الإبقاء على رابطة الزوجية أو فسخها.

٢- لأنه أكثر اتزاناً واعتدالاً في تقدير الأمور وعواقبها، وأطول أناة، وأبعد عن التأثير بالظروف الطارئة والغضب العارض - عكس المرأة في ذلك؛ فهي تخضع في أحكامها لعواطفها وانفعالاتها الوقتية، فلو جعل أمر الطلاق إليها لقضي على ملايين الأسر، ولشرد ملايين الأطفال خضوعاً لانفعال وقتي، أو نزوة طارئة، أو غضب عارض.

ومع ذلك - وحتى لاتضار المرأة إذا كان زوجها سيئ العشرة، غليظ القلب، أو اكتشفت المرأة فيه عيباً يمنع دوام العشرة، أو أساء الرجل استعمال حقه، فقد أعطاه الإسلام الحق في إنهاء رابطة الزواج ، وذلك بالطرق الآتية :

١- للمرأة أن تشترط في عقد الزواج أن يكون الطلاق بيدها - كما هو مذهب أبي حنيفة - وهو شرط صحيح عند الإمام أحمد.

٢- للمرأة أن تتخلص من زوج لا تريده - إذا اتفقت معه على دفع تعويض له عن خسائره المالية بسبب الطلاق - وهو المسمى بالخلع.

٣- للمرأة الحق في طلب الطلاق إذا اكتشفت في الزوج عيوباً منفرة، أو لا يستقيم معها الزواج، أو كان مصاباً بمرض مؤذٍ تسرى عدواه إلى الزوجة - وللمذاهب المختلفة تفصيل في ذلك (١٦٢)

ج - أما عن النقطة الثالثة .. المتعلقة بالمشاكل المترتبة على الطلاق - فالتشريع الإسلامي كل لا يتجزأ ، وقد أقام بنيانه على أساس من الإيمان ويقظة الضمير ومراقبة الله - وهي أمور إذا تحققت لم يكن هناك طلاق على الإطلاق، ولذلك نجد الأسر المتدينة تدبناً صادقاً لا يحدث لديها طلاق إلا نادراً - وهو إن وقع لا يترتب عليه إلا كل إعزاز للمرأة وتكريم لها.

ومن المسلم أن الناس ليسوا سواء في استعمال الحقوق المخولة لهم، فمنهم من يحسن استعمالها، ومنهم من يسئ التصرف فيها ، ومع ذلك لا يقول أحد بإلغاء هذه الحقوق لأن بعض الناس يسئ استعمالها- سيما إذا كان إلغاء هذه الحقوق يترتب

عليه مضار أكثر ومشاكل أوفر؛ فإذا كان هناك أحد المسؤولين في أحد المواقع الهامة يستغل نفوذه استغلالاً سيئاً فهل نقول يجب إلغاء هذا المنصب لهذا السبب؟

إن مقياس صلاح أي تشريع هو تحقيقه النفع لأكبر عدد ممكن من الناس، وليس تحقيق النفع لجميع الناس؛ إذ أن أي تشريع يترتب عليه عند التطبيق إضرار لبعض الأفراد، ولا يقول أحد بوجوب إلغائه لذلك؛ وعند المقارنة بين حسنات تشريع الطلاق وسيئاته نجد أن كفة الحسنات ترجح كثيراً على كفة السيئات.

وقد عالج القرآن الكريم الضرر الواقع على المرأة المطلقة بأن أوجب على الزوج نفقتها وسكنها في فترة العدة، كما رغب في دفع تعويض مالي لها في مقابل الضرر الذي وقع عليها بالطلاق - وهو ما يسمى بالمتعة - وهي وإن لم تكن واجبة في جميع حالات الطلاق إلا أن الإسلام قد حث عليها، ورغب فيها، وذلك في قوله تعالى: "وَالْمُطَلَّقاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ" (البقرة- ٢٤١) - وهو هنا يخاطب الضمير المسلم الحي الذي لا يسره أن يعاشر امرأة وقتاً ما - طال أو قصر ثم يتخلى عنها بدون تعويض مناسب يقدمه إليها - ويرى بعض المعاصرين أنه لاحرج في إيجاب هذه "المتعة" في جميع حالات الطلاق اليوم (١٦٣) - بعد أن ضعف الوازع الديني، وقلت المروءة، ونضب معين التقوى.

## كلمة أخيرة

إن المجتمعات الغربية - التي يتخذها "دعاة التغريب" في بلادنا مثالا يحتذى؛ يناضلون من أجل الوصول إليه - قد "حررت" المرأة ظاهراً، ولكن لتحولها إلى رقيق - لقد حررتها فعلاً من قيود البيت والأسرة، وقوامة الرجل، وتبعات الأمومة، ومسئوليات الزواج، وتقاليده الأخلاق، ولوم المجتمع - ولكن لتصبح "رقيقاً" يبتذل في المكاتب والمتاجر والمصانع من قبل الرؤساء وأصحاب الأعمال - "رقيقاً" يعرض للبيع في المراقص وأماكن المتعة المحرمة، وفي أفلام السينما والفيديو، وفي وسائل الدعاية لترويج السلع؛ حيث يحرص صاحب العمل أن تكون له "سكرتيرة حسناء" لجذب الزبائن، ويحرص صاحب المتجر على أن تكون البائعة حسناء ليشد الإقبال على متجره، ويحرص المروجون لسلعهم على أن يضعوا عليها صورة امرأة حسناء في

أوضاع مغرية - كما يحرص المنتجون للأفلام على اختيار ممثلات حسناوات يقمن  
بأنوار الإثارة حتى تروج أفلامهم - وهكذا تحولت المرأة في الغرب إلى " رقيق " بل إلى  
" سلعة " مبتذلة رخيصة - هذا هو " تحرير المرأة " في الغرب، وهذا هو مايراد نقله إلى  
مجتمعاتنا الإسلامية على يد دعاة " التغريب " الذين يخوضون حرباً شرسة ضد  
الإسلام وتعاليمه من أجل الوصول إلى هذه الغاية .

## هوامش

- (١) الأهرام ١٩٨٦/١/١٥ مقال الدكتور زكي نجيب محمود
- (٢) الأهرام ١٩٨٨/١/٢٦ حديث مع الدكتور زكي نجيب محمود
- (٣) انظر الأهرام ١٩٨٦/٩/٢ ضمن مقال للأستاذ فهمي هويدي.
- (٤) الأهرام ١٩٨٦/١٠/٢١ الدكتور زكي نجيب محمود
- (٥) أنظر الأخبار ١٩٨٦/١٠/٢٢ ضمن مقال للصحفية " مها عبد الفتاح " بعنوان " الغزو الثقافي القادم عبر الإطنطني".
- (٦) انظر مقالة بالأهرام ١٩٨٧/١١/٢٢.
- (٧) انظر الأهرام في مقال للأستاذ أحمد عبد المعطي حجازي ١٩٨٨/٨/١٧
- (٨) نقلا عن بحث للدكتور على شريعتي نشره أولاً عام ١٩٨١ في كتاب ظهر في بيروت عام ١٩٨٣ ثم في كتاب للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا إسمه " الثورة الإيرانية الجذور الأيديولوجية " نشر عام ١٩٨٨.
- (٩) في كتابه اليوم والغد، طبعة القاهرة ١٩٢٧ نقلاً عن كتاب "الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي للدكتور محمد حسين جـ٢ طبعة ١٩٨٤.
- (١٠) انظر ماجاء في كتابنا هذا في بحوثه عن العقيدة، وأثر الدين في الحياة، و... والإلحاد.
- (١١) انظر ماجاء في كتابنا هذا في بحثه عن " العبادة في الإسلام .
- (١٢) انظر ماجاء في كتابنا هذا في بحثه عن " الأخلاق في الإسلام "
- (١٣) انظر ماجاء في كتابنا هذا في بحوثه عن : نظام الحكم في الإسلام، والنظام الاقتصادي وانتكاف الاجتماعي، " ومكانة المرأة في الإسلام".



١٤) أنظر ملاحظات نحو تعريف الثقافة، ل. ت. س. اليوت، ترجمة الدكتور شكري محمد عياد، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

١٥) كتب غيرت العالم لروبرت . ب. داونز ترجمة أمين سلامة طبعة ١٩٧٧ ص ٢٢٢ .

١٦) المصدر السابق ص ٢٢٧ ومعنى عبارة الكتاب المقدس، أن الشمس هي التي تدور وأن معجزة يوشع كانت في أمره للشمس - الدائرة - أن تقف .

١٧) المرجع السابق ص ٢٢٥ إلى ص ٢٣٢ .

١٨) انظر قصة الصراع بين الدين والفلسفة للدكتور توفيق الطويل طبعة ١٩٧٩ ص ١٧٩ .

١٩) الأبطال لتومارس كارليل ج١ ص ١٥٧ نشر المكتبة التجارية بالقاهرة .

٢٠) الأهرام ١٩٨٥/٩/٢٧

٢١) انظر نماذج تاريخية من ذلك في مبحث حقوق الإنسان في الإسلام .

٢٢) مذكرات السلطان عبد الحميد ص ١٦٦ - ١٦٧

٢٣) تجديد في المسلمين لا في الإسلام ص ٢٠٦ للدكتور عمر فروخ .

٢٤) تجديد في المسلمين لا في الإسلام ص ٢٠٦ للدكتور عمر فروخ .

٢٥) انظر ص ١٣٤ والصفحات التالية من الكتاب المذكور .

٢٦) انظر كتاب " البيئة ومشكلاتها " تأليف رشد الحمد ومحمد صباريني ص ١٩٩ وما بعدها - نشر عالم المعرفة بالكويت .

٢٧) الأهرام ١٩٨٨/١/٢٩ ، وانظر تأييداً علمياً لهذه النقاط للأستاذ الدكتور محمد عبد الفتاح القصاص الحائز على جائزة الدولة التقديرية للعلوم من مصر، وجائزة الأمم المتحدة في البيئة والذي يشغل حالياً منصب كبير مستشاري الأمم المتحدة للبنية وذلك في حوار أجراه معه الصحفي عباس مبروك ونشرته جريدة الأهرام في ١٩٨٨/٨/٣ .

٢٨) أضف إلى ذلك بالأولى تشريد الشعب الفلسطيني والمذابح التي دارت عليه

٢٩) انظر كتاب ما يعد به الإسلام لجارودي ترجمة ونشر دار الوثبة ط ٢ حتى ٣٧-٣٩ .

٣٠) الإسلام في القرن العشرين ص ١٦-١٧ طبعة دار نهضة مصر بالفجالة .

٣١) انظر كتابنا "معالم شخصية المسلم : التكوين الأساسي " .

(٢٢) الإسلام في القرن العشرين للعقاد ص ٢٧-٢٩

(٢٣) الإسلام على مفترق الطرق ترجمة عمر فروخ طبعة ١٩٧٧ ص ٢٢ و ص ٢٤

(٢٤) فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ص ٢٥ والمؤلف ما تريدى كما يصرح بذلك في نفس الصفحة .

(٢٥) انظر كتاب (تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناعات والعملات الشرعية) للعلامة أبى الحسن على بن محمد المعروف بالخزازي التلمساني المتوفى سنة ٧٨٩هـ.

نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٨٠م بتحقيق الأستاذ محمد أحمد أبو سلامة رحمه الله عضو لجنة أحياء التراث الإسلامي بالمجلس سابقاً.

(٢٦) انظر الحملة العلمانية في صحف عام ١٩٨٥، وبخاصة مقال توفيق الحكيم عن علمانية الإسلام.. وفؤاد زكريا عن تطبيق الشريعة الإسلامية ، وذكرى نجيب محمود عن الحجاب، ومقال بعنوان (عين فتحة عا) .. إلخ

(٢٧) في كتابه " نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم " ص ١٩٢ طبعة القاهرة ١٣٤٤ وقد نقلد منصب الإمام الأكبر شيخ الأزهر في بداية ثورة ١٩٥٢ وكان من أبرز شيوخ الأزهر تقوى وشجاعة وعلماً.

واقعة تأبير النخل حديثها أنه عليه الصلاة والسلام مر على قوم بالمدينة يلحقون نخلأ فقال : "مايصنع هؤلاء " فقالوا : يلحقون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أضن يفني ذلك شيئاً " فأخبروا بذلك فتركوه، فخرجت شيصاً ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن كان ينفعهم ذلك فليصنعه فأنى إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به، وفي رواية أنه قال " أنتم أعلم بأمر دنياكم " فالحديث لم يأت فيه أنه نهاهم عن التأبير وإنما قال " ما أضن يفني ذلك شيئاً " وفي رواية " لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً .

(٢٨) انظر سميد حارب في كتابه " الخليج العربي أمام التحدي العقدي " نشر مكتبة الامة في دبي ١٦ عام ١٩٨٥ ص ٤٣-٤٦ نقلاً عن تاريخ عمان لوندل فيليبس ترجمة محمد أمين عبد الله ص ٦٧.

(٢٩) المصدر السابق.

(٣٨) المصدر السابق من ص ٧٠-٧٤.

(٣٩) انظر كتاب الفارة على العالم الإسلامي تأليف : أ.د. شاتليه، ترجمة مساعد اليافي

ومحب الخطيب، المطبعة السلفية عام ١٣٥٠ ص ٧٢.



(٤٠) المصدر السابق ص ٨٠.

(٤١) المصدر السابق ص ١١٢.

(٤٢) المصدر السابق ص ١٠٥.

(٤٣) المصدر السابق ص ٨٢.

(٤٤) انظر " التبشير والاستعمار " للأستاذين الدكتور عمر فروج ، والدكتور مصطفى الخاوي ص ٦٨ ، ٨٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٠ ، ١١١ طبعة بيروت ١٩٧٠.

(٤٥) المصدر السابق ص ٦٢

(٤٦) انظر بستان العارفين للإمام السمرقندي ص ٢٠-٢١

(٤٧) محاضر أول للغة الإنجليزية وعلم اللغة في معهد ريهامبيدين في لندن . ونشرت بحثها في كتابها (النساء والرجال واللغة : تحليل لغوي اجتماعي للفروق الجنسية في اللغة ) نشر نيويورك ١٩٨٦.

(٤٨) انظر العدد الواحد والثلاثين من مجلة ( المجلة العربية للعلوم الإنسانية ) التي تصدر عن جامعة الكويت، من ص ٢٨٠ - إلى ٢٩٦.

(٤٩) انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد حسن ج٢ ص ٢٨٥ الطبعة السابعة، نقلاً عن كتاب القضية العربية في نظر الغرب للجنرال كيبير ترجمة ميشال حجار

(٥٠) يقصد العلاقات بين الوطنيين والأجانب والإنجليز من أبناء هذه المدرسة.

(٥١) مجلة المقتطف عدد مايو ١٩٢٦ بواسطة كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين.

(٥٢) Egypt Since Cremer ١- ١٥٨ - ١٥٩

(٥٣) المقصود 'العلماني'

(٥٤) انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي ص ٣٠٨ ، ص ٣٠٩

(٥٥) مجلة تصدر في مصر تتحالف مع الاستعمار الانجليزي

٥٦) راجع مجلة المجمع الجزء الأول أكتوبر ١٩٣٤، الثالث والرابع.

٥٧) يدعو زكي نجيب محمود إلى حرق هذا التراث تارة، وإلقائه في سلة المهملات تارة ثانية، وإلى التسلي به تارة أخرى، انظر كتابه تجديد الفكر العربي.

٥٨) ارجع إلى الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد حسن وبخاصة الجزء الثاني من ص ٣٥٩ الى ص ٣٨١

٥٩) انظر حديثاً له في مجلة الهلال أول مارس ١٩٣٦ - القاهرة .

٦٠) لاحظ أن الحروف العربية سبق أن كتبت بها اللغات التركية، والفارسية، والأردية، والأفغانية، والكردية، والتورية، والمغولية والبربرية والزنجية، والساحلية، والملاوية

٦١) مجلة الهلال عدد يناير ١٩٣٤ - القاهرة.

٦٢) مجلة السياسة الأسبوعية عدد ١٤ مايو ١٩٢٧

٦٣) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

٦٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي ج٢ ص ٢١٢-٢١٤ راجع ماكتبه محمد حسين مikel في كتابه حياة محمد من إبطال لمفتريات الزنادقة والمستشرقين حول فرية الفرائق التي استند إليها سلمان رشدي ، ومفتريات أخرى وقد تحول مikel بذلك من موقف العلمانية إلى موقف الدفاع عن الإسلام.

٦٥) الأبطال ترجمة محمد السباعي نشر المكتبة التجارية ج١ ص ٩٩

٦٦) وأذناهم بالتالي .

٦٧) فضل الإسلام على الحضارة الغربية لمونتجومري وات ترجمة حسين أحمد أمين طبعة دار الشروق ١٩٨٣ ص ١٠٠ . ص ١١٢

٦٨) مقال لمجلة السياسة المصرية ٢٣ إبريل ١٩٢٧ ، وما يتحدث عنه الكاتب من مشاهدة الألف، يمكنك اليوم أن تقيسه إلى ما بعد ظهور التلفزيون وسلسلته الهابضة لتعرف أنه يتعدى عشرات الملايين

٦٩) الأخبار ١٩٨٦/٤/٣٠ - القاهرة

٧٠) بهانة وشلبية وست أبقوا أسماء تنتشر في الريف خاصة.

٧١) جريدة الأخبار ١٩٨٦/١٢/٢١ - القاهرة الكاتبة الصحفية : مي شاهين.

٧٢) هذا استفتاء نشرته مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٣٨ - انقاهرة كتقليد للساليب التي تطبيق بنجاح في المدارس الازدية.

٧٣) اقرأ ما كتبناه رداً على دعاري التطور في الاخلاق في كتابنا (العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والعلم). نشر مكتبة المكتبة بالعين بالإمارات .

٧٤) وارجع إلى مبحث الاخلاق في هذا الكتاب.

٧٥) وحي القلم ج٢ ص ١٩٨ - ٢٠٥

١٥٤) عباس محمود العقاد - المرأة في القرآن ص ٨٤.

١٥٥) أبو داود والنسائي وأحمد

١٥٦) أورده الجصاص في أحكام القرآن ج٢ ص ١٣٣

١٥٧) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي.

١٥٨) رواه مسلم والإمام أحمد

١٥٩) أخرجه الإمام أحمد وابن حبان والطبراني

١٦٠) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم

١٦١) تفسير القرطبي ج٨ ص ١٤٩

١٦٢) د. مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون ص ١٢٢-١٢٩

١٦٣) أوجب المتعة القانون المصري الحالي للأحوال الشخصية.